

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190558

UNIVERSAL
LIBRARY

الجزء الرابع من كتاب

أما إلى السيد المصطفى

الشيخ أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين المتوفى سنة ٤٣٦ رضى الله عنه
في التفسير والحديث والادب

الطبعة الاولى

(سنة ١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م)
(عن نفقة أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه)

« حقوق الطبع محفوظة »

صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه
حضرة الفاضل الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي نزيل الماهرة حالا



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[تأويل خبر] ٠٠ ان سأل سائل عن معنى ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه ٠٠ الجواب أما أبو عبيد القاسم بن سلام فإنه قال في تأويل هذا الخبر سألت محمد بن الحسن عن تفسيره فقال كان هذا في أول الاسلام قبل أن تنزل الفرائض ويؤمر المسلمون بالجهاد قال أبو عبيد كأنه يذهب الى انه لو كان يولد على الفطرة ثم مات قبل أن ينصره أبواه ويهوداه ما ورناه وكذلك لو ماتا قبله ما ورنهما لانه مسلم وهما كافران وما كان أيضاً يجوز أن يسبي فلما نزلت الفرائض وجرت السنن بخلاف ذلك علم انه يولد على دين أبيه ٠٠ قال أبو عبيد وأما عبد الله بن المبارك فإنه قال هذا بمنزلة الحديث الآخر الذي يتضمن انه عليه الصلاة والسلام سئل عن أطفال المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين يذهب الى انهم يولدون على ما يصيرون من اسلام أو كفر فمن كان في علمه انه يصير مسلماً فإنه يولد على الفطرة ومن كان في علمه انه يموت كافراً ولد على ذلك ٠٠ قال أبو عبيد ومما يشبه هذا الحديث حديثه الآخر انه قال يقول الله عز وجل إني خلقت عبادي جميعاً فاجتالهم الشياطين عن دينهم وجمعات ما أحللت لهم حراماً ٠٠ قال أبو عبيد يريد بذلك النحائر والسوائب وغير ذلك لما أحله الله تعالى فجعلوه حراماً ٠٠ وأما ابن قتيبة فإنه قال وقد حكى ما ذكرناه عن أبي عبيد لست أرى ما يحكم أبو عبيد عن عبد الله ابن المبارك ومحمد بن الحسن مقتعاً أن أراد أن يعرف معنى الحديث لانهما لم يزيدا على ان ردّا على من قال من أهل القدر وتفسير محمد بن الحسن يدل على ان الحديث منسوخ والمنسوخ لا يكون في الاخبار وانما يكون في الأمر والنهي قال ولا يجوز أن يراد به على تأويل ابن المبارك بعض المولودين دون بعض لان مخرجه مخرج العموم

•• قال ولا أرى معنى الحديث لا ما ذهب إليه حماد بن سلمة فإنه قال فيه هذا عندنا حيث أخذ العهد عليهم في أصاب آبائهم يريد حين مسح الله تعالى ظهر آدم فأخرج منه ذريته الى يوم القيامة أمثالاً وأشهدهم على أنفسهم ألت بربكم قالوا بلى فأراد عليه الصلاة والسلام ان كل مولود يوفى العلم على ذلك العهد وعلى ذلك الاقرار الأول وهو الفطرة •• [قال الشريف المصنف] رضى الله عنه وهذا كله خبط ونخليط وبعد عن الجواب الصحيح والصحيح في أنه أن قوله عليه الصلاة والسلام يولد على الفطرة يحتمل أمرين •• أحدهما أن تكون أمة ههنا الدين وتكون على معنى اللام فكانه عليه الصلاة والسلام قال كل مولود يولد للدين أجله الدين لان الله تعالى لم يخلق من يبالغ مبالغ المكلفين إلا ليعبدوه فينتفع بعبادته بذلك قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) والدليل على ان عدم مقام اللام ما حكاه ابن السكيت عن أبي زيد عن العرب انهم يقولون صف علي كذا حتى أعرفه بمعنى صف لي ويقولون ما أغيتك علي يريدون ما أغيتك لي والهم بعض الصفات مقام بعض فيقولون سقط الرجل لوجهه يريدون على وجهه •• الطرماح

كَانَ مَحْوَاهَا عَلَى ثَلَاثِ مَعْرِسٍ خَمْسٍ وَقَعَتْ لِلْجَنَانِ (١)

وقال عنتره

شَرِبْتُ مَاءَ الدَّخْرِ ضَيْنٌ قَاصٍ زُورَاءُ تَنْفَرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ
معناه شربت الماء الدخري ضين قاص زوراء تنفر عن حياض الديلم
الأشهر وهو الدخري وإنما ساء عليه الصلاة والسلام بالفطرة التي هي الخلق

(١) - نحوها - تجافها في وثقاتها - جمع ثقة بكسر الفاء وهي ركنها وما مس الأرض من كركرتها ولصوص أنفاذا - ومعرس خمس - موضع تعربها أي نزولها آخر الليل للاستمرار أي خمس من القطا - ووقعت - بركت - والجنان - عظام الصدر وقيل بلع وقيل أطراف الأضلاع مما يلي قص الصدر وعظم الصاب الواحد جنجن ليرما ويقتحان وقيل واحدا جنجون

معه من النسخ لم نحتاج الى غيره وانما توهم النسخ لاعتقاده ان خلقهم على الفطرة يمنع من الحاقهم بحكم آياتهم وذلك غير ممتنع .. وأما الجواب الذي حكاه عن ابن المبارك ففساد لان الله تعالى لا يجوز أن يخاق أحداً للكفر فكيف يخلفه وهو يأمره بالايان وبريد . منه ويعاقبه ويذمه على خلافه .. فأما ما روى عنه عليه الصلاة والسلام وقدره عن أطفال المشركين فقال الله اعلم بما كانوا عاملين فانه يحتمل أن يكون عليه الصلاة والسلام سئل عن من أبلغ من أطفال المشركين كيف صورته والى أى شئ تنتهى عاقبته فقال عليه الصلاة والسلام الله أعلم بما كانوا يعملون فأراد أن ذلك مستور عنى ولو كانت المسألة عن اخترم طفلا لم يجوز أن يكون الجواب ذلك وأما ابن قتيبة فانه رد على أبي عبيد من غير وجه يقتضى الرد واعترض جواب ابن المبارك باعتبار العموم والخموص وكيف يلبه على فساد من هذه الجهة وقد اختار فى تأويل الخبر ما يحرى فى الفساد والاختلال بحرى تأويل ابن المبارك .. فأما النسخ فى الاخبار فجائز اذا تضمنت معنى الامر والنهي ويكون ما دل على جواز النسخ فى الامر دالا على جواز ذلك فيها وهذا مثل أن يقول عليه الصلاة والسلام الصلاة واجبة عليكم ثم يقول بعد زمان ليست بواجبة فيستدل بالثاني على نسخ الحكم الاول كما لو قال عليه الصلاة والسلام صلوا ثم قال لا تصلوا كان النهى الثاني ناسخاً الاول .. فأما الجواب الذي ذكره ابن قتيبة فمد يدا فساداً فيما تقدم من الأملى عند تأويلنا قوله تعالى (واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) وأفسدنا قول من اعتقد أنه مسح ظهر آدم عليه السلام واستخرج منه الذرية وأشهدوا على نفوسها وأخذ اقرارها بمعرفته بوجوده من الكلام ولا طائل فى إعادة ذلك

مجلس آخر ٥٧

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (فأما الذين شقوا فى النار لهم فيها الآيات)

الى قوله تعالى (الا ماشاء ربك عطاه غير مجذوذ) فقال ما معنى الاستثناء ههنا والمراد الدوام والتأبيد ثم ما معنى التمثيل بمدة السموات والأرض التي نفى وتنقطع .. الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجود .. أولها أن تكون الا وإن كان ظاهرها الاستثناء فلما راد بها الزيادة فكأنه تعالى قال (خالدين فيها مادامت السموات والأرض الا ماشاء ربك) من الزيادة لهم على هذا المقدار كما يقول الرجل لغيره لى عليك ألف دينار الا الفين الذين اقرضتكم ما وقت كذا وكذا فالالفان زيادة على الالف بغير شك لان الكثير لا يستثنى من القليل وهذا الجواب يختاره الفراء وغيره من المفسرين .. والوجه الثاني أن يكون المعنى الا ماشاء ربك من كونهم قبل دخول الجنة والنار في الدنيا وفي البرزخ الذي هو ما بين الحياة والموت وأحوال المحاسبة والعرض وغير ذلك لأنه تعالى لو قال خالدين فيها أبداً ولم يستثن لدوهم متوهم انهم يكونون في الجنة والنار من لدن نزول الآية أو من بعد انقطاع التكليف فصار للاستثناء وجه وفائدة معقولة .. والوجه الثالث أن تكون الا بمعنى الواو والتأويل فيها مادامت السموات والأرض وماشاه ربك من الزيادة واستشهد على ذلك بقول الشاعر

وكلُّ أخٍ مفارقة أخوه لعمراً بيلك إلا الفرقدان^(١)

(١) البيت من شواهد سيمويه والمغنى على أن الإضافة لـكل مع صحة جعلها أداة استثناء ونصب الفرقدين على الاستثناء كما هو الشرط في وصفية إلا .. قال ابن هشام في المغنى والوصف هنا تخصص فان ما بعد الامطابق لما قبلها لأن المعنى كل أخوين غير هذين السكوكيين متفارقان وليست الاستثنائية والا لكان الا الفرقدين بالنصب لانه بعد كلام تام موجب كما هو الظاهر مع كونه يستغرق وهو كل أخ كما نصب الشاعر في هذا البيت وهو من أبيات مذكورة في مختار أشعار القبائل لأبي تمام صاحب الحماسة لأسعد الدهلي وهو

وكل أخ مفارقة أخوه لشحط الدار الا ابني كنهام

وابنا شمام جبلان وما بفتح الشين العجبة وكسر الميم كندام وقيل ما جبلان في دار

معناه والفرقدان ويقول الآخر

وَأَرَىٰ لَهَا دَارًا بِأَغْدِرَةِ السِّبْ
إِلَّا رَمَادًا هَامِدًا دَفَعْتُ عَنْهُ الرِّيحَ خَوَالِدُ سَحْمُ

والمراد بالاهنسا الواو والا كان الكلام متناقضاً ٠٠ والوجه الرابع أن يكون الاستثناء الاول متصلاً بقوله تعالى (لهم فيها زفير وشهيق) وتهدير الكلام لهم في النار زفير وشهيق الامشاء ربك من أجناس العذاب الخارجة عن هذين الضربين ولا يتعلق الاستثناء بالخلود فان قيل فهبوا ان هذا أمكن في الاستثناء الاول كيف يمكن في الثاني

بنى تميم مما بلى دار عمرو بن كلاب وقيل شهم هو جبل وابناء رأساء وعند ابن الحاجب في البيت الشاهد شذوذ من ثلاثة أوجه أحدها انه اشترط في وقوع الصفة تعذراً للاستثناء وهنا يصح لو نصبه وثانيها وصف المضاف والمشهور وصف المضاف اليه وثالثها الفصل بين الصفة والموصوف بالخبر وهو قليل والبيت جاء في شعرين لمجابين أحدهما عمرو بن معد يكرب أنشده الجاحظ في البيان والتبيين له وكذا نسبة اليه المبرد في الكامل وصاحب جمهرة الاشعار وغيرهم والثاني حضرمي بن عامر الأسدي وهو القائل

أَلَا عَجِبْتَ عَمِيرَةَ أُمِّسَ لَمَّا رَأَتْ شَيْبَ الذَّوَابَةِ قَدْ عَلَانِي
تَقُولُ أَرَىٰ أَبِي قَدْ شَابَ بَعْدِي وَأَقْصَرَ عَنِ مَطَالِبَةِ الْغَوَانِي

الى أن قال

وَذِي فُجِعَ عَزَفَتْ النَّفْسُ عَنْهُ حَذَارُ الشَّامَتِينَ وَفَدَّ شَجَانِي
أَخِي ثَقَّةً إِذَا مَا لَيْلِيلُ أَفْضَىٰ إِلَىٰ بِؤُودِ جُلَّتِي كُفَانِي
قَطَعْتَ قَرِينَتِي عَنْهُ فَأَغْنَىٰ غَمَّ فَلَنْ أَرَاهُ وَلَنْ يَرَانِي
وَكُلَّ قَرِينَةٍ قَرَنْتَ بِأُخْرَىٰ وَلَوْ ضَلَّتْ بِهَا سَتُفَرَّقَانِ
وَكُلَّ أَخٍ مَفَارَقَهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرَقْدَانِ
فَكَانَ اجَابَتِي إِيَّاهُ أُنَى عَطَفْتُ عَلَيْهِ خَوَّارُ الْعَنَانِ

وهذا البيت الاخير يروي لعنتر بن شداد العبسي

•• قلنا يحمل الثاني على استثناء المسك في المحاسبة والموقف أو غير ذلك مما تقدم ذكره
 •• والوجه الخامس أن يكون الاستثناء غير مؤثر في النقصان من الخلود وإنما الغرض فيه أنه
 لو شاء أن يخرجهم وأن لا يخلدهم في أن التخليد إنما يكون بعيشته وإرادته كما يقول القائل
 لغيره والله لا ضربك إلا أن أرى غير ذلك وهو لا ينوي إلا ضربه ومعنا الاستثناء هنا
 أي لو شئت أن لا أضربك لعلت وتمكنت غير أنني أجمع على ضربك •• والوجه السادس
 أن يكون تعليق ذلك بالمشيئة على سبيل التأكيد للخلود والتبعية للخروج لأن الله تعالى
 لا يشاء إلا تخليدهم على ما حكم به •• دل عليه ويحري ذلك مجري قول العرب والله
 لا هجر لك إلا أن يشيب الغراب ويبيض القار ومعنى ذلك أني أهلك أبدأ من حيث
 علق بشرط معلوم أنه لا يحصل وكذلك معنى الآيتين والمراد بهما أنهم خالدون أبدأ
 لأن الله تعالى لا يشاء أن يقطع خلودهم •• والوجه السابع أن يكون المراد بالذين شقوا
 من أدخل النار من أهل الإيمان الذين ضمو إلى إيمانهم وطاعتهم المعاصي فقال الله تعالى
 أنهم معاقبون في النار إلا ما شاء ربك من إخراجهم إلى الجنة وإيسال ثواب طاعتهم إليهم
 •• ويجوز أيضاً أن يريد بأهل الشقاء هنا جميع الداخلين إلى جهنم ثم استثنى تعالى
 بقوله إلا ما شاء ربك أهل الطاعات منهم ومن يستحق ثواباً لا بد أنه يصل إليه فقال
 تعالى إلا ما شاء ربك من إخراج بعضهم وهم أهل الثواب وأما الذين سعدوا فأنما
 استثنى تعالى من خلودهم أيضاً لما ذكرناه لأن من نقل من النار إلى الجنة وخلد فيها
 لا بد من الإخبار عنه بتأييد خلوده من استثناء ما تقدم فكأنه تعالى قال أنهم خالدون
 في الجنة مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك من لوقت الذي أدخلهم فيه النار
 قبل أن ينقلهم إلى الجنة والذين شقوا على هذا الجواب هم الذين سعدوا وإنما أخرج
 عليهم كل لفظ في الحال التي تليق بهم إذا أدخلوا النار وعوقبوا فيها من أهل الشقاء وإذا نقلوا
 إلى الجنة من أهل الجنة والسعادة وقد ذهب إلى هذا الوجه جماعة من المفسرين كابن
 عباس وقتادة والضحاك وغيرهم وروى بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن
 عباس قال الذين شقوا ليس فيهم كافر وإنما هم قوم من أهل التوحيد يدخلون النار
 بذنوبهم ثم يفضل الله تعالى عليهم فيخرجهم من النار إلى الجنة فيكونون أشقياء في حال

سعداء في حال أخرى وأما تعليق الخلود بدوام السموات والأرض فقد قيل فيه إن ذلك لم يجعل شرطاً في الدوام وإنما علق به على سبيل التبعيد وتأكيده الدوام لأن العرب في مثل هذا عادة معروفة خاطبهم الله تعالى عليها لانهم يقولون لا أفصل كذا ما لاح كوكب وما أضاء الفجر وما اختلف الليل والنهار وما بلل بحر صوفة وما تفتت حمامة ونحو ذلك ومرادهم التأييد والدوام ويمجى كل ما ذكرناه مجرى قولهم لا أفعل كذا أبداً لانهم يعتقدون في جميع ما ذكرناه انه لا يزول ولا يتغير وعباداتهم إنما يمجى جونها بحسب اعتقاداتهم لا بحسب ما عليه الشيء في نفسه ألا ترى أن بعضهم لما اعتقدوا في الاصنام أن العبادة نحق لها سموها آلهة بحسب اعتقاداتهم وان لم تكن في الحقيقة كذلك وما يشهد لمذهبهم الذي حكيناه قول أبي الجويرية العبدى

ذَهَبَ الْجُودُ وَالْجُنْدُ جَمِيعاً فَعَلِيَ الْجُودُ وَالْجُنْدُ السَّلَامُ
أَصْبَحَا ثَاوِيَيْنِ فِي قَعْرِ مَرْت مَا تَنَنَّتْ عَلَى النُّصُونِ الْحَمَامُ

وقال الأعشى

أَلَسْتُ مُمْتَنِياً مَنْ نَحْتِ أَثْلَتْنَا وَلَسْتُ ضَائِراً مَا أَطَّتِ الْإِبِلُ

وقال الآخر

لَا أَفْتَا الدَّهْرَ أَبْكِيهِمْ بِأَرْبَعَةٍ مَا اجْتَرَّتِ الذِّبْ أَوْحَنَّتْ إِلَى بَلَدٍ

وقال زهير ميمناً عن اعتقاده دوام الجبال وانها لا تنفى ولا تتغير

أَلَا لَا أَرَى عَلَى الْحَوَاثِ بَاقِياً وَلَا خَالِداً إِلَّا الْجِبَالُ الرُّوَاسِياً

(١) - السحت - البرى - والأثل - بالفتح شجر معروف قيل هو الطرفاء وقبل السر وأحدثه أثلة وجمعه أثلات محركة وأثول بالضم - وأطت - من أطيأ الابل وهو قبيض جلودها عند الحكمة والنقيض بفتح النون وكسر القاف وفي آخره ضاد معجمة وهو صوت النسع والرحل والمفاصل والاضلاع

(٢) - رابع آملى

فهذا وجهه وقيل أيضاً في ذلك أنه أراد تعالى به الشرط وعنى بالآية دوام السموات والارض المبدلين لأنه تعالى قال (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) فأعلمنا تعالى انهما تبدلان وقد يجوز أن يديهما بعد التغيير أبداً بلا انقطاع وانما المنقطع هو دوام السموات والارض قبل التبدل والفناء ويمكن أيضاً أن يكون المراد انهم خالدون بمقدار مدة السموات والارض التي يعلم الله تعالى انقطاعها ثم يزيدها الله تعالى على ذلك ويخلدهم ويؤبد مقامهم وهذا الوجه يليق بالاجوبة التي تتضمن أن الاستثناء أريد به الزيادة على المقدار المقدم لا النقصان . [قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه وجدت أبا القاسم الآمدي قد ظلم البعثري في تفسير بيت له مضاف اليه مع ظلمه له في أشياء كثيرة تأولها على خلاف مراد البعثري وحكى قوله

كَالْبَدْرِ إِلَّا أَنَّهَا لَا تَجْتَلِي وَالشَّمْسِ إِلَّا أَنَّهَا لَا تَقْرُبُ

ثم قال وهذا فيه سؤال لانه لما قال - كالبدري الا انها لا تجتلي - فاللعنى أن عيون الناس كلهم ترى البدر وتجتلبه وهي لا تراها العيون ولا تجتلي ثم قال - والشمس الا انها لا تقرب - وانما قال لا تجتلي لانها محجوبة فاذا كانت في حجاب فهي في غروب لان الشمس اذا غربت إنما تدخل تحت حجاب فظاهر المعنى كالبدري الا أن العيون لا تراها والشمس الا أن العيون لا تفقدها قال وهذا القول متناقض كما ترى قال وأظنه أراد انها وان كانت في حجاب فانه لا يقال لها غربت تغرب كما يقال للشمس وانما يقال لها اذا سافرت بعدت وغرب اذا توجهت نحو الغرب وقد يقال للرجل أغرب عنا أي ابعد ولو استعار لها اسم الغروب للغروب عن الارض التي تكون فيها اذا طعنت عنها الي أرض أخرى كان ذلك حسناً جداً لا سباً وقد جعلها شمساً كما قال ابراهيم بن العباس الصولي

وَزَالَتْ زَوَالِ الشَّمْسِ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا فَمَنْ مَخْبِرِي فِي أَمْرِ أَرْضٍ غُرُوبُهَا

قال وقد يجوز أن يقول قائل انه أراد لا تقرب تحت الأرض كما تقرب الشمس وهذه معاذير ضيقة لأبي عبادة فان لم يكن قد أخطأ فقد أساءه . [قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه وما الخطي غير الآمدي ومراد البعثري بقوله أوضح من أن يذهب على متأمل

لأنه أراد بقوله - والشمس لأنها لا تقرب - أي أنها لا تصبح حيث يتعذر رؤيتها ويمتنع كما يتعذر رؤية الشمس على من غربت عن أفق بلده والمرأة وإن احتجبت باختيارها فإن ذلك ليس بغروب كغروب الشمس لأنها إذا شاعت ظهرت وبرزت للعيون والشمس إذا غربت فرويتها غير ممكنة ولهذا لا يصح أن يقال فيمن استظل بدار أو جدار عن الشمس أنها غربت عنه وإن كان غير راء لها لأن رؤيتها ممكنة بزوال ذلك المانع وكذلك القول في احتجاب المرأة فلا تساقض في بيت البحرى على ما ظنه الآمدى . . . وللبعضهم في هذا المعنى

قد قلت للبدر واستمبزت حين بدا ما فيك يا بدر لي من وجهها خلف
تبدي لنا كلما شئنا محاسنها وأنت تنقص أحيانا وتنكسف

فمعنى قوله - فأنت تنقص وتنكسف - جار مجرى غروب الشمس لأنه فضله على البدر من حيث كان بروزها لمبصرها موقوفا على اختيارها والبدر ينقص وينكسف على وجهه لا يمكن رؤيته كما فضله البحرى بأنها لا تقرب حتى يصير رؤيتها مستحيلة والشمس كذلك . . . وقد ظلم الآمدى البحرى في قوله

لا العذل يردعه ولا الله حنيف عن كرم يصدّه

قال الآمدى وهذا عندي من أعجبي ما مدح به خليفة وأقبحه ومن ذا يعنف الخليفة على الكرم أو يصدّه إن هذا بالهجو أولى منه بالمدح . . . [قل الشريف المرتضى] رضى الله عنه وللبعثرى في هذا عذر من وجهين . . . أحدهما أن يكون الكلام خرج مخرج التقدير فكأنه قال لو عنف وعذل لما صدّه ذلك عن الكرم وإن كان من حق العذل والتعنيف أن يصد أو يحجز عن الشيء وهذا له نظائر في القرآن وفي كلام العرب كثير مشهور وقد مضى فيما أملينا شيء من ذلك . . . والوجه الآخر أن العذل والتعنيف وإن لم يتوجها إليه في نفسه فهما موجودان في الجملة على الاسراف في البذل والجلود بفنائس الاموال ولم يقل البحرى إن عذله يردعه أو تعنيفه يصدّه وإنما قال لا العذل يردعه ولا التعنيف يصدّه فكأنه أخطأ بأن ما يسمعه من عذل العذل على الكرم

وتعنيفهم على الجود وان كان متوجهاً إلى غيره فهو غير صادله لقوة عزيمته وشدة بصيرته
 .. وعما خطأ الآمدي البحرى فيه وان كان له فيه عذر صحيح لم يهتد اليه قوله

ذَنْبٌ كَمَا سَحَبَ الرَّذَاءُ يَذْبُ عَنْ عُرْفٍ وَعُرْفٌ كَالْقِنَاعِ السُّبُلِ

قال الآمدي وهذا خطأ من الوصف لان ذنب الفرس اذا لمس الأرض كان عيباً فكيف
 اذا سحبه وانما الممدوح من الأذئاب ما قرب من الأرض ولم يمسها كما قال امرؤ القيس
 بضافٍ فَوَيْتِ الْأَرْضَ لَيْسَ بِأَعَزَلٍ^(١)

قال وقد غيب امرؤ القيس بقوله

لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْعُرُوسِ تَسْدُ بِهِ فَرْجَهَا مِنْ دُبُرٍ

قال وما أرى العيب يلحق امرأ القيس لان العروس وان كانت تسحب أذيالها وكان
 ذنب الفرس اذا لمس الأرض عيباً فليس بمنكر أن يشبه به الذنب وان لم يبلغ الى أن يمس
 الأرض لان الشيء انما يشبه الشيء اذا قاربه أو دنا من معناه فاذا أشبهه في أكثر أحواله فقد
 صح التشبيه ولاق به وامرؤ القيس لم يقصد أن يشبه طول الذنب بطول ذيل العروس ط
 وانما أراد السبوغ والكثرة والكثافة ألا ترى أنه قال تسد به فرجها من دبر - وقد
 يكون الذنب طويلاً يكاد يمس الأرض ولا يكون كثيفاً ولا يسد فرج الفرس فلما قال
 تسد به فرجها علمنا أنه أراد الكثافة والسبوغ مع الطول فاذا أشبه الذنب الذيل من
 هذه الجهة كان في الطول قريباً منه فالتشبيه صحيح وليس ذلك بموجب للعيب وانما
 العيب في قول البحرى * ذنب كما سحب الرداء * فأفصح بأن الفرس يسحب ذنبه .. ومثل
 قول امرئ القيس قول خداس بن زهير

لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْهَدْيِ إِلَى جَوْجُوءٍ أَيْدِ الزَّافِرِ

- والهدي - العروس التي تهدي الى زوجها - والأيدي - الشديد - والزافر - الصدر لانها تفر منه

(١) وصدره * كبت إذا استقبلته سد فرجه * الخ - والاعزل - من الخيل الذي يقع ذنبه

في جانب وهو عادة لا خلقه وهو عيب

قال فشبه الذنب الطويل السابغ بذيل الهدي وان لم يبلغ في الطول الى أن يمس الارض . .
 [قال الشريف] رضى الله عنه وللبحتري وجه في العذر يقرب من عذر امرئ القيس
 في قوله مثل ذيل العروس غير أن الآمدى لم يظن له وأول ما أقوله ان الشاعر لا يجب
 أن يؤخذ عليه في كلامه التحقيق والتحديد فان ذلك متى اعتبر في الشعر بطل جميعه
 وكلام القوم مبنى على التجوز والتوسع والاشارات الخفية والاياء على المعاني تارة من
 بعد وتارة من قرب لانهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة وأصحاب المنطق وانما خاطبوا
 من يعرف أوضاعهم ويفهم اغراضهم وانما أراد البحتري بقوله - ذنب كاسحب الرداء - المبالغة
 في وصفه بالطول والسبوغ وأنه قد قارب أن ينسحب وكاد يمس الأرض ومن شأن العرب
 أن تجري على الشيء الوصف الذي كان قد يستحقه وقد قرب منه القرب الشديد فيقولون
 قتل فلاناً هوي فلانة ووله عقله وزال تمييزه وأخرج نفسه وكل ذلك لم يقع وانما
 أرادوا المبالغة وإفادة المقاربة والمشاركة ونظائر ذلك أكثر من أن نحصى ومن شأنهم
 أيضاً اذا أرادوا المبالغة التامة أن يستعملوا مثل هذا فيشبهون الكفل بالكثير
 وبالدمع وبالثل ويشبهون الخصر بوسط الزنبور وبقدار حلقة الخاتم ويعدون هذا غاية
 المدح وأحسن الوصف ونحن نعلم أننا رأينا من خصره مقدار وسط الزنبور وكفله
 كالكتيب العظيم لاستبعدناه واستبعدنا صورته لنكارتها وقبحها وانما أتوا بالفاظ المبالغة
 صنعة وتأنقاً لا لتحمل على ظواهرها تحديداً وتحقيقاً بل ليفهم منها الغاية الحمودة والنهاية
 المستحسنة ويترك ما وراء ذلك فاننا نفهم من قولهم خصرها كخصر الزنبور انه في غاية
 الدقة المستحسنة في البشر ومن قولهم كفله كالكتيب انه في نهاية الوثارة الحمودة
 المطلوبة لا أنه كالثل على التحقيق فهكذا لا ننكر أن يريد البحتري بقوله كاسحب الرداء
 أنه في غاية الطول الممدوح المحمود لانه يجز في الارض على الحقيقة ووكنا في تخليص
 معناه وتفصيله الى العادة الجارية لظرائره من الشعراء في استعمال مثل اللفظ الذي

استعمله . . قال بعضهم في نقل العجيزة

تمشي فتشقلها روادفها . فكأنها تمشي إلى خلف

وقال المؤمل

من رأى مثل حَبَّتِي تُشْبهُ الْبَدْرَ إِذْ بَدَأَ
تَدْخُلُ الْيَوْمَ ثُمَّ تَدْ خُلْ أَرْدَافُهَا غَدَا

وقال ذو الرمة

وَرَمَلْ كَأُورَاكِ الْعَذَارَى قَطَعْتُهُ وَقَدْ جَلَّتْهُ الْمُظْلِمَاتُ الْحَنَادِسُ^(١)

وكل هذا الكلام لو حمل على ظاهره وحقيقته لكان الموصوف به في نهاية القبح لان من يمتني الى خائف ومن يدخل كفه بعده لا يكون مستحسناً ٥٥ وقال بكر بن النطاح

فِرْعَاءٌ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامٍ فِرْعَاءُ وَتَغِيبُ فِيهِ وَهَوْجَتُهُ اسْحَمُ
فَكَأَنَّهَا فِيهِ نَهَارٌ سَاطِعٌ وَكَأَنَّهَا لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمٌ

فوصف شعرها بأنه ينسحب مع قيامها ونحن نعلم أن طول الشعر وان كان مستحسناً فليس الى هذا الحد وانما أراد بقوله تسحب شعرها ما أراد البعترى بقوله كما سحب

(١) هذا البيت أورده ابن جني في الخصائص في باب غلبة الفروع للأصول فقال هذا فصل من العربية طريف تجده في معاني العرب كما تجده في معاني الاعراب ولا تكاد تجد شيئاً من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة فما جاء فيه ذلك للعرب قول ذى الرمة ورملة كاوراك العذارى قطعته إذا ألبسته المظلمات الحنادس

أفلا ترى ذا الرمة كيف جعل الاصل فرعا والفرع أصلاً وذلك ان العادة والعرف في نحو هذا ان تشبه أعجاز النساء بكشبان الانقاء الى أن قال فغلب ذو الرمة العادة والعرف في هذا فشبه كشبان الانقاء بأعجاز النساء وهذا كأنه يخرج مخرج المبالغة أى قد ثبت هذا الموضع وهذا المعنى لأعجاز النساء فصار كأنه الاصل فيه حتى شبه به كشبان الانقاء الى أن قال وآخر ماجاء به شاعرنا يعني المثلبي

نحن ركبٌ ملجن في زى ناس فوق طير على شخوص الجمال
لنعمل كونهم جنا أصلاً وجعلهم كونهم ناساً فرعا وجعل كون مطايا طيراً أصلاً وكونها جمالا فرعا فشبه الحقيقة بالجاز في المعنى الذي منه أفاد الجاز من الحقيقة ما أفاد

الرداء من المبالغة في الوصف بالطول المحمود دون المذموم

مجلس آخر ٥٨

[تأويل الآية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (أسمع بهم وأبصر^(١) يوم يأتوننا) الآية •• فقال متأويل هذه الآية فان كان المراد التعجب من قوة أسماعهم ونفاذ أبصارهم فكيف يطابق ما خبر به عنهم في مواضع كثيرة من الكتاب بأنهم لا يبصرون ولا يسمعون وان على أسماعهم وأبصارهم غشاوة وما معنى قوله تعالى (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) أي يوم هو اليوم المشار اليه وما المراد بالضلال المذكور •• الجواب قلنا أما قوله تعالى (أسمع بهم وأبصر) فهو على مذهب العرب في التعجب ويجري مجرى قولهم ما أسمعهم وما أبصرهم والمراد بذلك الإخبار عن قوة علومهم بالله تعالى في تلك الحال وانهم عارفون به على وجه الاعتراض للشبهة عليه وهذا يدل على أن أهل الآخرة عارفون بالله تعالى ضرورة ولا تنافي بين هذه الآية وبين الآيات التي أخبر تعالى

(١) قوله أسمع بهم وأبصر أي بهم وحذف المتعجب منه هنا لدلالة هم السابقة مع كونه فاعلا لان لزومه الجر كساء صورة الفضلة خلافاً للفارسي وجاعة فانهم ذهبوا الى أنه لم يحذف ولكنه استتر في الفعل حين حذف الباء كما في قولك زيد كفى به كاتباً ورد ابن مالك بوجهين •• أحدهما لزوم إبرازه حينئذ في التثنية والجمع •• والثاني ان من الضمائر ما لا يقبل الاستتار كما من أكرم بنا فان لم يدل عليه دليل لم يحذف أمافي ما أفعله فلعمروه إذ ذاك عن الفائدة فانك لو قلت ما أحسن أو ما أجمل لم يكن كلاما لان معناه ان شيئاً صير الحسن واقما على مجهول وهذا مما لا يتكر وجوده ولا يفيد التحدث به وأما نحو أفعال به فلا يحذف منه انتعجب لغير دليل لانه فاعل وأما قول عروة بن الورد فذلك ان يلقى النية يلحقها حميداً وان يستغن يوماً فاجدر

حذف المتعجب منه ولم يكن معطوفاً على مثله فحاشا

عنهم فيها بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون وبأن على أبصارهم غشاوة لأن تلك الآيات تناولات
أحوال التكليف وهي الأحوال التي كان الكفار فيها ضلالا عن الدين جاهلين بالله تعالى
وصفاته وهذه الآية تتناول يوم القيامة وهو المعنى بقوله تعالى يوم يأتوننا وأحوال
القيامة لا بد فيها من المعرفة الضرورية وتجري هذه الآية مجرى قوله تعالى (لقد كنت
في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) ٠٠ فأما قوله تعالى (لكن
الظالمون اليوم في ضلال مبين) فيحتمل أن يريد تعالى بقوله اليوم الدنيا وأحوال
التكليف ويكون الضلال المذكور إنما هو الذهاب عن الدين والعدول عن الطريق
فأراد تعالى أنهم في الدنيا جاهلون وفي الآخرة عارفون بحيث لا تنفعهم المعرفة ويحتمل
أن يريد تعالى باليوم يوم القيامة ويعني تعالى بالضلال المعدول عن طريق الجنة ودار
الثواب إلى دار العقاب فكأنه قال أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا غير أنهم مع معرفتهم
هذه وعلمهم يصيرون في هذا اليوم إلى العقاب ويمدل بهم عن طريق الثواب وقدروي
معنى هذا التأويل عن جماعة من المفسرين فروي عن الحسن في قوله تعالى [أسمع
بهم وأبصر يوم يأتوننا] قال يقول تعالى هم يوم القيامة سمعاء بصراء لكن الظالمون في
الدنيا سمعاء وبصراء ولكنهم في ضلال عن الدين مبين ٠٠ وقال قتادة وابن زيد
ذلك والله يوم القيامة سمعوا حين لم ينفعهم السمع وأبصروا حين لم ينفعهم البصر ٠٠ وقال
أبو مسلم بن بحر في تأويل هذه الآية كلاما جيدا فقال معنى أسمع بهم وأبصر ما أسمعهم
وأبصرهم وهذا على طريق المبالغة في الوصف يقول فهم يوم يأتوننا يوم القيامة سمعاء
بصراء أي علمون وهم اليوم في دار الدنيا في ضلال مبين أي جهن واضح قال وهذه
الآية تدل على أن قوله (سمع بهم عمى فهم لا يعقلون) ليس معناه الآفة في الأذن
والعين والجوارح بل هو أنهم لا يسمعون عن قدرة ولا يتدبرون ما يسمعون ولا
يعتبرون بما يرون بل هم عن ذلك غافلون فقد نرى أن الله تعالى جعل قوله تعالى
(لكن الظالمون اليوم في ضلال) مقابلا لقوله تعالى أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا أي
ما أسمعهم وما أبصرهم فأقام تعالى السمع والبصر مقام الهدى إذ جعله بازاء الضلال
المبين ٠٠ فأما أبو علي بن عبد الوهاب فإنه اختار في تأويل هذه الآية غير هذا الوجه

ونحن نحكي كلامه على وجهه قل وعنى بقوله اسمع بهم وابصر أى اسمعهم وابصرهم وبين لهم أنهم إذا أتوا مع الناس الى موضع الجزاء سيكونون في ضلالٍ عن الجنة وعن الثواب الذي يناله المؤمنون .. والظالمون الذين ذكرهم الله تعالى هم هؤلاء نوعدهم بالعذاب في ذلك اليوم .. ويجوز أيضاً ان يكون عنى بقوله اسمع بهم وابصر اي اسمع الناس بهؤلاء الانبياء وابصرهم بهم ليعرفوهم ويعرفوا خبرهم فيؤمنوا بهم ويقنعوا بأعمالهم واراد بقوله تعالى لكن الظالمون لكن من كفر بهم من الظالمين اليوم وهو يعنى يوم القيمة في ضلالٍ عن الجنة وعن نيل الثواب مبين وهذا الموضع من جملة المواضع التي استدرك على ابي على وينسب فيها الى الزلل لأن الكلام وان كان محتملاً لما ذكره بعض الاحتمال من بُعد فان الاولى والاطهر في معنى ما تقدم ذكره من المبالغة في وصفهم وقوله تعالى (لكن الظالمون اليوم في ضلالٍ مبين) بعد ما تقدم لا يليق الا بالمعنى الذي ذكرناه لاسيما اذا حمل اليوم على ان المراد به يوم القيمة على ان ابا على جعل قوله تعالى لكن الظالمون اليوم في ضلالٍ مبين من صلة قوله تعالى اسمعهم وابصرهم وتأوله على ان المعنى به اعلمهم وابصرهم بأنهم يوم القيمة في ضلالٍ عن الجنة والكلام يشهد بان ذلك لا يكون من صلة الاول وان قوله تعالى لكن استئناف اكلام ثان وما يحتاج ابو على الى هذا بل لو قل على ما اختاره من التأويل انه اراد تعالى اسمعهم وابصرهم يوم يأتوننا اي ذكرهم باحوالهم واعلمهم بما فيه ثم قال مستأنفاً لكن الظالمون اليوم في ضلالٍ مبين لم يحتاج الى ما ذكره وكان هذا اشبه بالصواب .. فاما الوجه الثاني الذي ذكره فباطل لان قوله تعالى اسمع بهم وابصر اذا تعلق بالانبياء الذين ذكرهم الله تعالى في قوله عز وجل يوم يأتوننا بلا عامل ومحال ان يكون ظرف لا عامل له فلا قرب والاولي ان يكون على الوجه الاول مفعولاً .. ووجدت بعض من اعترض على ابي على يقول راداً عليه لو كان الامر على ما ذهب اليه ابو على لوجب ان يقول تعالى اسمعهم وابصرهم بغيرياء وهذا الرد غير صحيح لأن الباء في مثل هذا الموضع غير منكرة زيادتها وذلك .. وجود كثير في القرآن والشعر وغيره قال الله تعالى (اقرأ باسم ربك الاعلى الذي .. وعينا يشرب بها عباد الله .. وهزى اليك بجذع النخلة ..

وتلقون اليهم بالمودة) .. وقال الاعشى

ضَمِنْتَ بَرَزَقِ عِيَالِنَا أَرْمَاحُنَا

وقال امرؤ القيس

هَضَرْتُ بَغْضَنَ ذِي شَمَارِيحَ مِيَالٍ ^(١)

واظن ابا على انما شبهته بهذا الجواب لانه وجد تالبا للآية لفظ امرؤ وهو قوله تعالى (وانذرهم يوم الحسرة) فدل الاول على الثاني والكلام لانتشبه معانيه من حيث المجاورة بله الواجب ان يوضع كل منه حيث يقتضيه معناه .. [قال المرتضى] رضى الله عنه وجدت جماعة من اهل الادب يستبعدون ان يرتج على انسان في خطبة وكلام قصد له فينبعث منه في تلك الحال كلام هو و احسن مما قصد اليه وابلغ مما ارتج عليه دونه ويقولون ان اللسان لا يكون الا عن حيرة وضلالة فكيف تجتمع معهما البراعة الثاقبة والبلاغة الماثورة مع حاجتهما الي اجتماع المكرة وحضور الذكر وينسبون جميع ما يحكى من كلام مستحسن ولفظ مستعذب عن حصر في خطبة أو في منطق الى انه موضوع مصنوع وليد الذي استبعدوه وانكروه يبعد ولا منكر لان اللسان قد يخص شيئا دون شئ ويتعاقب بجهة دون جهة وهذا امر متعارف فلا ينكر ان ينسب الانسان شيئا قصده وعزم على الكلام فيه ، يكون مع ذلك ذا كراً لغيره متكلما فيه بابلغ الكلام واحسنه بل ربما كان الحصر والذهاب عن القصد بمحيي القرينة وبوقدان الفكرة فيبعثان على احسن الكلام وابرعه ليكون ذلك هرباً من العي وإنشاء من اللكنة .. ومن احسن ما روى من الكلام وابرعه في حال الحصر والاقطاع عن المقصود من الكلام ما اخبرنا به ابو عبيد الله محمد المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا ابو حاتم قال المرزباني واخبرنا ابن دريد مرة اخرى وقال حدثنا السكن ابن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن السكبي قال قال سعد خالد بن عبد الله القسري

(١) وصدرة * فلما تنازعنا الحديث واسمعت * فمضى - اسمعت - سهلت

ولانت - وهضرت بغضن - ثبت غصنا والباء زائدة

يوماً المنبر بالبصرة فارتج عليه فقال أيها الناس ان الكلام وقال ابو حاتم ان هذا القول
يحيى احياناً ويذهب احياناً فيتسبب عند مجيئه سببه ويعز عند عزوبه طلبه
وربما كوبر فاني وعولج فابطلى وقال ابن الكلبي ربما طلب فاني وعولج فقسا والثاني
لجيشه أصوب من التعاطي لأبيه ثم نزل فارؤى حصر ابلغ منه وقال ابو حاتم والترك لأبيه
أفضل من التعاطي لجيشه وتجاوزة عند تعذره اولى من طلبه عند تشكره وقد يختلج من
الجرى جناحه ويرتج على البليغ لسانه ثم نزل . واخبرنا بهذا الخبر ابو عبيد الله المرزباني
على وجه آخر قال اخبرنا ابراهيم بن محمد بن هرفة الواسطي قال كان خالد بن عبد
الله القسري حين ولاة هشام بن عبد الملك يكثر الخطب والتباليغ فقدم واسط فصعد
المنبر فحاول الخطبة فارتج عليه فقال أيها الناس ان هذا الكلام يحيى احياناً ويعزب
احياناً فيعز عند عزوبه طلبه ويتسبب عند مجيئه سببه وربما كوبر فاني وعوسر
فقسا والثاني لجيشه اسهل من التعاطي لأبيه وتركه عند تعذره احمد من طلبه عند
تشكره وقد يرتج على اللسان لسانه ولا ينظاره القول اذا اتسع ولا يتيسر اذا امتنع ومن
لم يتمكن له الخطوة فليبق ان تعن له النبوة .^(١) واخبرنا المرزباني قال اخبرنا ابو
عبد الله ابراهيم بن محمد بن هرفة قال حدثني ابو العباس المصوري قال صعد ابو
العباس السفاح المنبر فارتج عليه فقال أيها الناس ان اللسان بضعة من الانسان يكل اذا
كل وينفسح بانفساحه اذا فسح ونحن امراء الكلام منا تفرعت فروعه وعلينا نهداث
غصونه الا وانا لا نتكلم هذراً ولا نسكت الا معتبرين ثم نزل فبلغ ذلك ابا جعفر فقال
لله هو لو خطب بمنلى ما اعتذر لكان من اخطب الناس وهذا الكلام يروي لداود
ابن علي . وبهذا الاسناد عن محمد بن الصباح عن قثم بن جعفر بن سليمان عن ابيه
قال اراد ابو العباس السفاح يوماً ان يتكلم بامر من الامور بعدما افضت الخلافة اليه

(١) وروي ابو علي القمالي قال حدثنا ابو بكر رحمه الله قال اخبرنا السكن بن

سعيد عن العباس بن هشام الكلبي قال صعد خالد بن عبد الله القسري يوماً المنبر بالبصرة
ليخطب فارتج عليه فقال أيها الناس ان الكلام ليحيى احياناً فيتسبب سببه ويعزب
احياناً فيعز مطلبه وربما طواب فاني وكوبر فمعني فالثاني لجيشه أصوب من التعاطي لأبيه

وكان فيه حياء مفراط فارتج عليه فقال داود بن علي بعد ان حمد الله وأثنى عليه ايها الناس ان امير المؤمنين الذي قلده الله سياسة رعيته عقل من لسانه عند ما يعهد من بيانه ولكل مرآق بهر حتى تنفسه العادات فابشروا بنعمة الله في صلاح دينكم ورغد عيشكم .. واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابراهيم بن محمد بن عرفة قال حدثني عبد الله بن اسحق بن سلام قال سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه المنبر فارتج عليه فقال ايها الناس سيجعل الله بعد عسر يسراً وبعد عي نطقاً وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال .. وروي محمد بن يزيد النحوي هذا الكلام بعينه عن يزيد بن ابي سفيان وقد خطب على بعض منابر الشام وان عمرو بن العاص لما بلغه كلامه قال من مخرجاتي من الشام استحسننا لكلامه .. وروي محمد بن يزيد النحوي قال بلغني ان رجلاً سمع المنبر ايام يزيد وكان والياً على قوم فقال لهم ايها الناس اني ان لم اكن فارساً طبعاً بهذا القرآن فان مئ من اشعار العرب ما ارجو ان يكون خلفاً منه وما اساء القائل احو البراجم حيث قال

وما عاجلات الطير يُذنين للفتى رَشَادًا وَلَا مِنْ رِيْثِنَ يَحْيِبُ^(١)
وَرُبَّ أُمُورٍ لَا تُضِيرُكَ ضَيْرَةٌ وَلِلْقَلْبِ مِنْ غُشَاةٍ وَجِيبُ
وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوطِنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تُنُوبُ

(١) يقول اذا لم تعجل له طير سائحة فليس ذلك بمبعد خيراً له عنه ولا اذا ابطأت خاب فعاجها لا ياتيها بخير وآجلها لا يدفع عنه انما له ما قدر له .. والعرب تزجر على السائح وتبرك به وتكره البارح وتتشام به وبعضهم يمسك والسائح ما ولاك مياصرة فامكنك رمية والبارح ما ولاك ميامنه فلا يمكنك رمية الا ان تحرف له .. وعاجلات الطير هي ان يخرج الانسان من منزله اذا اراد ان يزجر الطير فامر به في اول ما يبصر فهو عاجلات الطير وان ابطأت عنه وانتظرها فقد رأت اي ابعأت والاول عندهم محمود والثاني مذموم يقول ليس النجج بان يجعل الطائر العيران كما يقول الذين يزجرون الطير ولا الخبية في ابطائها وهذا رد علي مذهب الاصحاب والايات لابي بن الحارث

وَفِي الشَّكِّ تَفْرِيطٌ وَفِي الْحَزْمِ قُوَّةٌ وَيُخْطِى الْفَتَى فِي حَدِيثِهِ وَيُصِيبُ

فقال رجل من كلب ان هذا النبر لم ينصب للشعر بل ليعمد الله تعالى ويصل على النبي وآله عليهم الصلاة والسلام وللقرآن فقال أمالو أنشدتكم شعر رجل من كلب لسكرم فكذب الي يزيد بذلك فعزله وقال قد كنت أراك جاهلاً أحق ولم أحسب ان الحق بلغ بك الي هذا المبلغ فقال له أحق منى من ولاى ٥٥ وكان يزيد بن المهلب ولي ثابت قطنة بعض قرى خراسان فلما سعد المنبر حصر فنزل وهو يقول

فَالَا أَكُنْ أَفِيكُمْ خُطِيبًا فَإِنِّي بَسِيفِي إِذَا جَدَّ الْوَعْيُ لَخُطِيبُ

ف قيل له لوقات هذا على المنبر لست أخطب الناس فبلغ ذلك حاجب الفيل فقال

أَبَا الْعَلَاءِ لَقَدْ لَاقَيْتَ مَعْضِلَةً يَوْمَ الْعُرُوبَةِ مِنْ كَرْبٍ وَتَحْنِيقِ

أَمَّا الْقُرْآنُ فَلَا تُنْهَدِي لِمُحْكِمِهِ وَلَمْ تُسَدِّدْ مِنَ الدُّنْيَا بِتَوْفِيقِ

لَمَّا رَمَتْكَ عَيُونُ النَّاسِ هَبْتَهُمْ وَكَذَتْ تَشْرِقُ لَمَّا قُمْتَ بِالرِّيقِ

تَلَوِي اللِّسَانَ إِذَا رَمْتَ الْكَلَامَ بِهِ كَمَا هَوَى زَلْقِي مِنْ جَانِبِ النَّيْقِ^(١)

(١) - وكان سبب محو حاجب الفيل والفيل لقبه به ثابت قطنة واسم أبيه

ذبيان المازني وقيل معدان وقيل انه الملقب بالفيل لأنه كان يروض فيلاً للاعجاج ٥٥

ان حاجباً دخل على يزيد بن المهلب فلما مثل بين يديه أنشده

إِلَيْكَ أَمْتَطَيْتَ الْعَيْسَ تَسْعِينَ لَيْلَةً أَرْجِي نَدَا كَفَيْكَ يَا بَنَ الْمَهَابِ

وَأَنْتَ أَمْرٌ جَادَتْ سَمَاءُ بِمِيسَةٍ عَلَى كُلِّ حَى بَيْنَ شَرْقٍ وَغَرْبِ

فَجَدَى بِطَرْفِ أَعْوَجَى مَشْهُرِ سَابِمِ الشَّظِي عِلَى الْقَوَائِمِ - الْمَهَابِ

سَبُوحِ طَمَحِ الْعَارِفِ بِسِتْرِ مَرْجَمِ أَمْرٌ كَأَمْرَارِ الرِّشَاءِ الْمَشْدُبِ

طَوِي الضَّمْرَ مِنْهُ الْبَطْنُ حَقٌّ كَأَنَّهُ عَقَابُ نَدَاتٍ مِنْ شِمَارِخِ كَبْكَبِ

تَبَادُرِ جَنْحِ الدَّيْلِ فَرَخِينِ أَقْوَا مِنْ الزَّادِ مِنْ قَفَرٍ مِنَ الْأَرْضِ مَجْدِبِ

فَلَمَّا رَأَتْ صَيْدَا نَدَاتٍ كَأَنَّهُمَا دَلَاءُ نَهَاوِي مَرْفَأٍ بَعْدَ مَرْقَبِ

•• وروى أن بعض خلفاء بنى العباس وأنظنه الرشيد سعد المنبر ليخطب فسقطت على وجهه ذبابة فطردها فرجعت فحصر وارنج عليه فقال أعوذ بالله السميع العليم يا أيها الناس ضرب مثل! فاستمعوا له الآية الى قوله ضفف الطالب والمطلوب ثم نزل فاستحسن ذلك منه •• وما يشاكل هذه الحكاية ما حكاه عمر بن بحر الجاحظ قال كان لنا بالبصرة قاض يقال له عبيد الله بن سوار لم ير الناس حاكماً قط ولا زميناً ولا ركيناً ولا وقوراً ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذى ضبط وملك وكان يصلى الفداة في منزله وهو قريب الدار من مسجده فيأتي مجلسه فيعجبى ولا يزال منتصباً لا يحرك له عضو ولا يانفت ولا يحل حبوته ولا يحرك رجلاً عن رجل ولا يعتمد على أحد شقيه حتى كأنه بناء مبنى أو صخرة منصوبة فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة الظهر ثم يعود الى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة العصر ثم يرجع الى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم الى المغرب ثم ربما عاد الى مجلسه بله كثيراً ما يكون ذلك اذا بقي عليه من قراءة العهد والشروط والوئائق ثم يصلى العشاء وينصرف لم يقم في

فشكت سواد القلب من ذئب قفرة	طويل القري عارى العظام معصب
وسابغة قد أتقن القين صنعها	وأسر خطي طويل مجرب
وأبيض من ماء الحديد كأنه	شهاب منى بلق الضريبة يقضب
وقللى اذا ماشئت فى حومة الوغى	تقدم أواركب حومة الموت أركب
فانى امرؤ من غصبة مازنية	نماني أب ضخم كريم المركب

فأمر له يزيد بدرع وسيف ورمح وفرس وقال له قد عرفت ما شرطت لنا على نفسك فقال اصلى الله الامير حجتي بينة وهي قول الله عز وجل (والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم فى كل واد بهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون) فقال ثابت قطنة ما أعجب ما وفدت به من بلدك فى تسعين ليلة مدحت الامير بيتين وسألته حوائجك فى عشرة أبيات وختمت شعرك فى بيت تفخر عليه فيه حتى اذا أعطاك ما أردت حدثت عما شرطت له على نفسك فأكذبها حتى كأنك كنت تخدعه فقال له يزيد ما يأناب فانا لا نخدع ولكن نخادع وسوغه ما اعطاه وأمر له بألئ درهم ولح حاجب بهجو ثابئاً

طول تلك الولاية مرة واحدة الى الوضوء ولا احتاج اليه ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب وكذلك كان شأنه في طوال الايام وفي قصارها وفي صيفها وشتائها وكان مع ذلك لا يحرك يداً ولا يشير برأسه وليس الا أن يتكلم ثم يوجز ويبلغ بالكلام اليسير المعاني الكثيرة فينبأ هو كذلك ذات يوم وأصحابه حوالبه وفي الساعات بين يديه اذ سقط على أنفه ذباب فأطال السكوت والمكث ثم تحول الى موق عينه فرام الصبر في سقوطه على الموق وعلى عضته وغاز خرطوميه كإرام الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته أو يفضي وجهه أو يذب بأصبعه فلما طل ذلك من الذباب وأوجعه وأحرقه وقصد الي مكان لا يجتلي التغافل عنه أطبق جفنه الاعلى على جفنه الاسفل فلم ينهض فدعا ذلك الى أن والي بين الاطباق والفتح ففتح ريثما سكن ثم عاد الى موقه ثانياً أشد من مرته الاولى فغمس خرطوميه في مكان قد كان أوهاه قبل ذلك وكان احتماله أضعف وعجزه عن الصبر في الثانية أقوى فحرك أجفانه وزاد في شدة الحركة في تتابع الفتح والاطباق ففتح عنه بقدر ما سكنت حركته ثم عاد الى موضعه فما زال ملحاً عليه حتى استفرغ صبره وبلغ بجهوده فلم يجد بداً من أن يذب عن عينه بيده ففعل وعيون القوم اليه يرمقونه كأنهم لا يرونه ففتح عنه بمقدار ما رد يده وسكنت حركته ثم عاد الى موضعه فألجأ الى أن ذب عن وجهه بطرف كفه ثم ألجأ الى أن تابع بين ذلك وعلم أن ذلك كله بعين من حضر من أمنائه وجاسائه فلما نظروا اليه قال أشهد ان الذباب ألج من الخنفساء وأزهى من الغراب وأسغفر الله فما أكثر من أعجبته نفسه فأراد الله تعالى أن يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً وقد علمت اني كنت عند الناس من أرسن الناس وقد غابني وفضحتني أضعف خلق الله ثم تلا قول الله تعالى (ضعف الطالب والمطلوب)

— مجلس آخر ٥٩ —

[تأويل آية] ٥٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى (واذنبناكم من آل فرعون

يسومونكم سوم العذاب الى قوله تعالى - بلاء من ربكم عظيم) فقال ما تشكرون أن يكون في هذه الآية دلالة على اضافة الافعال التي تظهر من العباد الى الله تعالى من وجهين . . أحدهما أنه قال تعالى بعدما تقدم ذكره من أفعالهم ومعاصيهم وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم فاضافها الى نفسه . . والثاني أنه أضاف نجاتهم من آل فرعون اليه فقال تعالى واذا أنجيناكم ومعلوم أنهم هم الذين ساروا حتى نجوا فيجب ان يكون ذلك السير من فعله على الحقيقة حتى تصح الاضافة حينئذ . . الجواب قلنا أما قوله تعالى وفي ذلكم فهو اشارة الى ما تقدم ذكره من أنجائهم لهم من المكروه والعذاب وقد قال قوم أنه معطوف على ما تقدم من قوله تعالى (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي) الآية والبلاء ههنا الاحسان والنعمة ولا شك في أن تخليصه لهم من ضروب المكروه التي عددها الله نعمة عليهم واحسان اليهم . . والبلاء عند العرب قد يكون حسنا وقد يكون سيئاً قال الله تعالى (وليبلى المؤمنين منه بلاء حسناً) ويقول الناس في الرجل اذا أحسن القتال والثبات في الحرب قد أبلى فلان ولفلان بلاء والبلوى أيضاً قد يستعمل في الخير والشر الا ان أكثر ما يستعملون البلاء للممدود في الجليل والخير والبلوى المقصودة في السوء والشر فقال قوم أصل البلاء في كلام العرب الاختبار والامتحان ثم يستعمل في الخير والشر لان الاختبار والامتحان قد يكون في الخير والشر جميعاً كما قال تعالى (وبلوناكم بالحسنات والسيئات) يعني اختبرناهم وكما قال تعالى (ولنبلونكم بالخير والشر فتنة) فالخير يسمى بلاء والشر يسمى بلاء غير ان الأكثر في الشر أن يقال بلوته أبْلَوْهُ بِلَاءً وفي الخير أبْلَوْهُ أَبْلَاءً وبلاء . . وقال زهير في البلاء الذي هو الخير

جَزَى اللَّهُ بِالْإِحْسَانِ أَفْعَالًا بِكُمْ وَأَبْلَاءَهَا خَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو

لجميع بين اللتين لانه أراد أنعم الله عليهم ماخير النعمة التي يختبر بها عباده وكيف يجوز أن يضيف تعالى ما ذكره عن آل فرعون من ذبح الابناء وغيره الى نفسه وهو قد ذمهم عليه وبجهم وكيف يكون ذلك من فعله وهو قد عدّ تخليصهم منه نعمة عليهم وكان يجب على هذا أن يكون إنما نجاهم من فعله تعالى بفعله وهذا مستحيل لا يعقل

ولا يحصل على انه يمكن ان يرد قوله ذلكم الى ما اوجاه عن آل فرعون من الافعال القبيحة ويكون المعنى ان في تخليته بين هؤلاء وبينكم وتركه منهم من ايقاع هذه الافعال بكم بلاء من ربكم عظيم أي عنة واختبار لكم والوجه الاول أقوى وأولى وعليه جماعة من المفسرين . . وروى أبو بكر الهذلي عن الحسن في قوله تعالى (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) قال نعمة عظيمة اذ أنجياكم من ذلك وقد روى مثل ذلك عن ابن عباس والسدي ومجاهد وغيرهم . . فأما إضافة النجاة اليه وان كانت واقعة بسيرهم وفعلهم فلو دل على ما ظنوه لوجب اذا قلنا ان الرسول عليه الصلاة والسلام أنقذنا من الشرك وأخرجنا من الضلالة الى الهدى ونجانا من الكفر أن يكون فاعلاً لا فعلاً او كذلك قد يقول أحدنا لغيره أنا نحييتك من كذا وكذا واستنقذتك وخلاصتك ولا يريد انه فعل بنفسه فعله والمعنى في ذلك ظاهر لأن ما وقع بتوفيق الله تعالى ودلالته وهدايته ومعونته والطفه قد يصح اضافته اليه فعلي هذا صحت اضافة النجاة اليه تعالى . . ويمكن أيضاً أن يكون مضيفاً لها اليه تعالى من حيث ثبت عنهم الاعداء وشغافهم عن طلبهم وكل هذا يرجع الى المعونة فتارة تكون بأمر يرجع اليهم وتارة بأمر يرجع الى أعدائهم . . فان قيل كيف يصح أن يقول (واذا أنجيناكم من آل فرعون) فيخطب بذلك من لم يدرك فرعون ولا نجا من شره . . قلنا ذلك معروف مشهور في كلام العرب وله نظائر لأن العربي قد يقول مفتخراً على غيره قتالناكم يوم عكاظ وهزمناكم وانما يريد أن قومي فعلوا ذلك بقومك . . وقل الاخطأ به جرير بن عطية

ولقد سَمَّاكُمُ الْهَذِيلُ فَنَالَكُمُ بِإِرَابٍ حَيْثُ نُقْسِمُ الْأَنْفَالَا
فِي فَيْلَقٍ يَدْعُو الْأَرَاْقِمَ لَمْ تَكُنْ فُرْسَانُهُ عَزَلَا وَلَا أَكْفَالَا

ولم يالحق جرير الهذيل ولا أدرك اليوم الذي ذكره غير انه لما كان يوم من أيام قوم الأخطأ على قوم جرير أضاف الخطاب اليه والى قومه فكذلك خطاب الله تعالى بالآية انما توجهت الى أبناء من نجي من آل فرعون وأحلافهم والمعنى واذا أنجينا آباءكم وأسلافكم والنعمة على السلف نعمة على الخلف . . [قال الشريف المرتضى] رضى الله

عنه ومن أحسن الشعر في تعود الضيافة والانس بها والاستمرار عليها قول حاتم بن عبد الله الطائي

إِذَا مَا بَخِيلُ النَّاسِ هَرَّتْ كِلَابُهُ وَشَقَّ عَلَى الضَّيْفِ الْغَرِيبِ عَقُورُهَا
فَإِنِّي جَبَانُ الْكَلْبِ بَيْنِي مَوْطَأٌ جَوَادٌ إِذَا مَا النَّفْسُ شَخَّ ضَمِيرُهَا
وَإِنْ كِلَابِي مَذَا نَرَّتْ وَعَوَّدَتْ قَلِيلٌ عَلَيَّ مِنْ يَتَمَرِّبُنَا هَرِيرُهَا

أراد بقوله - على من يعتربنا هريرها - أنها لا تهر جلة ولذلك انطأرت كثيرة ^(١) ومثله قوله تعالى (فقليلاً ما يؤمنون) ومثل قوله فاني جبان الكلب معناً ولمظا قول الشاعر وما يك في من عيب فإني جبان الكلب مهزول الفصيل وإنما أراد اني أوثر الضيف بالالبان ففصالي مهزول . . ومثل اللفظ والمعنى قول أبي وجرة

(١) قوله ولذلك نظائر . . يريد ان قليلاً وقليلة يردان للنفي وهما في ذلك تابعان لنقل وأقل يقال قل رجل يقول ذلك الزيد بالضم وأقل رجل يقول ذلك الازيد معناها مارجل يقولوه الا هو فالقلة فيه للنفي المحض . . وقال ابن جنى لما ضارع المبتدأ حرف النفي بقوا المبتدأ بلا خبر . . وقد عقد ابن مالك فصلاً في التسهيل لهذه الكلمات ونصه فصل قد يقوم ما يفعل أحد أقل ملازماً للابتداء والاضافة الى نكرة موصوفة بصيغة مغنية عن الخبر لازم كونها فعلاً أو ظرفاً وقد تجعل خبراً ولا بد من مطابقة فاعها للنكرة المضاف اليها ويساوى أقل المذكور قل رافعاً مثل المجرور ويتصل بقل ما كافة عن طلب الفاعل فيلزم في غير ضرورة مباشرتها الالف وقد يراد بها حينئذ التقليل حتمية وقد يدل على النفي بقليل وقليلة فقوله ملازماً للابتداء أي فلا تقول كان أقل رجلاً يقول ذلك لأنه لما ناب مناب النفي كان له الصدر كالنفي وشمل قوله نكرة ما يقبل ال كرجل وما لا يقبلها نحو أقل من يقول ذلك والجملة انواقعة بعد هذه النكرة صفة لها في موضع جر والخبر محذوف أي كائن وليست خبر لمطابقتها للنكرة نحو أقل امرأة تقول ذلك

وَأَلُّ الزُّبَيْرِ بَنُو حُرَّةٍ مَرَّوَابِ السُّيُوفِ الصَّدُورَ الْجِنَافِ
يَمُوتُونَ وَالْقَتْلُ مِنْ دَأْبِهِمْ وَيَغْشَوْنَ يَوْمَ السُّيُوفِ السِّيَافِ
وَأَجْبَنُ مِنْ صَافِرٍ كُلِّبُهُمْ وَإِنْ قَدَفْتَهُ حَصَاةٌ أَضَافَا

يقول ادركوا بسيفوفهم ناراتهم فكانهم شفوا وغر قلوبهم وأزالوا ما كان فيها من الاحقاد ومعنى مروا - انمخرجوا كما ترمى الناقة اذا أردت أن تلحق بالندر - والجاتف - المائل . . ثم قال وان مات بعضهم على فراشه فان أكثرهم يموت مقتولا لشجاعتهم واقدامهم فلذلك قال والقتل من دأبهم وجعل كلهم جباناً لكثرة . . من يغشاهم ويطرقهم . . من الزنا والاضياف فقد ألغتهم كلامهم وأنست بهم فهي لا تتبعهم وقيل أيضاً انها لا تهر عليهم لانها تصيب مما يخر لهم وتشاركهم فيه . . ومعنى - وان قدفته حصاة اضافا - أى أشفق وهذا تأكيد لجبنه ويقال اضايف الرجل من الامر اذا أشفق منه . . ومعنى - أجبن من صافر كلهم - قد تقدم ذكره في الامالي . . ومثله في المعنى

يَغْشَوْنَ حَتَّى مَاتَهُ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ^(١)

[١] هذا البيت من قصيدة لحسان بن ثابت رضى الله عنه يمدح بها جبلة بن الايهم الغساني وقيل عمرو بن الحارث الاعرج ولكل من الروايتين قصة وعلى أنه عمرو قيل ان حسان لما قدم عليه اعتماس وصوله اليه ثم دخل عليه فوجد عنده النابغة الذبياني وعلقمة الفحل فقال له عمرو يا بن الفريضة قد عرفت عيصك ونسبك في غسان فارجع فاني باعت اليك بصلية سليمة ولا أحتاج الي الشعر فاني أخاف عليك هذين السبعين أن يفضحاك وفضيحتك فضيحتي وأنت والله لا تحسن أن تقول

دقاق النعال طيب حجارتهم يحبون بالريحان يوم السباسب

فلما أنشده حسان لم يزل يزحل عن موضعه سروراً وهو يقول هذا وأبيك الشعر لا ما يهللاني به منذ اليوم هذه والله البتارة التي بترت المدائح هات له يا غلام ألف دينار مرجوحة وهي التي في كل دينار منها عشرة دنانير ثم قال لك على في كل سنة منها . . . ومطلع القصيدة

وقال المرار بن المنقذ العدوي

أَعْرِفُ الْحَقَّ وَلَا أَنْكَرُهُ وَكَلَّابِي أَنْسُ غَيْرُ عَقْرُ
لَا تَرَى كَلْبِي إِلَّا أَنْسَا إِنْ أَتَى خَابِطُ لَيْلٍ لَمْ يَهْزُ
كَثُرَ النَّاسُ فَمَا يُنْكَرُهُمْ مِنْ أَسِيفٍ يَبْتَغِي الْخَيْرَ وَحُرُ

—الاسيف— العبد ههنا.. وقال آخر

إِلَى مَا جِدَ لَا يَنْبِجُ الْكَلْبُ ضَيْفَهُ وَلَا يَتَأَدَّاهُ احْتِمَالُ الْمَغَارِمِ

معنى —يتأدام— يثقله وأراد أن يقول يتأوده فقلب .. وقال ابن هرمة

وَإِذَا أَتَانَا طَارِقٌ مُتَوَرِّدٌ نَبَحَتْ فَدَلَّتْهُ عَلَى كِلَابِي

وَفَرِحْنَا إِذْ أَبْصَرْنَاهُ فَلَقَيْنَاهُ يَضْرِبُنْهُ بِشَرِّ أَشْرِ الْأَذْنَابِ^(١)

وانما تفرح به لأنها قد تعودت اذا زلت الضيوف أن يخبر لهم فتصيب من قراهم ومثله

وَمُسْتَنْبِجٌ تَسْتَكْشِطُ الرَّيْحُ ثَوْبَهُ لَيْسَ قَطُّ عَنْهُ وَهُوَ بِالثَّوْبِ مُعْصِمٌ

عَوَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَعْدَ اعْتِسَافِهِ لِيَنْبِجَ كَلْبٌ أَوْ لِيَفْزَعَ نَوْمٌ

فَجَاوَبَهُ مُسْتَسْمِعُ الصَّوْتِ لِلْقَرِيِّ لَهُ مَعَ إِيَّائِ الْمُهَيَّيْنِ مَطْعَمٌ

يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يُكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمٌ

أراد بقوله —جأوبه مستسمع الصوت— انه جأوبه كلب— والمهيون— الموقظون له ولا اله

وهم الاضياف وانما كان له معهم مطعم لأنه يخبر لهم ما يصيب منه .. وأراد بقوله —

أَسَاءَتْ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلْ بَيْنَ الْجَوَابِي فَالْبَضِيعِ غُفُومَلْ

ومنها لله در عصاة ناد مترهم دهر الجملق في الزمان الاول

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الانوف من الطراز الاول

(١) شر شر الكلب اذا ضرب بذنبه وحركة الانس

يكلمه من حبه وهو أعجم - بصيصه وتحريكه ذنبه ٠٠ وأما قوله - ليفزع نوم - فأنما أراد ليفيغث نوم يقال فزعت لفلان إذا أغثته ٠٠ ومعنى - عوي في سواد الليل - ان العرب تزعم ان سائر الليل اذا أظلم عليه وآدم فلم يستتب محجة ولم يدرك الحى وضع وجهه على الارض وعوي عواء الكلب ليسمع ذلك الصوت الكلاب ان كان الحى قريباً منه فتنجييه فيقصد الابيات وهذا معنى قوله أيضاً ومستنبح أى ينبح نباح الكلاب ٠٠ وقال الفرزق

وَدَاعَ بِلَحْنِ الْكَلْبِ يَدْعُو وَدُونَهُ مِنْ اللَّيْلِ سَجَفًا ظُلْمَةٌ وَغُيُومُهَا
دَعَا وَهُوَ يَزْجُو أَنْ يَنْبَهَ إِذْ دَعَا فَتَى كَأَنَّ لَيْلِي حِينَ غَارَتْ نُجُومُهَا

- ابن ليلي - يعنى أباه غالباً

بَعَثْتُ لَهُ دَهَاءَ لَيْسَتْ بِلِقْحَةٍ تَدُرُّ إِذَا مَا هَبَّ نَحْسًا عَقِيمُهَا

معنى - بعثت له دهاء - أى رفعها على أنافها ويعنى بالدهاء القدر - واللقحة - الناقة وأراد أن قدره تدر اذا هبت الريح عقيماً لا يطر فيها

كَأَنَّ الْمِحَالَ الْغُرِّيَّ فِي حُجْرَاتِهَا عَذَارِي بَدَتْ لَمَّا أُصِيبَ حَمِيمُهَا

أراد أن قطع اللحم فيها لانستتر بشئ منها كالانستتر العذارى اللواتى أصيب حميمهن وظهرن حواسر

غَضُوبًا كَحِزْمِ النَّعَامَةِ اِحْمَشَتْ بِأَجْوَازِ خُشْبٍ زَالَ عَنْهَا هَشِيمُهَا

- الاجواز - الاوساط وأوسط الخشب أصابه وأبقى ناراً

مُحْضَرَّةٌ لَا يَجْعَلُ السَّيْرُ دُونَهَا إِذَا الْمَرْضَعُ الْعَوْجَاءُ جَالَ بِرِيْمِهَا

- البريم - الحناب وانما يجول من المزال والجهد والطوي - والعوجاء - التى قد

اعوجت من الطوى ٠٠ وقال الأخطاف الضيف

دَعَانِي بِصَوْتٍ وَاحِدٍ فَأَجَابَهُ مُنَادٍ بِلَا صَوْتٍ وَآخِرُ صَيِّتٍ

ذكر ضيفاءوى بالليل والصدى من الجبل يجيبه فذلك معنى قوله - بصوت واحد -

وقوله - فأجابه مناد - يعنى ناراً رفعا له فرأى سناها فقصدها - والآخر الصيت -
الكلب لانه أجاب دعواه .. ومثله

وساري ظلام مفعّل وهبوة دَعَوْتُ بِضَوْ سَاطِعٍ فَاهْتَدَى لِيَا

يعنى ناراً رفعا ليقصده طراق الليل - والمفعّل - المتقبض من شدة البرد .. وأنشد محمد
ابن يزيد

وَمُسْتَنْبِحٌ تَهْوَى مَسَاقِطُ رَأْسِهِ إِلَى كُلِّ شَخْصٍ فَمَوْ لِلصَّوْتِ أَصْوَرُ

حَبِيبٌ إِلَى كَلْبِ الْكَرَامِ مَنَاخُهُ بَغِيضٌ إِلَى الْكُومَاءِ وَالْكَأْبِ أَبْصَرُ

دَعَتْهُ بِغَيْرِ اسْمٍ هَلُمَّ إِلَى الْقَرَى فَأَسْرَى يَبُوعُ الْأَرْضِ شَقَرَاءُ تَزْهَرُ^(١)

معنى - أصور - أى مائل أراد أنه يميل رأسه الى كل شخص يتخيل له يظنه انسانا ..

(١) الابيات من قطعة في غابة الحسن أردنا الاثيان بها مرثبة وهي

ومستنبح تهوي مساقط رأسه الى كل شخص فهو للسمع أصور

يصفقه أنف من الريح بارد وتكباء ليل من جمادي وصرصر

حبيب الى كلب الكريم مناخه بغيض الى الكوماء والكلب أبصر

حضأت له نارى فأبصر ضوؤها وما كان لولا حضأة النار يبصر

دعته بغير اسم هلم الى القرى فأسرى يبيع الارض والنار تزهر

فلما أضأت شخصه قلت مرحباً هلم وللصالحين بالنار أبشروا

فجاء ومحمود القرى يستنزه البها وداعى الليل بالصبح يصفر

تأخرت حتى كدت لم تصطفى القرى على أهله والحق لا يتأخر

وقت بنصل السيف والبرك هاجد بهازره والموت بالسيف ينظر

فأعضضته الطولي سناما وخيرها بلاء وخير الخير ما يتخير

فأوفض عنها وهي ترغو حشاشه بذى نفسها والسيف عريان أحمر

فباتت رحاب جونة من لحامها وفوها بما فى جوفها يتفرغر

ومعنى - حبيب الى كلاب الكرام - المعنى الذي تقدم . . . ومعنى - بغيبض الى الكوماء - الى النافقة لانها تخزله . . . وقوله - دعت شقراء - بغير اسم يعنى نارا رأى ضوءها فقصدها فكأنها دعت . . . وقال ابن هريرة وقد نزل به ضيف

فقلت لِقَيْنِيْ اَرْفَعُهَا وَحَرِّفَا لَعَلَّ سَنَا نَارِيْ بِآخِرِ تَهْتِفُ

وفي معنى قوله بغيبض الى الكوماء . . . قول بعض الشعراء يمدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وَأَيُّكَ خَيْرًا إِنَّ إِبْلَ مُحَمَّدٍ عَزْلُ تَنَاحٍ أَنْ تَهْبُ شَمَالُ

وَإِذَا رَأَيْنَ لَدَى الْفَنَاءِ غَرِيْبَةً ذَرَفَتْ لَهْنٌ مِنَ الدُّمُوعِ سَبَالُ

وَتَرَى لَهَا زَمْنَ الشِّتَاءِ عَلَى الثَّرَى رَخْمًا وَمَا بِجِيَالِهَا مِنْ فَصَالُ

أراد وأبيك الخبير فلما طرح الالف واللام نصب . . . والعزل - ألقى لاسلح معها وسلح لإبل سمها وأولادها وإنما جعلوا ذلك كالسلح لها من حيث كان صاحبها إذا رأى سمها وحسن حسنها ورأى أولادها تتبعها نفس بها على الاضياف فامتنع من نحرها فلما كان ذلك صادراً عن الذبح ومانعاً منه جرى مجرى السلح لها فكأنه يقول هذه الابله وان كانت ذوات سلح من حيث كانت سخيمة سمينة فهى كالعزل اذ كان سلحها لا ينفى عنها شيئاً ولا يمنع من عقرها . . . ومعنى - تناوح - تقابل بعضها بعضاً أى هن مدقات بأسننها وأوبارها لا تنبالي بهبوب الشمال ولا يدخل بعضها في بعض من البرد . . . وقوله - وإذا رأين لدى الفناء غريبة - أى اذا نزل ضيف فعقل ناقته التي جاء عليها وهي الغريبة علمن انه سينحر بعضهم لا محالة فلذلك تذرف دموعهن . . . وقوله - وترى لها زمن الشتاء على الثرى رخماً - فقد قيل فيه انه أراد به أن يهب فصالحن تهب - قى ألبنهن على الارض كهيئة الرخم . . . وحكي عن ابن عباس انه قال الرخم قطع العاق من الدم وعندى ان المعنى غير هذين جميعاً وإنما أراد انهما تنحرا وتعتقر فتسقط الرخم على موضع عقرها وبقياً دماً لها . . . وإنما فهذا معنى قوله لا ما تقدم . . . وقال آخر فى معنى سلح الابله يمدح بنى عوذ بن غالب بن عباس

جَزَى اللَّهُ عَنِّي غَايِبًا خَيْرَ مَا جَزَى
إِذَا اخَذَتْ نَزْلَ الْمُخَاضِ سِلَاحَهَا
تَجَرَّدَ فِيهَا مُتَلِفُ الْمَالِ كَأَسْبَبَةٍ

أَرَادَ أَنْ سَمْنَهَا وَحَسَنَهَا وَتَمَامَهَا لَا يَمْتَنِعُ مِنْ عَقْرِهَا لِلْإِضْيَافِ ٠٠ وَمِثْلُهُ

إِذَا الْبَقْلُ فِي أَصْلَابِ شَوْلِ بْنِ مُسِيرٍ
نَعَى لَمْ يَزِدْهُ الْبَقْلُ إِلَّا تَكْرُمًا
إِذَا أَخَذَتْ شَوْلُ الْبَحِيلِ رِمَاحَهَا
وَحَى بِزِمَاحِ الشَّوْلِ حَتَّى تَحْطُمَا

وَقَوْلُهُ - أَخَذَتْ رِمَاحَهَا - مِنَ الْمَعْنَى الْمَتَقَدِّمِ ٠٠ وَقَالَ ابْنُ مَسْكِينٍ الدَّارِمِيُّ

فَقَمْتُ وَلَمْ تَأْخُذْ إِلَيَّ رِمَاحَهَا
عِشَارِي وَلَمْ أَرْجُبْ عَرَاقِبَهَا عَقْرًا
- أَرْجُبُ - أَكْبَرُ ذَلِكَ وَلَمْ يَعْظُمْ عَلَى وَاسْمِي رَجَبٌ رَجَبًا مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّهُ شَهْرٌ مَعْلُومٌ
٠٠ وَقَالَتْ لَيْلَى الْإِخْلَاطِيَّةُ

وَلَا تَأْخُذْ الْكُومُ الْجِلَادُ سِلَاحَهَا
لِتَوْبَةٍ فِي قُرَى الشِّتَاءِ الصَّنَابِرِ

وَمِثْلُهُ

لَا أَخُونُ الصَّدِيقَ مَا حَفِظَ الْعَهْدَ - - - وَلَا تَأْخُذْ السِّلَاحَ لِقَاحِي

وَقَالَ النَّمِرُ بْنُ تَوَلِّبٍ

أَزْمَانٌ لَمْ تَأْخُذْ إِلَيَّ سِلَاحَهَا
إِبْلِي بِجُلَّتْهَا وَلَا أَبْكَارَهَا
ابْتَزَّهَا الْبَانِيَا وَلُحُومَهَا
فَأُهِينُ ذَلِكَ لِضَيْفِهَا وَإِجَارَهَا

وَقَالَ الْمَضْرَسُ بْنُ رَبِيعِ الْأَسَدِيِّ

وَمَا نَلْعَنُ الْأَضْيَافَ إِنْ نَزَلُوا بَنَا
وَلَا يَمْنَعُ الْكُومَاءُ مِنَّا نَصِيرُهَا

[١] ٠٠ وَيُرْوَى جَزَى اللَّهُ خَيْرًا غَلْبًا مِنْ عَشِيرَةِ الْحُ وَبَيْنَ الْبَيْتَيْنِ بَيْتَانِ وَهُمَا

فَكَمْ دَافِعُوا مِنْ كَرْبَةٍ قَدْ تَلَا حَتَّى عَلَى وَمَوْجٍ قَدْ عَلَنِي غَوَارِبُهُ

إِذَا قُلْتُ عَوْدُوا عَادَ كُلُّ شَمْرَدَلٍ أَشْمُ مِنَ الْفَيْتَانِ جَزَلُ مَوَاهِبِهِ

ومعنى - لا نلغهم - أي لا تبعدهم واللعين البعيد - ونصيرها - ههنا ما يمنع من عقرها من حسن وتمام وولد وما جرى ذلك المجرى والنصير والسلاح في المعنى واحد

مجلس آخر ٦٠ ❦

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله) .. فقال مانسكرون أن يكون ظاهر هذه الآية يقتضى أن يكون جميع مانفعله بشاؤه ويريد أنه تعالى لم يخص شيئاً من شيء وهذا بخلاف مذهبكم وليس لكم أن تقولوا أنه خطاب للرسول عليه الصلاة والسلام خاصة وهو لا يفعل إلا ما يشاء الله تعالى لأنه قد يفعل المباح بلا خلاف ويفعل الصغار عند أكثركم فلا بد من أن يكون في أفعاله تعالى ما لا يشاؤه عندكم ولأنه أيضاً تأديب لنا كما أنه تعاليم له عليه الصلاة والسلام ولذلك يحسن منا أن نقول ذلك فيما نفعله .. الجواب قلنا تأويل هذه الآية مبنى على وجهين .. أحدهما أن يجعل حرف الشرط الذى هو إن متعلقاً بما يليه وبما هو متعلق به في الظاهر من غير تقدير محذوف ويكون التقدير ولا تقولن أنك تفعل إلا ما يريد الله تعالى وهذا الجواب ذكره الذراري وما رأيت من الآله ومن العجب تغافلوا إلى مثل هذا مع أنه لم يكن متظاهراً بالقول بالعدل وعلى هذا الجواب لاشبهة في الآية ولا سؤال للقوم عليه وفي هذا الوجه ترجيح على غيره من حيث أتبعنا فيه الظاهر ولم نقدر محذوفاً على كل جواب مطابق للظاهر ولم يبين على محذوف كان أولي .. والجواب الآخر أن نجعل أن متعلقة بمحذوف ويكون التقدير ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن نقول أن يشاء الله لأن من عادتهم اضمار القول في مثل هذا الموضع واختصار الكلام إذا طال وكان في الوجود منه دلالة على المنفوق وعلى هذا الجواب يحتاج إلى الجواب عما سألنا عنه فقول هذا تأديب من الله تعالى لعباده وتعاليم لهم أن يعلقوا ما يخبرون بهذه اللفظة حتى يخرج من حد القطع ولا شبهة في أن ذلك مختص بالطاعات وإن الأفعال (٥ - إلى رابع)

التيبيحة خارجة عنه لأن أحداً من المسلمين لا يستحسن أن يقول اني أزنى غداً ان شاء الله أو أقتل مؤمناً وكلهم يمنع من ذلك أشد المنع فلم سقوط شبهة من ظن ان الآية عامة في جميع الأفعال . . . وأما أبو علي محمد بن عبد الوهاب فإنه ذكر في تأويل هذه الآية ما نحن ذا كروه بعينه قال انما عني بذلك ان من كان لا يعلم انه يبقى الى غير حياة فلا يجوز أن يقول اني سأفعل غداً كذا وكذا فيمضى الخبر بذلك وهو لا بدري لعله سيموت ولا يفعل ما أخبر به لأن هذا الخبر اذا لم يوجد مخبره على ما أخبر به الخبر فهو كذب واذا كان الخبر لا يأمن أن لا يوجد مخبره لحدوث أمر من فعل الله تعالى نحو الموت أو الجز أو بعض الامراض أولاً يوجد ذلك بأن يبدو له في ذلك فلا يأمن من أن يكون خبره كذباً في معلوم الله عز وجل واذا لم يأمن ذلك لم يحز أن يخبره ولا يسلم خبره ههنا من الكذب الا بالاستثناء الذي ذكره الله تعالى فاذا قال اني سائر غداً الى المسجد إن شاء الله فاستثنى في مصيره بمشيئة الله تعالى أمن أن يكون خبره في هذا كذباً لأن الله تعالى إن شاء أن ياجئه الى المصير الى المسجد غداً أجزأ الى ذلك وكان المصير منه لا محالة واذا كان ذلك على ما وصفنا لم يكن خبره هذا كذباً وان لم يوجد منه المصير الى المسجد لأنه لم يوجد ما استثناء في ذلك من مشيئة الله تعالى . . . قال وينبغي أن لا يستثنى مشيئة دون مشيئة لأنه ان استثنى في ذلك مشيئة الله بمصيره الى المسجد على وجه التعبد فهو أيضاً لا يأمن أن يكون خبره كذباً لأن الانسان قد يترك كثيراً مما يشاؤه الله تعالى منه ويتعبده به ولو كان استثناء مشيئة الله لأن ببقية ويقدره ويرفع عنه الموانع كان أيضاً لا يأمن أن يكون خبره كذباً لأنه قد يجوز أن لا يصير الى المسجد مع تبقية الله تعالى له قادر مختاراً فلا يأمن من الكذب في هذا الخبر دون أن يستثنى المشيئة العامة الى ذكرناها فاذا دخلت هذه المشيئة في الاستثناء فقد أمن من أن يكون خبره كذباً اذا كانت هذه المشيئة متى وجدت وجب أن يدخل المسجد لا محالة قال وبمثل هذا الاستثناء يزول الحنث عن حائف فقال والله لأصيرن غداً الى المسجد ان شاء الله تعالى لأنه ان استثنى على سبيل ماينا لم يحز أن يحنث في يمينه ولو خص استثناءه بمشيئة بعينها ثم كانت ولم يدخل معها الى المسجد حنث في يمينه . . . وقال غير أبي علي ان المشيئة المستثناء ههنا هي مشيئة المنع والحيلة

فَكَانَهُ قَالَ ان شاء الله بخليفي ولا يمنعني وفي الناس من قال اتقصد بذلك أن يقف الكلام على جهة القطع وان لم يلزم به ما كان يلزم لولا الاستثناء ولا ينوي في ذلك الجلاء ولا غيره وهذا الوجه يحكى عن الحسن البصري . . . واعلم ان للاستثناء الداخل على الكلام وجوهاً مختلفة فقد يدخل على الايمان والطلاق والعناق وسائر العقود وما يجري مجراها من الاخبار فاذا دخل ذلك اقتضى التوقيف عن امضاء الكلام والمنع من لزوم ما يلزم به وازالته عن الوجه الذي وضع له ولذلك يصير ماتكلم به كأنه لاحكم له ولذلك يصح على هذا الوجه أن يستثنى في الماضي فيقول قد دخلت الدار ان شاء الله ليخرج بهذا الاستثناء من أن يكون كلامه خبراً قاطعاً أو يلزمه حكم وانما لم يصح دخوله في المعاصي على هذا الوجه لأن فيه اظهاراً للانقطاع الى الله تعالى والمعاصي لا يصح ذلك فيها وهذا الوجه أحد ما يمتلئه تأويل الآية وقد يدخل الاستثناء في الكلام فيراد به الاعمق والتسهيل . . . وهذا الوجه يختص بالطاعات ولهذا الوجه جرى قول الفائل لا فنيين غداً ماعلي من الدين ولا صاين غداً ان شاء الله جري أن يقول اني أفعل ذلك ان لطف الله تعالى فيه رسوله فعلم ان المقصد واحد وانه مق قصد الحالف فيه هذا الوجه لم يجب اذا لم يقع منه هذا الفعل أن يكون حاثاً وكاذباً لأنه إن لم يقع علمنا انه لم يلطف له فيه لانه لا لطف له وليس لأحد أن يعترض هذا بأن يقول الطاعات لا بد فيها من لطف وذلك لان فيها ما لا لطف فيه جملة فارتفع ما هذه سبيله يكشف عنه انه لا لطف فيه وهذا الوجه لا يصح أن يقال في الآية انه لا يخص الطاعات والآية تناول كلها لم يكن قبيحاً بدلالة اجماع المسلمين على حسن الاستثناء متضمنه في كل فعل لم يكن قبيحاً وقد يدخل الاستثناء في الكلام فيراد به التسهيل والاقدار والتهيئة والبقاء على معنى عليه من الاحوال وهذا هو المراد به اذا دخل في المباحات وهذا الوجه يمكن في الآية الا أنه يعترضه ما ذكره أبو علي عما حكيناه من كلامه وقد يذكر استثناء المشيئة أيضاً في الكلام وان لم يرد به في شيء مما تقدم بله يكون الغرض اظهار الانقطاع الى الله تعالى من غير أن يقصد الى شيء من الوجوه المتقدمة وقد يكون هذا الاستثناء غير معتد به في كونه كاذباً أو صادقاً لأنه في الحكم كأنه قل لأفعلن كذا ان وصلت الى مرادى مع انقطاعي الى الله تعالى واظهارى

الحاجة اليه وهذا الوجه أيضاً مما يمكن في تأويل الآية ٥٥ ومتى توهمه جملة ما ذكرناه من الكلام صرف منه الجواب عن المسألة التي لا يزال يسأل عنها المخالفون من قولهم لو كان الله تعالى انما يريد العبادات من الافعال دون المعاصي لوجب اذا قل من لغيره عليه دين طالبه به والله لأعطينك حقتك غداً ان شاء الله أن يكون كاذباً أو حاشا اذا لم يفعله لأن الله تعالى قد شاء ذلك منه عندكم وان كان لم يقع فكان يجب أن تلزمه الكفارة وأن لا يؤثر هذا الاستثناء في بينه ولا يخرج عن كونه حاشا كما انه لو قال والله لأعطينك حقتك غداً ان قدم زيد لقدم ولم يعطه يكون حاشا وفي إلزام هذا الحقت خروج عن إجماع المسلمين فصار مأوردها جامعاً لبيان تأويل الآية والجواب عن هذه المسألة ونظائرها من المسائل والحمد لله وحده ٥٥ [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه تأملت ما شتمت عليه تشبيهات الشعراء فوجدت أكثر ما شبهوا فيه الشيء بالشيء الواحد أو الشئين بالشئين وقد تجاوزوا ذلك الى تشبيه ثلاثة بثلاثة وأربعة بأربعة وهو قابل ولم أجد من تجاوز هذا القدر الا قطعة مرت في لابن المعتز فانها تضمنت تشبيه ستة أشياء بستة أشياء ٥٥ فأما تشبيه الواحد بالواحد قول عنتره في وصف الذباب

هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحَ الْمُكَبِّ عَلَى الزِّ نَادِ الْأَجْدَمِ^(١)

(١) - الهزج - تراكب الصوت ومعنى - يحك ذراعه بذراعه - يمر احدهما على الاخرى - والاجدم - بالمعجمتين صفة المكب وهو المقعوع اليد شبه الذباب اذا سن احدى ذراعيه بالاخرى بأجدم بقدهج نارا بذراعيه وهذا من عجيب التشبيه يقال انه لم يقل احد في معناه مثله وقد عده أرباب الادب من التشبيهات العقم وهي التي لم يسبق اليها ولا بقدر أحد عليها مشتق من الريح العقيم وهي التي لا تلقي شجرة ولا تنج ثمرة وقد شبه بعضهم من يترك يديه ندامة بفعل الذباب وزاد اللطم فقل

فعل الأديب اذا خلا بهومه فعل الذباب يزن عند فراغه

فتراه يترك راحتيه ندامة منها ويتبعها بلطم دماغه

وتعرض حازم في مقصوده لتشبيهه عنتره بقوله

أي الاسرع .. ومثله قول عدى بن الرقاع

تُرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقَةٍ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

ومثله قول امرئ القيس

كَأَنَّ عَيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ قَبَائِنَا وَأَرْجُلُنَا الْجَزَعُ الَّذِي لَمْ يُثْقَبِ^(١)

وقوله

إِذَا مَا الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرَّضَ أَثْنَاءُ الْوِشَاحِ الْمُفْصَلِ

ولذى الرمة

أتى ذراعا فوق أخرى وحكى تكلف الاجذم في قطع السنا

كأنما النور الذي يفرعه مقتدحا لزيدة سقط وري

فقصر عنه التقصير البين وأخل بذكر الأكباب والحك

(١) الرواية المعلومة خبائنا بدل قبائنا والمعنى متقارب .. قال الاصمعي الغلي والبقرة اذا كانا حينئذ فيعوبنهما كلها سود فاذا ماتا بدا بياضهما وانما شبههما بالجزع وفيه سواد وبياض بعدما موت والمراد كثرة الصيد يعنى مما أكلناه كثرت العيون عندنا وبه يتبين بطلان ما قيل ان المراد انها قد أطالت مسابرتهم حتى ألفت الوحوش رحالهم وأخبيتهم .. وقوله -الجزع- هو بفتح الجيم وتكسر الخرز الجاني الصبي فيه سواد وبياض تشبه به عيون الوحش لكنه اتى بقوله لم يثقب ايثالا وتحقيقاً للتشبيه لأن الجزع اذا كان غير مقبوع كان أشبه بالعيون .. والبيت من قصيدته المشهورة أتى قالها في معارضته لقصيدة علقمة النحل ومطامعها

خليلي مرابي على أم جندب نقضى إبانات الفؤاد المعذب

ومطامع قصيدة علقمة

ذهبت من المجران في غير مذهب ولم يك حقا كل هذا النجيب

وتحكيمهم لام جندب امرأ القيس وحكمها لعلقمة وطلاق امرئ القيس اياها

وتزوج علقمة لها كله مشهور فلا نعايل به

وَرَدَّتْ أَعْتِسَافًا وَالثُّرَيَّا كَأَنَّهَا عَلَى قُمَّةِ الرَّأْسِ ابْنُ مَاءٍ مُخْلَقٍ

وهذا الباب أكثر من أن يحصى . . . فالما تشبيه شيئين بشيئين فمثل قول امرئ القيس يصف عقابا

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالَى^(١) وقوله

وَكَشَحَ لَطِيفٍ كَالْجَدِيلِ مُخَصَّرٍ وَسَاقٍ كَأَنَّ بُوبِ السَّقِيِّ الْمُدَّلِّ

ولبشار

كَأَنَّ مَثَارَ النَّفْعِ فَوْقَ رُؤُسِنَا وَأُسَيَا فَنَالَيْلُ تَهَاوِي كَوَاكِبُهُ^(٢)

(١) البيت من شواهد التناخيم والشاهد فيه التشبيه المكفوف وهو أن يؤتى على طريق المعطف أو غيره بالمشبهات أولاً ثم بالمشبه بها فها شبه الرطب الطري من قلوب الطير بالعناب واليابس العتيق منها بالحشف البالى إذ ليس لاجتماعهما هيئة مخصوصة تمتد بها ويقصد تشبيهها ولذا قل الشيخ عبد القاهر انه انما يتضمن الفضيلة من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه لا إن لاجمع فائدة في عين التشبيه . . . والبيت من قصيدته المشهورة التي مطلعها

أَلَا عَمَّ - بَاحَا أَبَهَا الطَّالِلُ الْبَالَى وهل يعمن من كان في العصر الخالى

(٢) - النفع - الغبار . . . ومعنى - تهاوى كواكبه - يتناقط بعضها في أثر بعض والاصل تهاوى فخذت احدي الثمانين والبيت من شواهد البيان والشاهد فيه المركب الحسى في التشبيه الذي طرفاه مركبان الحاصل من الهيئة الحاصلة من هوى أجرام مشرقة مستطبعة متناسبة المقدار متفرقة في جوانب شئ عظيم فوجه التشبيه مركب كما ترى وكذا طرفاه كما في أسرار البلاغة يروي انه قيل لبشار وقد أنشد هذا البيت ما قيل أحسن من هذا التشبيه فن آين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا شئ منها فقال ان عدم النظر بقوى ذكاه القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الأشياء فيتوفر حسه ونذ كوقر عينه وأنشدهم قوله

وَلَا آخِرَ

كَأَنَّ سُمُومَ النَّفْعِ وَالْبَيْضِ حَوْلَهُ سَمَاوَةٌ لَيْلٍ أَسْفَرَتْ عَنْ كَوَاكِبِ

وَقَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ

كَأَنَّ صَغْرِي وَكُبْرِي مِنْ فَقَاةٍ هِجَا حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ^(١)

وَلَا آخِرَ

عَمِيَتْ جَنِينًا وَالذِّكَاةُ مِنَ الْعَمَى خُجَّتْ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعَلَمِ مَوْتَلَا

وَعَاثُ ضِيَاءِ الْعَيْنِ لَعَلَّمِ رَافِدًا لِقَلْبٍ إِذَا مَاضِيَ النَّاسُ حَصَلَا

وَشَعَرَ كَنُورِ الرُّوْضِ لَأَمَتَ بَيْنَهُ بِقَوْلٍ إِذَا مَا أَحْزَنَ الشَّعْرَ أَسْهَلَا

وَيَحْكِي أَنَّهُ قَالَ لَمْ أَزَلْ مِنْذُ سَمِعْتُ قَوْلَ إِسْرِيءِ الْقَيْسِ فِي تَشْبِيهِ شَيْثِينَ بِشَيْثِينَ فِي بَيْتٍ

وَأَجَدَ حَيْثُ يَقُولُ

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رُطْبًا وَيَابَسًا لَدَيْ وَكْرَهَا الْعَنَابِ وَالْحُشْفِ الْبَالِي

أَعْمَلَ نَفْسِي فِي تَشْبِيهِ شَيْثِينَ بِشَيْثِينَ حَتَّى قَاتَ كَانَ مَنَارُ الْمَقْعِ الْبَيْتِ وَهُوَ مِنْ قَعْمِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا ابْنُ هَبِيرَةَ وَأَوَّلَهَا

جَفَاوَدُهُ فَازَرًا وَمَلَّ صَاحِبَهُ وَأَزْرِي بِهِ أَنْ لَا يَزَالَ يُعَانِبُهُ

وَمِنْهَا إِذَا كُنْتُ فِي كُلِّ أَمْرٍ مَعَانِبًا صَدِيقُكَ لَمْ تَلْقَ الَّذِي لَا تَعَانِبُهُ

فَعَشَّ وَاحِدًا أَوْصَلَ أَخَاكَ فَانَهُ مَقَارِبُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمَجَانِبُهُ

وَهِيَ طَوِيلَةٌ فَوَصَلَهُ ابْنُ هَبِيرَةَ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَكَانَتْ أَوَّلَ عَطِيَّةٍ سَلِيَةٍ أَعْطَاهَا بِشَارُ بِالشَّعْرِ وَرَفَعَتْ مِنْ ذِكْرِهِ

(١) قَوْلُهُ كَانَ صَغْرِي وَكُبْرِي النَّخْ • • قَدْ قِيلَ أَنَّهُ لَحْنٌ لِأَنَّ اسْمَ التَّفْضِيلِ إِذَا كَانَ مَجْرُودًا

مِنْ أَلٍ وَالْإِضَافَةِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَفْرُودًا مَذْكَرًا دَائِمًا فَتَأْنِيثُهُ لَحْنٌ كَمَا فِي الْبَيْتِ الْمَذْكَورِ

وَقَدْ اعْتَذَرُوا عَنْ هَذَا بِأَنَّهُ أَفْعَلُ الْعَارِي إِذَا كَانَ مَجْرُودًا عَنْ مَعْنَى التَّفْضِيلِ جَازِ جَمْعُهُ

فَإِذَا جَازِ جَمْعُهُ جَازِ تَأْنِيثُهُ • • وَالْفَقَائِعُ هِيَ الْفَخَاخَاتُ الَّتِي تَعْلُو الْمَاءَ أَوَّالُ الْحُرُوقِ قَالَ يَسُّ الْحَفُوفِ

فِي الْبَيْتِ مِنْ فَوَاقِمِهِ بِالْوَاوِ قُلْتُ وَفِي دِيَوَانِهِ فَوَاقِمُهُ

إِنَّ الشَّمُولَ هِيَ الَّتِي جَمَعَتْ لِأَهْلِ الْوُدِّ شَمَلًا
شَبَّهَتْهَا وَحُبَّابَهَا بِشَقَائِي يَحْمِلُنَ طَلًّا

وَلَا آخِرَ

أَبْصَرْتُهُ وَالْكَاسُ بَيْنَ فَمٍ فَكَأَنَّمَا وَكَأَنَّ شَارِبَهَا
مِنْهُ وَبَيْنَ أَنَا مِلِّ خَمْسٍ قَمَرٌ يُقْبَلُ عَارِضَ الشَّمْسِ

وَلَا آخِرَ

حَتَّى إِذَا خُلِيتُ فِي الْكَاسِ خِلْتُ بِهَا تَمْلِي إِذَا مَزِجْتُ فِي كَاسِهَا حَبِيبًا
وَقَالَ الْبَحْرِيُّ عَقِيقَةً جَلِيتُ فِي فِشْرِ بَلَوْرٍ
كَأَنَّهُ عَرَقٌ فِي خَدِّ مَحْمُورٍ

شَقَائِي يَحْمِلُنَ النَّدَى فَكَأَنَّهُ دُمُوعُ النَّصَائِي فِي خُدُودِ الْخَرَائِدِ

وَقَالَ آخِرَ

فَكَأَنَّ الرَّيِّعَ يَجْلُو عَرُوسًا وَكَأَنَا مِنْ قَطْرِهِ فِي نِثَارٍ

وَلَا بِي الْعَبَّاسُ النَّاشِءُ

كَأَنَّ الدُّمُوعَ عَلَى خَدِّهَا بَقِيَّةُ طَلٍّ عَلَى جِلْسَارٍ

وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ وَأَحْسَنَ

لَوْ كُنْتُ يَوْمَ الْفَرَاقِ حَاضِرَنَا لَمْ تَرَ إِلَّا الدُّمُوعَ سَافِحَةً
وَهُنَّ يُطْفِنَنَّ غُلَّةَ الْوَجْدِ تَسْفَحُ مِنْ مُقْلَةٍ عَلَى خَدِّ
كَأَنَّ تِلْكَ الدُّمُوعَ قَطْرُ نَدَى يَقْطُرُ مِنْ نَزْجِسٍ عَلَى وَرْدٍ

وَقَالَ جِرَانُ الْعُودِ

أَيُّتْ كَأَنَّ اللَّيْلَ أَفْنَانُ سِدْرَةٍ عَلَيْهَا سَقِيطٌ مِنْ نَدَى الطَّلِّ يَنْطِفُ

أَرَأَيْتَ لِمَحَا مِنْ سُهَيْلٍ كَأَنَّهُ إِذَا مَا بَدَا فِي آخِرِ اللَّيْلِ يَطْرِفُ

ولابن المعتز

سَقَتْنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِشَعْرِهَا شَبِيهَةً خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبٍ
فَامْسَيْتُ فِي أَيْلَيْنِ بِالشَّعْرِ وَالذُّجَى وَشَمْسَيْنِ مِنْ خَيْرِ وَوَجْهِ حَبِيبٍ

وقال المتنبي

نَشَرْتُ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا فِي لَيْلَةٍ فَأَرْتُ لِيَالِي أَرْبَمَا
وَأَسْتَقْبَلْتُ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرْتَنِي الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعَا

فاما تشبيهه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء . . فمثل قول ماني المودوس

نَشَرْتُ غَدَائِرَ شَعْرِهَا لِتُظَلِّلَنِي خَوْفَ الْعُيُونِ مِنَ الْوُشَاةِ الرَّمَقِ
فَكَأَنَّهُ وَكَأَنِّهَا وَكَأَنَّنِي صُبْحَانَ بَاتَا تَحْتَ لَيْلٍ مُطْبِقِ

ولبعضهم

رَوْضُ وَزْدٍ خِلَالَهُ نَزْجُسُ غَضٌّ يَحْفَانُ أَفْجُوَانَا نَضِيرَا
ذَا يَبَاهِي لَنَا خُدُودَا وَذَا يَحْجِي كَيْ عَيُونَا وَذَا يَضَاهِي نُفُورَا

ولآخر في النرجس

مَدَاهُنُ تَبَارِيزُ بَيْنَ أَوْرَاقٍ فَضَّةٍ لَهَا عَمْدٌ مَخْرُوطَةٌ مِنْ زَبَرْجَدٍ

وللبعض في وصف ضمير المطايا ونحوها

كَالْقِسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بَلَى الْأَسْنَى هُمُ مَهْرِيَّةٌ بَلَى الْأَوْتَارِ (١)

(١) البيت من شواهد التناخيس والشاهد فيه مراعاة النظر وسعى التناسب والتوافق والانتلاف والمؤاخاة وهو جميع أمر وما يناسبه من الغناء التضاد لئلا يخرج المطابقة فهو هنا قصد المناسبة بالاسم والاونار لما تقدم من ذكر القسي وهذه المناسبة هنا معنوية لا لفظية

ولبعض الطالبيين

وَأَنَا ابْنُ مُعْتَلَجِ الْبَطَاحِ إِذَا غَدَا
غَيْرِي وَرَاحَ عَلَى مَتُونِ ظَوَاهِرٍ^(١)
يَفْتَرُّ عَنِّي رُكْنُهَا وَحَظِيمُهَا
كَالْجَفْنِ يَفْتَحُ عَنْ سَوَادِ النَّاطِرِ
كَجِبَالِهَا شَرَفِي وَمِثْلُ سَهْوِهَا
خُلِقِي وَمِثْلُ ظَبَائِنِ مُجَاوِرِي

وَأَمَّا شَبِيهَةُ أَرْبَعَةٍ بِأَرْبَعَةٍ •• فَتَمْلُ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ

لَهُ أَبْطَلَا ظِي وَسَاقَا نَمَامَةٍ
وَإِرْخَاءَ سِرْحَانٍ وَتَقَرُّبُ تَنْفُلٍ

وَلَا آخِرَ

كَفْتُ نَنَاولُ رَاحَهَا بِزُجَاجَةٍ
خَضِرَاءُ تَقْدِفُ بِالْحَبَابِ وَتُزْبِدُ
فَالْكَفُّ عَاجٌ وَالْحَبَابُ لِآلِي
وَالرَّاحُ تَبْرُ وَالْإِنَاءُ زَبْرَجَدُ

ولبعضهم وقد أهدى إليهم نرجس وأقحوان وشقائق وآس فكتب إلى المهدي

لِللَّهِ مَا أَظْرَفَ أَخُ
أَلْفَكَ يَا بَذَرَ الْكَرَمِ
أَهْدَيْتَ مَا نَاسَبَتْهَا
حُسْنًا وَظَرَفًا وَشِيمَ
فَمَا رَأَيْنَا مُهْدِيَا
قَبْلَكَ فِي كُلِّ الْأُمَمِ
أَهْدَى الْعُيُونِ وَالْتُّغُو
رَ وَالْخُدُودَ وَاللِّمَمِ

وَلَا آخِرَ

(١) - معناه البطاح - بطن مكة يقول أنا من قريش البطاح إذا غدا غيري وراح على متون ظواهرها •• وقريش ثلاثة أقسام قسم ينزل بطاح مكة وهم أشرفهم منهم بنو هاشم وبنو أمية وغيرهم من سادات قريش وهم صميم قريش والقسم الثاني قريش الظواهر وهم الذين لم تسعهم الاباطح وقسم ثالث ليسوا من أهل الظواهر ولا الاباطح والكل قبائل

اَفِدِے حَبِيبًا لَهُ بَدَائِعُ اَوْ صَافٍ تَمَاتٍ عَنْ كُلِّ مَا صِفُ
كَالْبَذْرِ يَمْوُو الشَّمْسُ تُشْرِقُ وَالْـ غَزَالِ يَمْطُو وَالْعُصْنُ يَنْعَطِفُ

المثاني

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ خُوطُ بَانَ وَفَاحَتْ عَنَبًا وَرَنَتْ غَزَالَا

وَلَا آخِرَ

سَفَرْنَ بُدُورًا وَأَنْتَقِبْنَ أِهْلَةً
وَمَسْنَنَ غُصُونًا وَالتَّفَنَّ جَا ذَرًا^(١)

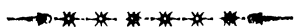
وأما تشبيه خمسة بخمسة . . فقول الواو المسمى وهو أبو الفرج

وَأَسْبَلْتُ لَوْلُوٓءٍ مِّنْ نَّرْجَسٍ وَسَقَتُ
وَرَدًا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ

وأما تشبيه ستة بستة فلم أجده إلا لابن المعتز في قوله

بَذْرُهُ وَلَيْلٌ وَغُصْنٌ وَجَهٌ وَشَعْرٌ وَقَدْ

خمرٌ ودرٌ ووزدٌ ربقٌ وشرٌ وخذٌ



— مجاہد آخر ۶۱ —

[تأويل آية: •• إن سأل سائل عن قوله تعالى ﴿وَبِنَا آلَهُمْ خَدْنًا﴾ •• فقال كيف يجوز أن يأمرنا على سبيل العبادة بالدعاء بذلك وعندكم أن اللسيان من فعله تعالى فلا تكليف على الناس في حال نسيانه وهذا يقتضي أحد أمرين إما أن يكون اللسيان من فعل العباد على ما يقوله كثير من الناس أو نكون متعبدين بعلمته تعالى ما نعلم أنه واقع حاصل لأن مؤاخذه الناس بأموته منه تعالى والقول في الخطأ إذا أريد به ما وقع سهواً أو عن غير عمد يجري هذا المجرى •• الجواب قلنا قد قيل في هذه الآية المراد

(۱) و قبلہ

وملتفتات في النقاب كأنما هزرن سيوفاً وانتضين خناجراً

نسياننا تركنا قال أبو على قطرب بن المستنير معنى اللسيان ههنا الترك كما قال تعالى (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فلسى) أى ترك ولولا ذلك لم يكن فعله معصية وكتوبه تعالى (نسوا الله فانساهم) أى تركوا طاعته فتركهم من ثوابه ورحمته وقد يقول الرجل لصاحبه لا تنسى من عطيتك أى لا تتركنى منها وأنشد ابن حرفة

وَلَمْ أَلِكْ عِنْدَ الْجُودِ لِلْجُودِ قَالِيَا وَلَا كُنْتُ يَوْمَ الرَّوْعِ لِلطَّعْنِ نَاسِيَا

أى تاركا • • وبما يمكن أن يكون على ذلك شاهداً قوله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) أى تتركون أنفسكم • • ويمكن فى الآية وجه آخر على أن يحمل النسيان على السهو وفقد المعلوم ويكون وجه الدعاء بذلك ما قد بيناه فيما تقدم • من الامالى من أنه على سبيل الانقطاع الى الله تعالى واظهار الفقر الى مسئلته والاستعانة به وان كان مأمونا منه المؤاخذه بمثله ويجرى مجرى قوله تعالى فى تعاليمنا وتأديبنا (لا تحملنا ما لا طاقة لنا به) ويجرى قوله تعالى (قل رب احكم بالحق • ولا تحزني يوم يبعثون) وقوله تعالى حاكياً عن الملائكة (فاغفر للذين تابوا) الآية وهذا الوجه يمكن أيضاً فى قوله تعالى أو أخطأنا اذا كان الخطأ ما وقع سهواً أو غير غمد فمأ على ما يوافق الوجه الاول فقد يجوز أن يريد تعالى بالخطأ ما يفعله من المعاصي بالتأويل السيئ وعن الجهل بأنها معاص لأن من قصد شيئاً على اعتقاد انه بصفة فوق ما هو بخلاف معتقده يقال قد أخطأ فكأنه أمرهم بأن يستغفروا عما تركوه متعمدين من غير سهو ولا تأويل ومما أقدموا عليه مخطئين متأولين • • ويمكن أيضاً أن يريد بأخطأنا ههنا أذنبنا أو فعاننا قبيحاً وان كنا له متعمدين وبه عالين لأن جميع معاصينا لله تعالى قد توصف بأنها خطأ من حيث فارقت الصواب وان كان فاعلمنا متعمداً فكأنه تعالى أمرهم بأن يستغفروا عما تركوه من الواجبات ومما فعلوه من المقبحات ليشتمل الكلام على جهتي الذنوب والله أعلم بما راده • • أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا محمد بن العباس قال قال رجل يوماً لأبي العباس محمد ابن يزيد النحوي ما أعرف ضادية أحسن من ضادية أبي الشيص فقال له كم ضادية حسنة لا تعرفها ثم أنشده لبشار

غَمَضَ الْحَدِيدُ بِصَا حَبِيكَ فَنَمَضَا وَبَقِيَتْ تَطَلُّبُ فِي الْحَبَالَةِ مِنْهُضَا
 وَكَأَنَّ قَلْبِي عِنْدَ كُلِّ مُصِيبَةٍ عَظُمَ تَكَرَّرَ صَدْعُهُ فَتَهِيضَا
 وَأَخْ سَلَوْتُ لَهُ فَإِذَا كَرَهُ أَخُ فَمَضَى وَتَذَكَّرَ الْوَاقِعَاتُ مَا مَضَى
 فَأَشْرَبَ عَلَى تَلَفِ الْأَحْبَةِ إِنَّا جَزُرُ النِّيَّةِ ظَاغِينِ وَخَفُضَا
 وَلَقَدْ جَرَيْتُ مَعَ الصَّبَا طَلَقَ الصَّبَا ثُمَّ أَرْعَوَيْتُ فَلَمْ أَجِدْ لِي مَرْكُضَا
 وَعَلِمْتُ مَا عَلِمَ أَمْرُو فِي دَهْرِهِ فَأَطَعْتُ عِذَالِي وَأَعْطَيْتُ الرِّضَا
 وَصَحَوْتُ مِنْ سُكْرِ وَكُنْتُ مُوَكَّلًا أَرْغَى الْحَمَامَةَ وَالْغُرَابَ الْإِيضَا

- الحماسة - المرأة - والغراب الأبيض - الشعر الشاب .. فيقول كنت كثيراً أتعهد
 نفسي بالنظر في المرأة وترجيله الشعر .. وقوله - والغراب الأبيض - لأن الشعر كان
 غريباً أسود من حيث كان شاباً ثم أبيض بالشيب

مَا كُلُّ بَارِقَةٍ تَجُودُ بِمَاءِهَا وَلَرُبَّمَا صَدَقَ الرَّبِيعُ فَرَوْضَا

هكذا أنشده المبرد ويحيى بن علي وأنشده ابن الأعرابي

مَا كُلُّ بَارِقَةٍ تَجُودُ بِمَاءِهَا وَكَذَلِكَ لَوْ صَدَقَ الرَّبِيعُ لَرَوْضَا
 قَدْ ذُقْتُ الْفَتَّةُ وَذُقْتُ فِرَاقَهُ فَوَجَدْتُ ذَاعَ سِلَاوُذًا جَمْرَ الْغَضَا
 يَا لَيْتَ شِعْرِي فِيمَ كَانَ صُدُودُهُ مَا سَأْتُ أَمْ رَعَدَ السَّحَابُ وَأَوْهَضَا

وغير من ذكرنا يرويه - أم أحم الخلال فاحضاً -

وَيَلِي عَلَيْهِ وَيَلْتِي مِنْ بَيْنِهِ مَا كَانَ إِلَّا كَالْخِضَابِ فَقَدْ نَضَا

سَبْحَانَ مَنْ كَتَبَ السَّقَاءَ لِذِي الْهَوَى كَانَ الَّذِي قَدْ كَانَ حُكْمًا فَانْقَضَا

قال المبرد وهي طويلة .. وذكر يوسف بن علي بن يحيى عن أبيه أن أبا نواس أخذ قوله

جَرَيْتُ مَعَ الصَّبَا طَلَقَ الْجَمُوحُ^(١)

من قول بشار

ولقد جَرَيْتُ مَعَ الصَّبَا طَلَقَ الصَّبَا

[قال الشريف المرتضى] .. رضى الله عنه ولا يني تمام والبحترى على هذا الوزن

والقافية وحركة القافية قصـ يدتان ان لم يزيدا على ضادية بشار التي استحسنها المبرد لم يقصرا عنها وأول قصيدة أبي تمام

أَهْلُوكَ أَصْحُوأَشَاخِصًا وَمَقُوضَا وَمُزِمًا يَصِفُ النُّوْيَ وَمُعَرِّضَا
إِنْ يَدْجُ لَيْلِكَ أَنْهَمُ أُمُومًا لِلَّوِي فَبِمَا إِضَاؤُهُمْ عَلَى ذَاتِ الْإِضَا
بُدِّلَتْ مِنْ بَرْقِ الثُّغُورِ وَبَزْدَهَا بَرَقَا إِذَا ظَمَنَ الْأَحِبَّةُ أَوْمَضَا

يقول فيها

مَا أَنْصَفَ الشَّرِخُ الَّذِي بَعَثَ الْهَوَى فَقَضَى عَلَيْكَ بِلَوَعَةٍ ثُمَّ أَتَقَضَى
عِنْدِي مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَوْ أَنَّه أَضْحَى بِشَارِبٍ مَرَقَدٍ مَا غَمَضَا

(١) هو أول أبيات وتسماه * وهان على مأنور القبيح *

وبعد * وجدت الذعارية الليالى قران النغم بالوزر الفصيح

ومسمة اذا ما شئت غنت متى كان الخيام بذى طلوح

تمتع من شباب ليس يبتى وصل بهري الغبوق عرى الصبوح

وخـذها من معتقة كبت تنزل درة الرجل الشحيح

تخيرها لكسرى رائدوه لها حظان من طعم ورج

ألم ترني أبحت الراح صرضى وعرض مرأشف الظبي المليح

واني عالم أن سوف تنأى مسافة بين جثماني وروحي

وقال أبو العتاهية لقد جمع بين هذين البيتين معنى قوله جرئت مع الصبا الخ وقوله

واني عالم الخ خـلاعة ومجونا واحسانا وعظما وكان أبو العتاهية أنشدهما دون غيرهما

لَا تَطْلُبْنِ الرَّزْقَ بَعْدَ شِمَاسِهِ فَتَرُومُهُ سَبْعًا إِذَا مَاغِيضَا
 مَاغُوضَ الصَّبْرِ أَمْرُؤًا إِلَّا رَأَى مَا فَاتَهُ دُونَ الَّذِي قَدْ عَوَّضَا
 يَا أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دَوَادٍ دَعْوَةً ذَلَّتْ بِذِكْرِكَ لِي وَكَانَتْ رِبْضَا
 لَمَّا انْتَضَيْتُكَ لِلْخُطُوبِ كَفَيْتَهَا وَالسَّيْفُ لَا يُرْضِيكَ حَتَّى يُنْتَضَى
 قَدْ كَانَ صَوِّحَ نَبْتٍ كُلِّ قَرَارَةٍ حَتَّى تَرْوِّحَ فِي نَدَاكَ فَرَوْضَا
 أَوْزَدَنِي الْعَدْلُ الْخَسِيفَ وَقَدْ أَرَى أَتَبَرِّضُ التَّمَدَّ الْبَكِيَّ تَبَرُّضَا

وَأَمَّا قَعِيدَةُ الْبَحْتَرِيِّ فَأَوَّلُهَا

تَرَكَ السَّوَادَ لِلْأَبْسِيبِ وَبَيَّضَا وَلَضًا مِنَ السَّيِّئِ عَنْهُ مَا نَضَا
 وَسَبَّاهُ أَغْيَدُ فِي تَصَرُّفٍ لِحْظِهِ مَرَضٌ أَعْلَى بِهِ الْقُلُوبُ وَأَمْرَضَا
 وَكَأَنَّهُ وَجَدَ الصَّبَا وَجَدِيدُهُ دَيْنَا دَنَا مِيقَاتُهُ أَنْ يُقْتَضَى
 سَيَّانٍ أَثَرِيٍّ مِنْ جَوِيٍّ وَصَبَابَةٍ وَأَسَافٍ مِنْ وَصْلِ الْحِسَانِ وَأَنْفَضَا^(١)
 كَلَفٌ يُكَفِّفُ عِبْرَةً مُهْرَاقَةً أَسْفَاعِي عَهْدَ الشَّبَابِ وَمَا أَنْقَضَى
 عَدَدُ تَكَامُلٍ لِلشَّبَابِ مَجِيئُهُ وَإِذَا مُضِيَ الشَّيْءُ حَانَ فَقَدْ مَضَى

يَقُولُ فِيهَا

قَعَقْتُ لِلْبُخْلَاءِ أَذْعُرُ جَاشِمَهُمْ وَنَذِيرُهُ مِنْ فَاضِلٍ أَنْ يُنْتَضَى

(١) - الجوى - الحزن والصبابة والشوق - وأساف - ذهب غرامه مأخوذ من قولهم أساف الرجل ذهب ماله والاسم السواف بالضم وقال أبو عمرو أنه بالفتح ولم يقع ذلك لغيره والصواب الاول لأن فعـال بالضم مطرد فيما يدل على الداء كالرطاف والزكام - وأنقض - خلا وهذا من عطف الشيء على مرادفه .. المعنى يستوى أن كثر غرامه وأخلا منه

وَكَفَاكَ مِنْ حَشَشِ الصَّرِيمِ تَهْدِدًا أَنْ مَدَّ فَضْلَ لِسَانِهِ أَوْ نَضَضًا

وفها

لَا تُنْكَرَنَّ مِنْ جَارِ يَتْنِكَ إِنْ طَوَى
فَالْأَرْضُ وَإِسْمَةُ لِنُقْلَةٍ رَاغِبٍ
لَا تَبْتَهِلْ إِنْ غَضَى إِمَّا كُنْتُ قَدْ
لَسْتُ الَّذِي إِنْ عَارَضَتْهُ مُلْمَةٌ
لَا يَسْتَقِرُّ فِي الطَّفِيفُ وَلَا أُرَى
أَنَا مِنْ أَحَبِّ تَجَارِبَا وَكَأَنِّي
أُغْبِتُ سَيْنِكَ كَيْ يَجْمَ وَإِنَّمَا
وَسَكَتُ إِلَّا أَنْ أَعْرِضَ قَائِلًا

أَطْنَابَ جَانِبِ يَتْنِهِ أَوْ قَوْضَا
عَمَّنْ نَقَلَ وَدُهُ وَنَقَضَا
أُغْضِبْتُ مُشْتَمِلًا عَلَى جَمْرِ الْفَضَا
أَصْنَى إِلَى حُكْمِ الزَّمَانِ وَفَوْضَا
تَبَعًا لِبارِقِ خَابٍ إِنْ أَوْضَا
فِيمَا أَعَايُنُ مِنْكَ مِمَّنْ أَبْضَا
غَمَدَ الْحُسَامِ الْمَشْرِفِي لِيُنْتَضِي
نَزْرًا وَصَرَحَ جَهْدُهُ مِنْ عَرَضَا

• • وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني يوسف بن يحيى بن علي عن أبيه قال من

مخار شعر بشار قوله في وصف الزمان

عَبَّتْ عَلَى الزَّمَانِ وَآيٌ حَيٍّ
وَأَمْنَةٍ مِنَ الْحَدَثَانِ نُزْرِي
وَلَيْسَ بِزَائِلٍ يَزِي وَيُزِي
مَتَى تَابَ الْكِرَامَةِ مِنْ كَرِيمٍ

مِنَ الْأَحْيَاءِ اعْتَبَهُ الزَّمَانُ
عَلَى وَلَيْسَ مِنْ حَدَثٍ أَمَانُ
مُعَانُ رَوَّةً أَوْ مُسْتَعَانُ
فَمَا لَكَ عِنْدَهُ إِلَّا الْهَوَانُ

وله في نحوه

يَا خَلِيلِي أَصِيبَا أَوْ ذَرَا
لَا تَكُونَا كَأَمْرِي وَمُصَاحَبَتُهُ
لَيْسَ كُلُّ الْبَزْقِ يَهْدِي الْمَطَرَا
يَتْرُكُ الْعَيْنَ وَيَبْنِي الْأَثَرَا

ذَهَبَ الْمَعْرُوفُ إِلَّا ذِكْرُهُ رُبَّمَا أَبْكِي الْفَتَى مَا ذَكَرَا
وَبَقِينَا فِي زَمَانٍ مُفْضَلٍ يَشْرَبُ الصَّفْوَوِيُّنِي الْكَدْرَا

قال وله

قَدْ أَذْرُكُ الْحَاجَةَ مَمْنُوعَةً وَتَوَلَّعُ النَّفْسُ بِمَا لَا تَنَالُ
وَأَلْهَمْتُ مَا أَمْسَكَتَهُ فِي الْحَسَا دَاءٌ وَبَعْضُ الدَّاءِ لَا يُسْتَقَالُ
فَاحْتَمِلِ الْهَمَّ عَلَيَّ عَاتِقِ إِنْ لَمْ تُسَاعِفْكَ الْمَلْنَدَى الْجَلَالُ

قال يحيى قوله - عاتق - يعني الحمر وهذا مثل قوله

لَمَّا رَأَيْتُ الْحِظَّ حِظَّ الْجَاهِلِ وَلَمْ أَرَ الْمَغْبُورَ غَيْرَ الْعَاقِلِ
رَحَلْتُ عَنْسًا مِنْ شَرَابِ بَابِلِ قَبِيتُ مِنْ عَقْلِي عَلَيَّ مَرَاخِلِ

[قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه هذا الذي ذكره بجملة البيت على استكراه ويحتمل أيضاً أن يريد بالعاتق المصنوع ويكون المني أن لم تجد من يحمل عليك فهو منك ويقوم بأنقلاك ويخفف عنك فتعمل ذلك أنت بنفسك واصبر عليه فكأنه يأمر نفسه بالتجملد والتصبر على البأس وهذا البيت له نظائر كثيرة في الشعر . . وأخبرنا المرزباني قال حدثنا علي بن هارون قال حدثني أبي قال من بارع شعر بشار قوله يصف جارية مغنية قال علي وما في الدنيا شيء لقديم ولا محدث من منشور ولا منظوم في صفة الغناء واستحسنه مثل هذه الابيات

وَرَائِحَةُ اللَّعِينِ فِيهَا مَخِيلَةٌ إِذَا بَرَقَتْ لَمْ تَسْقِ بَطْنَ صَعِيدِ
مِنَ الْمُسْتَهْلَاتِ الْهُمُومِ عَلَيَّ الْفَتَى خَفَا بَرْقُهَا فِي عُصْفُرٍ وَعُقُودِ
حَسَدَتْ عَلَيْهَا كُلُّ شَيْءٍ يَمَسُّهَا وَمَا كُنْتُ لَوْلَا حُبُّهَا بِحْسُودِ
وَأَصْفَرَ مِثْلَ الزَّعْفَرَانِ شَرِبَتْهُ عَلَيَّ صَوْتِ صَفَرَاءِ التَّرَائِبِ رُودِ
كَأَنَّ أَمِيرًا جَالِسًا فِي ثِيَابِهَا تَوَقَّلْتُ رُؤْيَاهُ عِيُونَُ وَفُودِ

مِنَ الْبَيْضِ لَمْ تَسْرُخْ عَلَى أَهْلِ ثَلَّةٍ سَوَامَا وَلَمْ تَرْفَعْ حَدَاجَ قَمُودٍ
تُمِيتُ بِهِ الْبَابِنَا وَقُلُوبَنَا مَرَارًا وَتُخَيِّبِينَ بَعْدَ هُمُودٍ^(١)
إِذَا نَطَقْتَ صُحُنَا وَصَاحَ لَنَا الصَّدَى صِيَاحَ جُنُودٍ وَجْهَتِ لِحْجُودٍ
ظَلَلْنَا بِذَلِكَ الدَّيْدَنِ الْيَوْمَ كُلَّهُ كَأَنَّا مِنَ الْفِرْدَوْسِ تَحْتَ خُلُودٍ
وَلَا بَأْسَ إِلَّا أَنَّا عِنْدَ أَهْلِنَا شُهُودٌ وَمَا الْبَابِنَا بِشُهُودٍ

قال وأنشدني أبي له في وصف مغنية

لَعَمْرُأَي زَوَّارُهَا الصَّيْدُ إِنَّهُمْ لَفِي مَنَظَرٍ مِنْهَا وَحُسْنِ سَمَاعٍ
تَصَلِّي لَهَا آذَانُنَا وَعَيُونُنَا إِذَا هَلَّ التَّقِينَا وَالْقُلُوبُ دَوَاعِي
وَصَفَرَاءُ مِثْلَ الْخَيْزُرَانَةِ لَمْ تَعْمَشْ بَبُوسٍ وَلَمْ تَزَكِبْ مَطْيَةَ رَاعِي
إِذَا قَلَّدَتْ أَطْرَافَهَا الْعُودَ زَلْزَلَتْ قُلُوبًا دَعَاها لِلْوَسَاوِسِ أَعْي
كَأَنَّهُمْ فِي جَنَّةٍ قَدْ تَلَا حَقَّتْ مَحَاسِنُهَا مِنْ رَوْضَةٍ وَبَقَاعٍ
بِرُوحُونٍ مِنْ تَغْرِيدِهَا وَحَدِيثِهَا نَشَاوِي وَمَا تَسْقِيهِمْ بِصَوَاعٍ
لِعُوبٍ بِالْبَابِ الرِّجَالِ وَإِنْ دَنَتْ أُطِيعُ التَّقَى وَالْفِي غَيْرُ مُطَاعٍ

قال علي بن هارون - الصواع - المكياك يقول اذا غنت شربوا جزافا بلا كيل ولا وزن من حسن ما يسمعون ٥٥ [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه هذا خطأ منه وانما أراد انما غناؤها لفرط حسنه وشدة اطرافه ينسيان شره الخمر وان لم يكن هناك شرب

(١) قوله - تيمت به البابنا وقلوبنا - الى آخره ظاهر القاموس ان مضارع مات مثاث وليس كذلك والضم انما هو في الواوي كقال يقول والكسر انما هو في اليائي كيبيع في باع وهي لغة مرجوحة آخرها جماعة والفتح انما هو في المكسور الماضي كعلم يعلم ونظيره من المعتل خاف يخاف خوفا

بصواع وهذا يجري مجرى قول الشاعر
 وَيَوْمَ ظَلَلْنَا عِنْدَ أُمِّ مُجَلِّمٍ نَشَاوِي وَلَمْ نَشْرَبْ طِلَاءَ وَلَا خَمْرًا
 وما كان عندي أن أحداً يتوهم في معنى هذا البيت ما ظنّه هذا الرجل . . وأما قوله في
 القطعة الاولى

وَأَصْفَرَ مِثْلَ الزُّعْفَرَانِ شَرِبْتُهُ
 البيت فيحمل وجوهاً ثلاثة أولها أن يكون أراد بصفرة ترائبها الكناية عن كثرة تطيبها
 وتضعفها وان ترائبها صفر لذلك كما قل الاعنى

بَيَضاءَ ضَحَوْتَهَا وَصَفَا رَأَى الْعَشِيَّةَ كَالْعَرَارِ
 - والعرار - بهار البر وانما أراد انها تنضج بالعشى بالطيب فيصفرها ومثله لدى الرمة
 بَيَضاءَ فِي دَعَجٍ كَحَلَاءٍ فِي بَرَجٍ كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبُ
 وقيل في بيت قيس بن الخطيم

فَرَأَيْتُ مِثْلَ الشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا فِي الْحُسْنِ أَوْ كَدُنُوهَا لِنُغُوبِ
 صَفَرَاءُ أُعْجِلَهَا الشَّبَابُ لِدَائِهَا مَوْسُومَةً بِالْحُسْنِ غَيْرَ قَطُوبِ
 أي انها سبقت أقرانها . . ومثله قول ابن الرقيات
 لَمْ تَلْتَفِتْ لِلِدَائِهَا فَمَضَتْ عَلَيَّ غُلُوبًا^(١)

(١) - البيت من جملة أبيات بقولها في أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان زوج
 الوليد بن عبد الملك وهي

أَصْحَوْتُ عَنْ أُمِّ الْبَنِينَ وَذَكَرَهَا وَعَنَّاهَا
 وَهَجَرْتَهَا هَجْرَ امْرَأَةٍ لَمْ يَقْلُ صَفْوُ صَفَائِهَا
 مِنْ خِيفَةِ الْأَعْدَاءِ أَنْ يَوْهُوا أَدِيمَ صَفَائِهَا
 قَرَشِيَّةً كَالشَّمْسِ أَشْ رَقَّ نَوْرُهَا بِبَهَائِهَا

وجهمان .. أحدهما أنه أراد أنها تطيب بالعنبر فتصفر لأن الشمس تغيب صفراء الوجه
 .. والآخر أراد المبالغة في الحسن لأن الشمس أحسن ما تكون في وقتها هذين
 ومن ذلك قول قيس بن الخطيم

صَفْرَاءُ أَغْجَلَهَا الشَّبَابُ لِذَاتِهَا

ومثله للأعشى

إِذَا جَرِدَتْ يَوْمًا حَسِبْتَ خَمِيصَةً عَلَيْهَا وَجَزَيْتَ النَّضِيرِ الدَّلَامِصَا
 - الخميصة - ثوب ناعم لين ناعم شبه به نعومة جسمها - والنضير - الذهب - والجريال -
 كل صبغ أحمر وانما يعنى لون الطيب عليها - والدلامس - البراق فهذا وجه .. والوجه
 الثانى أن يكون أراد بوصفها بالصفرة رقة لونها فعندهم ان المرأة اذا كانت صافية اللون
 رقيقة ضرب لونها بالعشى الى الصفرة .. قال على بن مهدى الاصفهاني قال لى أبى قال
 لي الجاحظ زعموا ان المرأة اذا كانت صافية اللون رقيقة يضرب لونها بالغداة الى البياض
 وبالعشى الى الصفرة واحتج فى ذلك بقول الراجز

فَلَمَّا عَلِمَتْ بَيَاضَ صَفْرَاءِ الْأَصْلُ

زادت على البيض الحسا	ن بحسنا وقائها
لما أسبكرت للشبا	ب وقنعت بردائها
لم تلتفت لاسداتها	ومضت على غلوائها
لولا هوى أم البن	ين وحاجتي للقائها
قد قربت لى بغلة	محبوسة لنجائها

ومعنى - مضت على غلوائها - أى مضت على أول شبابها يقال فعل ذلك فى غلواء شبا به أى فى أوله
 .. قال الأعشى

إِلَّا كُنَّا شُرَّةَ الَّذِي ضَيَعْتُمْ كَالْفَصْنِ فِي غُلُوَائِهِ الْمُنْتَبِتِ

وقيل الغلواء سرعة الشباب وحقيقته من الغلو وهو الارتفاع والتحدد ويقال مضى
 الرجل على غلوائه اذا ركب أمره وبلغ فيه غايته

وزعم ان بيت ذى الرمة الذي أنشدناه من هذا المعنى وكذلك بيت الاعني الذي أنشدناه والابيات محتملة للأمرين فأما البيت الذي لا يحتمل الا وجهاً واحداً فهو قول الشاعر وقد خنقتهَا بَرَّةٌ فذمُّوْهَا علي خدَمَها حُمْرٌ وفي نَحْرِها صَفَرٌ

فانها لا تكون صفراً في نحرها الا لأجل الطيب .. فأما قوله - على خدما حمر - فانما أراد انها تصبغ بلون خدما .. والوجه الثالث أن تكون المرأة كانت صفراء على الحقيقة فان بشاراً كثيراً ما يشبب بامرأة صفراء كقوله

أَصْفَرَاءُ لَا أُنْسَى هَوَاكَ وَلَا وَدَى وَلَا مَامَضَى بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ عَهْدٍ
لَقَدْ كَانَ مَا بَيْنِي زَمَانًا وَبَيْنَهَا كَمَا كَانَ بَيْنَ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ الْوَزْدِ

أي كما كان بين طيب المسك والعنبر وكقوله

أَصْفَرَاءُ كَانَ الْوُدُّ مِنْكَ مَبَاحًا لِيَا لِي كَانَ الْهَجْرُ مِنْكَ مِرَاحًا
وَكَانَ جَوَارِي الْحَيِّ إِذْ كُنْتُ فِيهِمْ قَبَاحًا فَلَمَّا غَبَتْ صُرْنٌ مِلَاحًا

وقد روي - ملاحا فلما غبت صرن قباحا - وقوله قباحا فلما غبت يشبه قول السيد بن محمد الحيري

وَإِذَا حَضَرْنَ مَعَ الْمِلَاحِ بِمَجْلِسٍ أَبْصَرْتَهُنَّ وَمَا قَبُحْنَ قَبَاحًا

فأما قوله - من البيض لم تسرج سواما - فانه لا يكون مناقضاً لقوله صفراء وان أراد بالصفرة لونها لأن البياض هنا ليس بعبارة عن اللون وانما هو عبارة عن نقاء العرض وسلامته من الادناس والعرب لا تتكاد تستعمل البياض الا في هذا المعنى دون اللون لأن البياض عندهم البرص ويقولون في الابيض الاحمر ومنه قول الشاعر

جَاءَتْ بِهِ بَيْضَاءُ تَحْمِلُهُ مِنْ عَبْدٍ شَمْسٍ صَلْتَةُ الْخَدِّ

ومثله ببيض الوجوه .. فأما قول بشار في القطعة الثانية - وصفراء - مثل الخبز راتة - فانه يحتمل ما تقدم من الوجهه وان كان اللون الحق بقی خصص بقوله كالخبز راتة لأن الخبز ان يضرب الى الصفرة ويحتمل أيضاً أن يريد بصفراء غير اللون الثابت ويكون قوله كالخبز راتة

انها مثلها في التثني والتعطف .. ولقد أحسن جران العود في قوله في المعنى الذى تقدم
 كَانَ سَبِيكَةً صَفْرَاءَ صَبَّتْ عَلَيْهَا ثُمَّ لَيْثَ بِهَا الْإِزَارُ
 بَرُودُ الْعَارِضِينَ كَانَ دَاهَا بُعِيدَ النَّوْمِ مَسْكٌ مُسْتَثَارُ

محاسن مجلس آخر ٦٢

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (الله يستهزي بهم) يعلمهم في طغيانهم
 يعلمون) .. فقال كيف أضاف الاستهزاء اليه تعالى وهو بما لا يجوز في الحقيقة عليه وكيف
 خبر بأنه يعلمهم في الطغيان والعصاة وذلك بخلاف مذهبكم .. الجواب قلنا في قوله تعالى
 (الله يستهزي بهم) وجوه .. أولا أن يكون .. نى الاستهزاء الذي أضافه تعالى الى نفسه
 تجهيله لهم وتخطئه اياهم في إقامتهم على الكفر واصرارهم على الضلال وسمى الله تعالى
 ذلك استهزاء مجازاً واتساعا كما يقول القائل ان فلانا يستهزأ به منذ اليوم اذا فعل فعلا
 عابه الناس به وخطئوه فأقيم عيب الناس على ذلك الفعل وازراؤهم على فاعله مقام
 الاستهزاء به وانما أقيم مقامه لتقارب ما بينهما فى المعنى لأن الاستهزاء الحقيقى هو ما قصد
 به الى عيب المستهزأ به والازراء عليه واذا تضمنت التخطئة والتجهيل والتبكيك هذا
 المعنى جاز أن يجرى اسم الاستهزاء عليه ويشهد بذلك قوله تعالى (وقد نزل عليكم فى
 الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها) ونحن نعلم ان الآيات لا يصح
 عليها الاستهزاء ولا السخرية فى الحقيقة وانما المعنى اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويزرى
 عليها والعرب قد تقيم الشيء مقام مقاربه فى معناه فتجري عليه اسمه .. قال الشاعر

كَمْ مِنْ أَتَّاسٍ فِي نَعِيمٍ عَمَّرُوا فِي ذُرِّيِّ مَلِكٍ تَعَالَى فَبَسَقَ
 سَكَتَ الدَّهْرِ زَمَانًا عَنْهُمْ ثُمَّ أَبْكَاهُمْ دَمًا حِينَ نَطَقَ

والسكوت والنطاق على الحقيقة لا يجوز ان على الدهر وانما شبه تركه الحال على ما هي
 عليه بالسكوت وشبه تغييره لها بالنطق وأنشد الفراء

إِنَّ دَهْرًا يَلُفُّ شِمْلِي بِجُمْلٍ لَزَمَانٌ يَهْمُ بِالْإِحْسَانِ

ومثل ذلك قوله في الاستعارة لثقارب المعنى

سَأَلْتَنِي عَنْ أَنْاسٍ هَلَكُوا شَرِبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلْ

وانما أراد بالأكل والشرب الأفساد لهم والتغيير لأحوالهم . . ومثله

يَقْرَأُ بَعِيْنِي أَنْ أَرَى بَابَ دَارِهَا وَإِنْ كَانَ بَابُ الدَّارِ يَحْسِبُنِي جَلْدًا

.. والجواب الثاني أن يكون معنى الاستهزاء المضاف إليه تعالى أن يستدرجهم وبهاكمهم

من حيث لا يعلمون ولا يشعرون . . وروى عن ابن عباس أنه قال في معنى استدراجه

إياهم أنهم كانوا كلهم أخذوا خطيئة جدد لهم نعمة وانما سمى هذا الفعل استهزاء من حيث

غيب تعالى عنهم من الاستدراج إلى الهلاك غير ما ظهر لهم من الذم كما أن المستهزئ

منا المخادع لغيره يضمر أمراً ويظهر غيره . . فان قيل على هذا الجواب فالمسئلة قائمة

وأى وجه لأن يستدرجهم بالنعمة إلى الهلاك . . قلنا ليس الهلاك ههنا هو الكفر وما أشبهه

من المعاصى التى يستحق بها العقاب وانما استدرجهم إلى الضرر والعقاب الذى استحقوه

بما تقدم من كفرهم ولله تعالى أن يعاقب المستحق بما شاء أى وقت شاء فكانه تعالى

قال كفروا وبدلوا نعمة الله وعاندوا رسله لم يغير نعمه عليهم فى الدنيا بل أبقاها لتكون

مق نزعها عنهم وأبدلهم بها نعماً تكون الحسرة منهم أعظم والضرر عليهم أكثر . . فان قيل

فهذا يؤدي إلى تجويز أن يكون بعض ما ظاهرها ظاهر النعمة على الكفار مما لا يستحق

الله به الشكر عليهم . . قلنا ليس يمتنع هذا فبمعنى استحق العقاب وانما المنكر أن تكون

النعم المبتدأة بهذه الصفة على ما يازم مخالفتها ألا ترى أن الحياة وما جرى مجراها من

حفظ التركيب والصحة لا يعد على أهل النار نعمة وان كان على أهل الجنة نعمة من

حيث كان الغرض فيه إبدال العقاب إليهم . . والجواب الثالث أن يكون معنى استهزائه

تعالى بهم أن جعل لهم بما أنظروا من موافقة أهل الإيمان ظاهر أحكامهم من نظره

ومنا كعه ومواربته وموافقه وغير ذلك من الأحكام وان كان تعالى معداً لهم فى الآخرة

أليم العقاب لما أبطنوه من النفاق واستهزؤا به من الكفر فكانه تعالى قال ان كنتم أبا

المسفقون بما تظهرونه للمؤمنين^١ من المتابعة والموافقة وتبطئونه^٢ من الذفق وتطلعون عليه شياطينكم اذا خلوتهم بهم تظنون انكم مستهزؤون قاله تعالى هو المستهزي بكم من حيث جمل^٣ لكم احكام المؤمنين^٤ ظاهراً حتى ظننتم ان لكم ما لهم ثم ميز تعالى بينكم في الآخرة ودار الجزاء من حيث أناب المخلصين الذين يوافق ظواهرهم وبواطنهم وعاقب المنافقين وهذا الجواب بقرب معناه من الجواب الثاني وان كان بينهما خلاف من بعض الوجوه .. والجواب الرابع أن يكون معنى ذلك ان الله هو الذي يرد استهزاءكم ومكركم عليكم وان ضرر ما فعلتموه لم يتعدكم ولم يحط بسواكم ونظير ذلك قول القائل ان فلاناً أراد أن يخذلني فخذلني فخذلته وقصد الى أن يكره في فكرت به والمعنى ان ضرر خداعه ومكره حاد اليه ولم يضرنى به .. والجواب الخامس أن يكون المعنى أن يجازيهم على استهزائهم فاما الجزاء على الذنب باسم الذنب والعرب تسمى الجزاء على الفعل باسمه قال الله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثاها) وقال (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) الآية وقال (وان عاقبتهم فحاقبوا بمنثله ما عوقبتهم به) والمبتدأ ليس بعقوبة .. وقال الشاعر

أَلَا يَجْهَلُونَ أَحَدَهُ عَلَيْنَا فَجَجْهَلٌ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ^(١)

ومن شأن العرب أن تسمى التي باسم ما يقاربه ويصاحبه ويشتهد اختصاصه به وتعاقه به واذا انكشف المعنى وأمن الإبهام وربما غلبوا أيضاً اسم أحد الشيئين على الآخر لقوة التعلق بينهما وشدة الاختصاص فيهم فمثل الاول قولهم للبعير الذي يحمل المزايدة راوية وللمزايدة المحمولة على البعير راوية فسموا البعير باسم ما يحمل عليه .. قال الشاعر

مَشِيَّ الرَّوَايَا بِالزَّادِ الْأَثْقَلِ

أراد الروايا الابل ومن ذلك قولهم صرعه الكأس فاستلبت عقله .. قال الشاعر

وَمَا زَالَتِ الْكَاسُ تَمْتَلِنَا وَتَذْهَبُ بِالْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ

والكأس هي ظرف الشراب والفعل الذي أضافوه اليها انما هو مضاف الى الشراب الذي يحل فيها لأن العرب لا تقول الكأس الا بما فيه من الشراب فكان الاناء الفارغ لا يسمى

كأشأ وعلى هذا القول يكون إضافة اختلاس العقل والتصريح وما يجري مجرى ذلك إلى الكأش على وجه الحقيقة لأن الكأش على هذا القول اسم للأداء وماحل فيه من الشراب . . . ومثل الوجه الثاني الذي ذكرناه عنهم من التغليب تغليبهم اسم القمر على الشمس قال الشاعر

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قَمَرَاهَا وَالنَّجُومُ الطَّوَالِجُ

أراد لنا شمسها وقمرها فغلب . . . ومنه قول الآخر

فَقُولُوا لِأَهْلِ الْمَكَّةِ تَحَاشَدُوا وَسِيرُوا إِلَى آطَامِ يَثْرِبَ وَالتَّحَلُّ

أراد - بمكئين - مكة والمدينة ^(١) وقال الآخر

فَبَصْرَةُ الْأَزْدِ مِنَّا وَالْعِرَاقُ لَنَا وَالْمَوْصِلَانِ وَنَا مِصْرُ وَالْحَرَمُ

أراد - بالموصلين - الموصل والجزيرة . . . وقال الآخر

نَحْنُ سَبِينَا أُمَّكُمْ مَقَرِّبَا يَوْمَ صَبَحْنَا الْحَيْرَتَيْنِ الْمُنُونِ

أراد - الحيرة والكوفة - وقال آخر

إِذَا أَجْتَمَعَ الْعَمْرَانِ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ وَبَدْرُ بْنُ عَمْرِو خَلَّتْ ذُبْيَانُ جُوعًا ^(٢)

(١) ويقال القريتان لمكة والطائف وفسر به قوله تعالى (لولا نزل هذا القرآن

على رجل من القريتين عظيم) ويقال أيضاً الحرمان لمكة والمدينة والحيرتان للبصرة والكوفة

(٢) قوله - إذا اجتمع العمران - الخ هما عمرو بن جابر بن هلال بن عتيق بن سمي

ابن مازن بن فزارة وبدر بن عمرو بن جؤبة بن لؤذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة

وهما روقا فزارة . . . والبيتان لفراد بن حنش الصاردي من بني الصارد بن مرة . . . قلت

ومن هذا النوع قولهم سيرة العمرين لابي بكر وعمر رضي الله عنهما وقيل هما عمر بن

الخطاب وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما وهذا غلط قال معاذ الهراء لقد قيل سيرة

العمرين قبل خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى قال سيديويه أما قولهم أعطيك

سنة العمرين فانما أدخلوا الالف واللام عليهما وهما نكرة وكأنهما جملا من أمة كل

وَالْقَوَا مَقَالِيدَ الْأُمُورِ إِلَيْهِمَا جَمِيعًا وَكَانُوا كَارِهِينَ وَطُوعًا
أَرَادَ بِالْعَمْرَيْنِ - رَجُلَيْنِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا عَمْرُو وَالْآخَرُ بَدْرٌ وَقَدْ فُسِّرَ الشَّاعِرُ فِي الْبَيْتِ
•• وَمِثْلُهُ

جَزَانِي الزَّهْدَمَانِ جَزَاءَ سُوءٍ وَكُنْتُ الْمَرْءَ يُجْزَى بِالكَرَامَةِ^(١)

أَرَادَ بِالزَّهْدَمَيْنِ - رَجُلَيْنِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا زَهْدَمٌ وَالْآخَرُ كَرْدَمٌ فَغُلِبَ وَكُلَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ
يَقْوَى هَذَا الْجَوَابُ مِنْ جَوَازِ تَسْمِيَةِ الْجَزَاءِ عَلَى الذَّنْبِ بِاسْمِهِ وَتَغْلِيْبِهِ عَلَيْهِ لِلْمُقَارَبَةِ
وَالِاخْتِصَاصِ التَّامِ بَيْنَ الذَّنْبِ وَالْجَزَاءِ عَلَيْهِ •• وَالْجَوَابُ السَّادِسُ مَارُوي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
أَنَّهُ قَالَ يَفْتَحُ لَهُمْ وَهُمْ فِي النَّارِ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ فَيَقْبَلُونَ إِلَيْهِ مَسْرِعِينَ حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا إِلَيْهِ
سَدَ عَلَيْهِمْ فَيَضْحَكُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ إِذَا رَأَوْا الْأَبْوَابَ قَدْ أُغْلِقَتْ عَلَيْهِمْ وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى
(فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ) •• فَانْ قِيلَ فَأَيُّ فَائِدَةٍ
فِي هَذَا الْوَجْهِ وَمَا وَجْهَ الْحِكْمَةِ فِيهِ •• قُلْنَا وَجْهَ الْحِكْمَةِ فِيهِ ظَاهِرٌ لِأَنَّ ذَلِكَ أَغَاظَ فِي
نَفْسِهِمْ وَأَعْظَمَ فِي مَكْرِهِمْ وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْعِقَابِ الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ بِأَفْعَالِهِمُ الْقَبِيحَةِ
وَاحِدٌ مِنْهُمَا عَمْرٌ وَاخْتِصَاصُ الْاِخْتِصَاصِ النَّجْمِ بِهَذَا الْأَسْمِ فَصَارَ بِمَنْزِلَةِ السَّرِيرِ إِذَا كُنْتَ
تَعْنِي النَّجْمَيْنِ وَبِمَنْزِلَةِ الْغَرِيْبَيْنِ الْمَشْهُورَيْنِ بِالْكُفُوفَةِ لَهُ
(١) وَبَعْدَهُ

وَقَدْ دَاخَلْتُ قَدْ عَلِمْتُ مَعْدَ بَنِي قُرْطٍ وَعَمَّهُمَا قَدَامَهُ

رَكِبْتُ بِهِمْ طَرِيقَ الْحَقِّ حَقِّ أَتَيْتُهُمْ بِهَا مَائَةٌ ظَلَامَهُ

وَالْأَبْيَاتُ لَيْسَ بِنَ زَهِيرٍ وَالزَّهْدَمَانِ هُمَا زَهْدَمٌ وَكَرْدَمٌ أَبْنَا حُزْنَ الْعَبْسِيَّانِ •• وَهِيَ جَزَاءُهُمَا
لَيْسَ بِنَ زَهِيرٍ أَنَّهُمَا يَوْمَ شَعْبِ جَبَلَةٍ لَمَّا انْهَزَمَ حَاجِبُ بَنِ زُرَّارَةَ تَبَعَاهُ فَجَعَلَا يَطْرُدَانِهِ
وَيَقُولَانِ لَهُ اسْتَأْسِرْ فَيَقُولُ مِنْ أَنْتُمَا فَيَقُولَانِ الزَّهْدَمَانِ فَيَقُولُ لَا اسْتَأْسِرْ لِمَوْلَيْيْنِ فَاسْتَأْسِرْ
لِمَالِكِ ذِي الرَّقِيْبَةِ فَاسْتَغْنَا بَقِيْسَ بِنَ زَهِيرٍ فَنَازَعَ ذَا الرَّقِيْبَةِ فَخَسَمُوا حَاجِبًا فَقَالَ أَمَامَن
رَدْنِي عَنْ قَصْدِي فَالزَّهْدَمَانِ وَأَمَّا الَّذِي اسْتَأْسِرْتَ لَهُ فَهَالِكُ خَسَمْتُ فِي نَفْسِي فَخَسَمُوهُ
فَقَالَ أَمَّا مَالِكُ فَهُوَ أَلْفُ نَاقَةٍ وَالزَّهْدَمَيْنِ مَائَةٌ ثُمَّ وَقَفَتْ بَيْنَ قَيْسٍ وَالزَّهْدَمَيْنِ مُغَاضِبَةٌ
فَقَالَ الْآبِيَاتُ

لان من طمع في النجاة والخلاص من المكروه واشتد حرصه على ذلك ثم حيل بينه وبين الفرج ورد الى المكروه يكون عذابه أصعب وأغلظ من عذاب ملاطريق للطمع عليه . . . فان قيل فعلى هذا الجواب ما لفعل الذي هو الاستنزاء . . . قلنا في ترداده لهم من باب الى آخر على سبيل التعذيب معنى الاستنزاء من حيث كان اظهاراً لما المراد خلافه وان لم يكن من معنى الاستنزاء ما يقتضي قبحه من الله واللعب وما يجري مجرى ذلك . . . والجواب السابع أن يكون ما وقع منه تعالى ليس باستنزاء على الحقيقة لكنه سماء بذلك ليزدوج اللفظ وينف على اللسان والامر بفي ذلك عادة معروفة في كلامها والشواهد عليه مذكورة ومشهورة وهذه الوجوه التي ذكرناها في الآية يمكن أن تذكر في قوله تعالى (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) وفي قوله (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) فاي تأمل ذلك . . . وأما قوله تعالى (ويدهم في طغيانهم يعمهون) فيحتمل وجهين . . . أحدهما أن يريد انى امل لهم في العمر وأمهاتهم ليؤمنوا ويطيعوا وهم مع ذلك مستمسكون بطغيانهم وعمهم . . . والوجه الآخر أن يريد يدهم أن يتركهم من فوائده ومنحه التي يؤتيها المؤمنين ثوابهم ويمنهم الكافرين عقابا كشرحه اصدورهم وتنويره لقلوبهم وكل هذا واضح بحمد الله . . . [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه واني لأستحسن لبعض الاعراب قوله

خَلِيلِي هَلْ يَشْفِي مِنَ الشَّوْقِ وَالْجَوَى	يَدُّ وَذَرَى الْأَوْطَانِ لَا بَلْ يَشَوْقُهَا
وَيَزْدَادُ فِي قُرْبِ إِلَيْهَا صَبَابَةً	وَيَبْعُدُ مِنْ فَرْطِ اشْتِيَاقِ طَرِيقُهَا
وَمَا يَنْفَعُ الْحَرَّانَ ذَا الْأَوْحِ أَنْ يَرَى	حِيَاضَ الْقَرَى مَمْلُوءَةً لَا يَذُوقُهَا
وَلَا خَرَفِي تَذَكُّرِ الْأَوْطَانِ وَالْحَنِينِ إِلَيْهَا	وَذَاتِ الْفَضَا جَادَتْ عَلَيْكَ الْهَوَاضِبُ
أَلَا قُلْ لِدَارِ بَيْنِ أَكْثَبَةِ الْحِمَى	دُمُوعُ أَضَاعَتْ مَا حَفِظَتْ سِوَاكِ كَبُ
أَجْدُكَ لَا آتِيكَ إِلَّا تَقَلَّبَتْ	وَطَاوَعَنِي فِيهَا الْهَوَى وَالْحَبَابُ
دِيَارُ تَنَاسَلَتْ الْهَوَاءَ بِجَوِّهَا	

لِيَايَا لَا الْهَجْرَانُ مُحْتَكِمٌ بِهَا عَلَى وَصْلِ مَنْ أَهْوَى وَلَا الظَّنُّ كَاذِبٌ
وَأَنشُدْ أَبُو نَصْرٍ صَاحِبَ الْأَصْمَى لِأَمْرِي

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً
وَهَلْ أَشْرَبَنَ الذَّهْرَ مِنْ مَاءِ مَزْنَةٍ
بِلَادٍ بِهَا كُنَّا نَحُلُّ فَأَصْبَحَتْ
تَفِيَّاتٌ فِيهَا بِالشَّبَابِ وَالصَّبِي
وَأَنشُدْ الْأَصْمَى لِمَدَقَّةِ بْنِ نَافِعٍ الْغَنَوِي

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَحَنَّنَ نَاقَتِي
فَتِلْكَ بِلَادٌ حَبَّبَ اللَّهُ أَهْلَهَا
بِلَادٍ بِهَا أَنْصَبْتُ رَا حِلَّةَ الصَّبِي
فَقَدْنَا بِهَا الْهَمَّ الْمُكَدَّرَ شُرْبُهُ
وَأَنشُدْ أَبُو عِلْمٍ لِسَوَّارِ بْنِ الْمُضَرَّبِ

سَقَى اللَّهُ الْيَمَامَةَ مِنْ بِلَادٍ
وَجَوْ زَاهِرٍ لِلرَّيْحِ فِيهِ
بِهَا سَقَتِ الشَّبَابُ إِلَى مَشِيبٍ
وَأَنشُدْ إِبْرَاهِيمَ بْنَ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِي

أَلَا يَا حَبْدًا جَنَّتْ سَلْمَى
خَلَعَتْ بِهَا الْعِدَارَ وَنَلَتْ فِيهَا
أَسُومٌ بِبِاطِلِي طَلَبَاتٍ لِهَوَى
وَجَادَ رِيَاضَهَا جَوْنُ السَّحَابِ
مُنَايَ بَطَاعَةٍ أَوْ بِإِغْتِصَابِ
وَيَعْذُرُنِي بِهَا عَصْرُ الشَّبَابِ

لكل هؤلاء على ما ترى قد أفصحوا بأن سبب حنينهم الى الأوطان ما لبسوه فيها من ثياب الشباب واستظلوه من ظله وأنضوه من رواجه وأنه كان يعذرهم ويمحس قبايحهم فعلى أى شئ يغلو الناس في قول ابن الرومي

وَحَبَّبَ أَوْطَانَ الرَّجَالِ إِلَيْهِمْ وَأَرَبُ قَضَاهَا الشَّبَابُ هُنَا لِكَا
إِذَا ذَكَرُوا أَوْطَانَهُمْ ذَكَرْتَهُمْ عُهُودَ الصَّبَا فِيهَا فَحَنُّوا لَذَالِكَا

ويزعمون أنه سبق الى ما لم يسبق اليه وكشف عن هذا المعنى مستورا ووسم غفلا وقوله وان كان جيد المعنى سليم اللفظ فلم يزد فيه على من تقدم ولا أبدع بل اتبع ولكن الجيد اذا ورد بمن يعهد منه الرديء كثر استحسانه وزاد استطرافه . . . ولقد أحسن البحترى في قوله في هذا المعنى

فَسَقَى الْغُضِيَّ وَالنَّازِلِيَّ وَإِنْهُمْ شَبَّوْهُ بَيْنَ جَوَانِحِ وَقُلُوبٍ ^(١)
وَقَصَارِ أَيَّامٍ بِهِ سُرِقَتْ لَنَا حَسَنَاتُهَا مِنْ كَاشِحٍ وَرَقِيبٍ
خُضِرَتْ لَهَا الصَّبَا فَكَأَنَّهَا وَرَقٌ يُسَاقِطُهُ اهْتِزَازُ قَضِيبٍ
كَانَتْ فُنُونٌ بَطَالَةٌ فَتَقَطَّعَتْ عَنْ هَجَرٍ غَايَتِهِ وَوَصَلَ مَشِيبٍ

وأحسن في قوله

سَقَى اللَّهُ أَخْلَافًا مِنَ الدَّهْرِ رَطْبَةً سَقَتْنَا الْجَوَى إِذَا بَرَقَ الْحَزَنُ أَبْرَقُ
لَيَالٍ سَرَفْنَاهَا مِنَ الدَّهْرِ بَعْدَ مَا أَضَاءَ بِأَصْبَاحٍ مِنَ الشَّيْبِ مَفْرَقُ

(١) - الغضا - شجر مغروف واحدة غضاة وأرض غضيانة كثيرته . . . وفي البيت استخدام فاته أراد بأحد الضميرين الراجعين الى الغضا وهو الجرور في الساكنية المكان وهو أرض لبني كلاب وواد نجد وبالأخر وهو المصوب في شبوه النار أي أوقدوا في جوانحه نار الغضا يعني نار الهوى التي تشبه نار الغضا وخص الغضا دون غيره لأن جره بطلى الانطواء وفي بعض الروايات وضلوعي بدل وقلوب وهي غاط

تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلٍ بَلِيلٍ فَمَا اشْتَفَى
بِمَاءِ الرُّيِّ مَنْ بَاتَ بِالرِّيقِ يَشْرَقُ

ولأني تمام في هذا المعنى ملا يقتصر عن احسان وهو

سَلَامٌ تَزَجِفُ الْأَحْشَاءُ مِنْهُ
عَلَى الْبَلَدِ الْحَبِيبِ إِلَى غَوْرَا
لِيَا لِي نَحْنُ فِي وَسَنَاتِ عَيْشِ
وَأَيَّامِ لَهُ وَلَنَا لِدَانِ
كَأَنَّ الْعَهْدَ عَنْ عَفْرِ أَدْبَانِ



— مجلاس آخر ۶۳ —

[تأويل آية ٥٠] أن سأل سائل عن قوله تعالى (وقلنا اعبطوا بعضكم لبعض عداوة) الآية ٥٠ فقال كيف خاطب آدم وحواء عليهما السلام بخطاب الجمع وهما أنثان وكيف نسب بينهما العداوة وأي عداوة كانت بينهما ٥٠ الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه ٥٠ أولها أن يكون الخطاب متوجهاً إلى آدم وحواء وذريتهما لأن الوالد يرسلان على الذرية ويتعلق بهما ويقوى ذلك قوله تعالى حاكياً عن إبراهيم واسماعيل عليهما السلام (ربنا اجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) ٥٠ وثانيها أن يكون الخطاب لآدم وحواء عليهما السلام ولا لبائس اللعين وأن يكون الجميع مشتركين في الأمر بالهبط وليس لأحد أن يستبعد هذا الجواب من حيث لم يتقدم لبائس ذكر في قوله تعالى (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) لأنه وإن لم يخاطب بذلك فقد جرى ذكره في قوله تعالى (فزلزلنا الشيطان عنها فأخرجهم) مما كنا فيه) فثبت أن دعوى

(١) وفي نسخة غنيما في حواشيها الرقاق وفي ديوانه عربنا من حواشيها الرقاو

الخطاب على الجميع . . . وثالثها أن يكون الخطاب متوجهاً الى آدم وحواء عليهما السلام والحية التي كانت معهما على ما روى عن كثير من المفسرين في هذا الوجه بعد من قبل ان خطاب من لا يفهم الخطاب لا يحسن فلا بد من أن يكون قبيحاً اللهم الا أن يقال انه لم يكن هناك قول في الحقيقة ولا خطاب وانما كنى تعالى عن إهباطه لهم بالقول كما يقول أحدنا قات فاقبت الامير وقت فضربت زبداء وانما يخبر عن الفعل دون القول وهذا خلاف الظاهر وان كان مستعملاً وفي هذا الوجه بعد من وجه آخر وهو ان لم يتقدم للحية ذكر في نص القرآن والكناية عن غير مذكور لا تحسن إلا بحيث لا يقع لبس ولا يسبقوهم الى تعلق الكناية بغير مكفى عنه حتى يكون ذكره كترك ذكره في البيان عن المعنى المقصود مثل قوله تعالى (حتى توارت بالحجاب . . . وكل من عليها فان) ومثل قول الشاعر

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدور^(١)

فاما بحيث لا يكون الحمال على هذه الكناية عن غير مذكور فقيحة . . . ورابعها أن يكون الخطاب يخص آدم وحواء عليهما السلام وخطب الاثنين بالجمع على عادة العرب في ذلك

(١) - قوله - اذا حشرجت - الخ فاعل حشرجت ضمير يعود على النفس ولم يتقدم

ذكرها وذلك جائز لعلم المعنى من السياق ومثله قوله تعالى (كلا اذا بلغت التراقي) فان النفس لم يتقدم لها ذكر ولكن المعنى واضح . . . والبيت من قصيدة لحاتم الطائي يخاطب

إسرائيل ماوية ومطاعها

أماوي قد طال التنجيب والمجير وقد عذرتني في طلابكم المهجر

أماوي انت المسال غاد ورائع ويبقى من المال الاحاديث والذكر

ومنها أماوي إن يصبح صداي بفترة من الارض لاماء لدي ولا خمر

ترى ان ما نفقت لم يك ضائري وان يدي ممسا بخلت به صفر

أماوي اني رب واحد أمه أخنت فلا قتل عليه ولا أسر

رقد علم الأرقام لو أن حائماً أراد ثراء المسال كان له وفر

لأن الثنية أول الجمع قال الله تعالى (اذ نعشت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين)
 أراد تعالى وكنا لحكم داود وسليمان عليهما السلام وكان بعض أصحاب رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يتأول قوله تعالى (فان كان له إخوة) على معنى فان كان له أخوان . . قال الراعي
 أَخْلِيدُ إِنَّ أَبَاكَ ضَافٌ وَسَادُهُ هَمَّانُ بَاتَا جَنَبَةً وَدَخِيلًا

أى داخلًا فى القلب

طَرَقًا فَتَلَّكَ هَمَاهِمِي أَقْرِيهِمَا قُلُوصًا وَافِحَ كَالْقِسِيِّ وَحَوْلًا

فعبّر بالمهامهم وهى بمعنى الهوموم وهما اثنتان . . فان قيل فاما معنى الهبوط الذي أمروا به . . قلنا
 أكثر المفسرين على أن الهبوط هو النزول من السماء الى الارض وليس فى ظاهر
 القرآن ما يوجب ذلك لأن الهبوط كما يكون النزول من علو الى سفلى فقد يراد به الحلول
 فى المكان والنزول به قال الله تعالى (اهبطوا مصر فان لكم مآسأتم) ويقول القائل
 من العرب هبطنا بلد كذا وكذا يريد حللنا . . قال زهير

مَا زِلْتُ أُرْمِقُهُمْ حَتَّى إِذَا هَبَطْتُ أَيْدِي الرِّكَابِ بِهِمْ مِنْ رَاكِسٍ فَلَقَا

فقد يجوز على هذا أن يريد تعالى بالهبوط الخروج من المكان وحلول غيره ويحتمل
 أيضاً أن يريد بالهبوط غير معنى المسافة بل الانحطاط من منزلة الى دونها كما يقولون قد
 هبط عن منزلته ونزل عن مكانه اذا كان على رتبة فأنحط الى دونها . . فان قيل فما معنى
 قوله (بعضكم لبعض عدو) . . قلنا أما عداوة إبليس لآدم وذريته فعروفة مشهورة
 وأما عداوة آدم عليه السلام والمؤمنين من ذريته لابليس فهى واجبة لما يجب على المؤمنين
 من معاداة الكفار أى المارقين عن طاعة الله تعالى المستحقين لمقتله وعداوته وعداوة
 الحية على الوجه الذى تضمن ادخالها فى الخطاب لبني آدم معروفة ولذلك يحذرهم منها
 ويجنبهم فاما على الوجه الذى يتضمن ان الخطاب اختص آدم وحواء دون غيرها فيجب
 أن يحمل قوله تعالى (بعضكم لبعض عدو) على أن المراد به الذرية كأنه قال تعالى
 اهبطوا وقد علمت من حال ذريتهم ان بعضكم يعادى بعضاً وعلق الخطاب بهما

للاختصاص بين الذرية وبين أصلها .. فان قيل أليس ظاهر القرآن إهبطوا يقتضي الأمر بالمعاداة كما انه أمر بالهبط وهذا يوجب أن يكون تعالى أمر بالتبحيح على وجه لأن معاداة ابليس لا دم عليه السلام قبيحة ومعادات الكفار من ذريته للمؤمنين منهم كذلك .. قلنا ليس يقتضي الظاهر ما ظنتموه وانما يقتضي انه أمرهم بالهبط في حال عداوة بعضهم بعضاً فالأمر مختص بالهبط والعداوة تجري مجرى الحال وهذا له نظائر كثيرة في كلام العرب ويجري مجرى هذه الآية في أن المراد بها الحال قوله (انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ونزهي أنفسهم وهو كافرون) وليس معنى ذلك انه أراد كفرهم كما أراد تعذيبهم وازهاق نفوسهم بل أراد أن نزهي أنفسهم في حال كفرهم وكذلك القول في الأمر بالهبط وهذا بين .. [قال الشريف] المرتضى رضي الله عنه ومن مستحسن تلميح السادات الكرام قول الشاعر

وَيْلٌ أُمَّ قَوْمٍ غَدَوْنَا عَنْكُمْ لَطِيفَتِهِمْ لَا يَكْتَنُونَ غَدَاةَ الْعَلِّ وَالنَّهْلِ
صُدُّوا السَّرَائِيلَ لَا تُوكِي مَقَانِيهِمْ عَجْرُ الْبَطُونِ وَلَا تُطَوِي عَلَى الْفُضْلِ

قوله - ويل أم قوم - من الزجر المحمود الذي لا يقصد به الشر مثل قولهم قاتل الله فلانا ما أشجعه وأبرحه ما أسعجه .. وقد قيل في قول جميل

رَمَى اللَّهُ فِي عَيْنِي بَثِينَةً بِالْقَذَى وَفِي النُّرِّ مِنْ أَنْيَابِهَا بِالْقَوَادِحِ ^(١)

(١) قوله - رمى الله في عيني بثة بالقذى - الخ .. قيل معناه سبحانه الله ما أحسن عينها ومن ذلك قولهم قاتل الله فلانا ما أشجعه - وأنياب القوم - ساداتهم أي رمى الله السادة والملاك في سادات قومها لأنهم حالوا بينها وبين زيارتي واستعد - بعضهم - أن يقال أراد بالعينين رقيبها وبالنور من أنيابها كرام ذويها وعشيرتها والمعنى أفناهم الله وأراهم المنكرات فهو في الظاهر يشتمها وفي النية يشتم من يتأذى به فيها ويقال لهم أنياب الخلافة لمدافعين عنها .. وقيل أراد بافها الله أقصى غايات العمر حتى تبطل عوامها وحواسها فالدعاء على هذا لها عليها .. وقوله - بالقذى - الباء زائدة والقذى كل ما وقع في العينين من

انه أراد هذا المعنى بعينه وقيل انه دعا لها بالهرم وعلو السن لأن الكبير يكثر قذري عيابه وتتم أسنانه . . . وقيل انه أراد بعيلها رقيبيها وبقر أنيابها سادات قومها ووجوههم والاول أشبه بطريقة القوم وان كان القول محتملا للكل . . . فاما قوله — لا يكتنون غداة العل والنهل — فاراد انهم ليسوا برعاة يسقون الابل بل لهم من يخدمهم وبكفيهم وبرعي إبلهم وانما يكتني ويرتجز على الدلو السقاء والرعاة وفيه وجه آخر قيل انهم يسامحون شربهم وبوثرؤونه بالسقي قبل أموالهم ولا يضنون عليه ولا يكتنون وهذا من الكرم والتفضل لامن الضعف . . . وقيل أيضاً بل عنى انهم أخصاء ذوو منعة اذا وردت إبلهم ماء أفرج الناس لها عنه لأنها قد صرفت فليس يحتاج أربابها الى الاكتناء والتعريف وقال قوم في قوله يكتنون انه أراد كنت يده تكن اذا خشيت من العمل فيقول لبسوا أهل مهنة فتكنن أيديهم فتخش من العمل بل لهم عبيد يكفونهم ذلك . . . وقوله — صدأ

شئ يؤذيها كالتراب والعود ونحوها . . . وقوله — وفي الغر — الخ معطوف على قوله في عيني وهو جمع أغر وغراء أراد رمي الله في أنيابها الحسان النقية البيضاء القوادح فالباء زائدة أيضاً وأنياب جمع ناب وهي السن — والقوادح — جمع قادح وهو السواد الذي يظهر في الاسنان فالاسنان تنأ كل منه . . . ويدفع في صدر ما تقدم ماروى ان جبيل القى بثينة بعد تهاجر بينهما طوالات مدته فذهابا طويلا فنالت له ويحك يا جميل أنزعك تهواني وأنت الذي تقول رمي الله في عيني بثينة بالقذى البيت فأطرق طويلا يبكي ثم قال

ألا ليتني أعمى أصم تقودني بثينة لا يخفى على كلامها

وروى أيضاً ان كثيراً قال وقعت على جماعة يفيضون في وفي جبيل أينا أصدق عشقاً ولم يكونوا يعرفوني ففلسوا حبيلا فقلت لهم ظلمتم كثيراً كيف يكون جميل أصدق منه وحين أناه من بثينة ما يكره قال رمي الله في عيني بثينة بالقذى البيت وكثير حين أناه من عنزة ما يكره قال

هنيئاً مريئاً غير داه مخامر لعز من أصر اضنا ما استحل

فما انصرفوا الا على تفضيل وهذا يدل على أن جبيل دعا عليها حقيقة اه

السراويل - فانما أراد بهم طول حملهم للسلاح ولبسهم له - والمقارب - هي الأوعية التي يكون فيها الزاد فكانه يقول اذا سافروا لم يشبهوا الاوعية على ما فيها وأطعموا أهل الرفقة وهذه كناية عن الاطعام وبذل الزاد مليحة - وعجر البطون - من صفات المناقب أراد انها لانوكي عجر البطون ولا تطوى على فضل الزاد . . . ولبعض شعراء بني أسد وأحسن غاية الاحسان

رَأَتْ صُرْمَةً لِابْنِي عُبَيْدٍ تَمَنَّتْ مِنْ الْحَقِّ لَمْ تُوزَلْ بِحَقِّ إِفَالِهَا
فَقَالَتْ أَلَا تَغْدُو فِصَالَكَ هَكَذَا فَقُلْتُ أَبْتَ ضَيْفَانَهَا وَعِيَالَهَا
فَمَا حُبَّتْ إِلَّا الثَّلَاثَةَ وَالْثَنِي وَلَا قِيلَتْ إِلَّا قَرِيبًا مَقَالَهَا
حَدَايِيرُ مِنْ كُلِّ الْعِيَالِ كَانَتْهَا أَنَا ضِيٌّ شَقِيرٌ حُلٌّ عَنْهَا جَلَالَهَا

شكى هذا الشاعر من امرأته وحكى عنها أنها رأت إبلا لجيرانها لم تعط في حالة ولم تعقر في حق ولم تحلب لضيف ولا جار فمعي سمان . . . وقوله - لم توزل، إفاها - فالإفال الصغار وتوزل من الازل وهو الضيق في العيش والشدة فيقول فصال هؤلاء سمان لم تاق بؤساً لأن البان أمهاتها موفورة عليها . . . وحكى عن امرأته أنها تقول أغذات فصالك هَكَذَا فقال لها تأبى ذلك الحقوق وعيالها وهم الجيران والضيفان ثم أخبر أنه لم يأنف إلى لومها وإن الإبل ما حلبت بعد مقاتلتها الا مرتين أو ثلاث ولا قيات من القائلة الا بقرب البيوت حتى نحرقها ووهبها - والحداير - المهازيل وإنما يعنى فصاله وهزالها من أجل أنها لا تنسى الابان وتعقر أمهاتها - وأناضى - جمع انضو فشبه فصاله من هزالها بانضاء خيل شقر . . . وقوله - حداير من كل العيال - فيه معنى حسن لأنه أراد أنها من بين جميع العيال مهازيل وهذا تأكيد لأن سبب هزالها هو الاضرار بالبانها واختصت بالهزال من بين كل العيال والعيال هنا هم الجيران والضيفان وإنما جمعهم عيالا لأن كرمه وجوده قد ألزمه مودتهم فصاروا كأخص عياله . . . ومثل ذلك قول الشاعر

تَعَبِرُنِي الْحُظْلَانُ أَمْ مَحْلَمٌ فَقُلْتُ لَهَا لِمَ تَقْدِرُنِي بِدَائِيَا

فَإِنِّي رَأَيْتُ الصَّامِرِينَ مَتَاعَهُمْ يُذَمُّ وَيَفْنَى فَارَضْنِي مِنْ وَعَائِيَا^(١)

فَلَمْ تَجِدْنِي فِي الْمَعِيشَةِ عَاجِزًا وَلَا حَصْرِمًا خِبَاشِدِيًّا وَكَأَيُّهَا

— الحظلان — المسكون البخلاء والحظال الامساك — وأم محم — امراته .. ومعنى قوله تعبرني الحظلان أى بالحظلان تقول مالك لا تكون مثل هؤلاء الذين يحفظون أموالهم — والصامرون — أيضاً البخلاء فقال لها رأيت البخلاء يضنون بما عندهم وهو يفتي ويسبق الذم فارضني من وعائى وهذا مثل أى أعطى الناس مما عندي وهو من قولك رضخ له بشئ من عطيته .. والحصرم — المسك تقول العرب حصرم قوسك أى شدد وترها .. وقوله — فلم تجدني في المعيشة عاجزاً — أى أنا صاحب غارات أفيد — واستفيد وأنلف وأخلف فلانخافى الفقر .. وقال مسكين الدارمي

أَصْبَحْتَ عَاذِلَاتِي مُعْتَلَةً قَرِمًا أَمْ هِيَ وَحْمِي لِلصُّخْبِ

أَصْبَحْتَ تَتَفَلُّ فِي شَحْمِ الذَّرَى وَتَظُنُّ اللَّوْمَ ذُرًّا يُنْتَهَبُ

لَا تَلْمِهَا بِأَنِّهَا مِنْ نِسْوَةٍ مِلْحُهَا وَضُوعَةٌ فَوْقَ الرَّكَبِ

يقول انها تكثر لومي وكأنها قرمة الى اللوم كقرم الانسان الى اللحم وهي وحى تشتهي الصخب — والوحم — شدة شهوة الطعام عند الحمل — وشحم الذرى — الاسنة وأراد تتفل فيها أنها تعوذ ابلى اتزبها في عيفي ولنعظم قدرها فلا أهب منها ولا أئثر ثم أخبر ان أصلها من الرنج — والمالح — الشحم وشحم الرنج^(٢) يكون على اورا كهم .. وأكفاهم وأنشد أبو العباس محمد بن يزيد

(١) قوله — فاني رأيت الصامرين — الخ الصامرون الباخلون أراد الصامرين بمتاعهم

.. وروي يموت بدل يذم أي يموتون وهذا من اعادة ضمير المرد على الجمع .. وقال

يعقوب الحظلان مشي الغضبان

(٢) قوله — وشحم الرنج — الخ هذا تفسير الأسمى .. وقال أبو عمرو الشيباني

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ النَّهْدِ^(١)
 إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ أَكِيلاً فَإِنِّي لَسْتُ أَكُلُهُ وَحَدِيثِي
 قَصِيّاً كَرِيماً أَوْ قَرِيباً فَإِنِّي أَخَافُ مَذَمَّاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي^(٢)

ملحها موضوعة فوق الركب * أي انها بخيلة تضع ملحها فوق ركبته، فهي تأسرفني بذلك
 .. وقال غيرها من المغويين .. قوله ملحها موضوعة فوق الركب أي انها سرية
 الغضب يقال للسريع الغضب ملح، فوق ركبته وكذا غضبه على طرف أنفه

(١) - عني بذی البردين عامر بن أحيمر بن بهدلة وإنما لقب ذا البردين لأن وفود
 العرب اجتمعت عند المنذر بن ماء السماء فاخرج بردى محرق وقال ليقيم أعز العرب
 قبيلة فاليلبس بما فقام عامر المذكور فأنزروا بأحدهما وتردى بالآخر فقال له الدعمان أنت
 أعز العرب قبيلة قال العز والعبد في معدن ثم في نزار ثم في مضر ثم في خندف ثم في تيم
 ثم في سعد ثم في كعب ثم في عوف ثم في بهدلة فن أنكر هذا في العرب فلينافرن في فسكت
 الناس فقال أنعمان هذه عشيرتك فكيف أنت كما نزع في نفسك وأهل بيتك فقال أما
 أبو عشرة وعم عشرة وخال عشرة وأما أنا في نفسي فهذا شاهدي ثم وضع قدمه في
 الأرض وقال من أزالها عن مكانها فله مائة من الإبل .. وقوله - والفرس - النهدي
 وروي الورد والورد هو بين الكميث والاشقر .. والمراد بينة عبد الله نفوسة بنت
 زيد الفوارس الضبي وكان قيس بن عاصم المقرري رضى الله عنه تزوجها فأنثت في الليلة
 الثانية من بنائها بها بطعام فقال أين أكيلي فلم تعلم ما يقول حتى قال الابيات فارسات جارية
 لها تطلب له أكىلا - الاكيل - المؤاكل كأنه لم يسم المفادم والشرب المشارب والجلاليس
 المجالس ولا يطلق الا على من تكرر منه ذلك لامن وقع ذلك منه مرة وإنما نكره ولم
 يقل أ كيلي لأنه صرف بمؤاكلته عدة فأراد واحداً منهم قاله النبريزي والمرزوقي

(٢) قوله - قصياً كريماً - الخ روى بدلها .. أخاً طارقاً أو جار بيت
 فاني .. الخ .. وقوله أخا بدل من أكىلا - والمذمة - بالفتح الذم وروى بعد

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا وَمَا فِي صِفَاتِي غَيْرَ هَاشِمٍ الْعَبْدِ
 قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ اسْتَنْتَى الْكَرَمَ مِنَ الْقَعِيِّ الْبَعِيدِ وَلَمْ يَسْتَنْتِهِ مِنَ الْقَرِيبِ لِأَنَّهُ أَهْلُهُ جَمِيعاً
 عَنْده كَرَامٌ وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ - عَبْدُ الضَّيْفِ - أَنَّهُ يَخْدُمُ الضَّيْفَ هُوَ بِنَفْسِهِ لَا يَرْضَى لَهُ بِخِدْمَةِ
 عَبْدِهِ ٠٠ [قَالَ الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَيُشَبِّهُ ذَلِكَ قَوْلَ الْمُقَنَّنِ الْكِنْدِيِّ
 وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا وَمَا لِي سِوَاهَا خَلَّةٌ تُشَبِّهُ الْعَبْدَ (١)

هذا البيت بيتان وهما

وكيف يسبغ المرء زاداً وجاره
 وللموت خير من زيارة باخل
 خفيف المعابدى الخصاصة والجهد
 يلاحظ أطراف الأكيل على عمد
 ٠٠ وقيل إن هذه الأبيات لحاتم الطائي والمصحيح أنها لقيس بن عاصم كما تقدم
 [١] - أول القطعة التي منها هذا البيت .

يعاتبن في الدين قومي وانما
 ألم بر قومي كيف أوسر مرة
 فإزادني إلسناء ورفعة
 أسد به ماقد أخلوا وضيعوا
 وفي جفنة ما يفاق الباب دونها
 وفي فرس نهـد عتيق جعلته
 وإن الذي يـنى وبين بني أبي
 أراهم الى نصرى بطاء وإنهم
 إذا أكلوا الحى وفرت لحومهم
 وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم
 وإن زجروا طيراً بنحس تمرى
 ولا أحمل الحقد القديم عليهم
 لهم جلـه مالى إن تتابع لى غنى
 ديونى فى أشياء تنكسبهم جدا
 وأعسر حتى تبلغ العسرة الجهدا
 وما زادني فضل الغنى منهم بعدا
 تغور حقوق ما أطاقوا لها سدا
 مكلمة لحما مدفقة ثردا
 حجبابا لبقى ثم أخدمته عبدا
 وبين بني عمى لختاف جدا
 دعوني الى نصر أنيتهم شدا
 وإن يهدموا مجدى بنيت لهم مجدا
 وإن هم هووا غيبي هويت لهم رشدا
 زجرت لهم طيراً تمر بهم سدا
 وليس رئيس القوم من يحمل الحقددا
 وإن قلـه مالى لا أكفههم رفدا

وانما اشترط في كونه عدداً للضيف في البيت الاول والثاني نوايه ونزوله مؤثراً له ليعلم ان الخدمة لم تكن لضة وصغر قدر بل انما يوجبه الكرم من حق الاضياف وانه يخرج عن أن يكون مخدوماً بخروجه من أن يكون ضيفاً ولو قال واني لعبد الضيف ولم يشترط لم يحصل هذا المعنى الجليل



—*—*—*— مجلس آخر ٦٤ —*—*—*—

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل فقال بهم تدفعون من خالفكم في الاستطاعة وزعم أن المكلف يؤمر بما لا يقدر عليه ولا يستطيعه اذا تعلق بقوله تعالى (أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً) وان الظاهر من هذه الآية يوجب انهم غير مستطيعين الأمر الذي هم غير فاعلين له وان القدرة مع الفعل واذا تعلق بقوله تعالى في قصة موسى عليه السلام (انك ان تستطيع معي صبراً) وانه اني كونه قادراً على الصبر في حال هو فيها غير صابر وهذا يوجب ان القدرة مع الفعل وبقوله تعالى (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) ٠٠ الجواب يقال له اول ما نقوله ان المخالف لنا في هذا الباب في الاستطاعة لا يصح له فيه التعلق بالسمع لأن مذهبه لا يسلم معه صحة السمع ولا يتمكن مع المقام عليه من معرفة السمع بأدله وانما قلنا ذلك لأن من جوز تكليف الله تعالى الكافر الايمان وهو لا يقدر عليه لا يمكنه العلم اني القبايح عن الله عز وجل واذا لم يمكنه ذلك فلا بد من أن يلزمه تجوز القبايح في أفعاله تعالى وأخباره ولا يأمن أن يرسل كذاباً وأن يخبر هو بالكذب تعالى عن ذلك فالسمع ان كان كلامه قدح في حجته تجوز الكذب عليه وان كان كلام رسوله عليه السلام قدح فيه ما يلزمه من تجوز تصديق الكذاب وانما طرق ذلك تجوز بعض القبايح عليه وليس لهم أن يقولوا ان أمره تعالى الكافر بالايمان وان لم يقدر عليه يحسن من حيث أني الكافر

واني لعبد الضيف مادام نازلاً وما شئمة لي غيرها تشبه العبد

فيه من قبل نفسه لأنه تشاغل بالكفر وترك الإيمان وإنما كان يبطل تعلقنا بالسمع لو أضفنا ذلك إليه لكان على وجه يقبح وذلك لأنما قالوه إذا لم يؤثر في كون ما ذكرناه تكليفاً لما لا يطلق لم يؤثر في نفي ما ألزمناه عنهم ولأنه يلزم على ذلك أن يفعل الكذب وسائر القبائح وتكون حسنة منه بأن يفعلها من وجه لا يقبح منه وليس قولهم أنا لم نضفه إليه من وجهه يقبح بشئ يعتمد بل يجري مجرى قول من جاوز عليه تعالى الكذب ويكون الكذب منه تعالى حسناً وبدعى مع ذلك صحة معرفة السمع بأن يقول اتقي لم أضف إليه تعالى قبيحاً فيلزم في إفساد طريقة السمع فلما كان من ذكرناه لاعتذرله في هذا الكلام لم يكن للخائف في الاستطاعة عذر بمثله . . ونعود إلى تأويل الآي أما قوله تعالى (أنظر كيف ضربوا) الآية فليس فيه ذكر لشيء الذي لا يقدر على بيان له وإنما كان يصح ما قالوه لو بين تعالى أنهم لا يستطيعون سبيلاً إلى أمر معين فاما إذا لم يكن ذلك كذلك فلا متعاق لهم . . فان قيل فقد ذكر تعالى من قبل ضلالهم فيجب أن يكون المراد بقوله (فلا يستطيعون سبيلاً) إلى مفارقة الضلال . . قلنا انه تعالى كما ذكر الضلال فقد ذكر ضرب المثل منهم فيجوز أن يريد أنهم لا يستطيعون سبيلاً إلى تحقيق ماضيوه من الامثال اذ ذلك غير مقدور على الحقيقة ولا استطاع والظاهر أن هذا الوجه أولي لأنه عز وجل حكى أنهم ضربوا له الامثال وجعله ضلالهم وأنهم لا يستطيعون السبيل متعلقات بما تقدم ذكره وظاهر ذلك بوجوب رجوع الأميين جميعاً إليه وأنهم ضلوا بضرب المثل وأنهم لا يستطيعون سبيلاً إلى تحقيق ماضيوه من المثل على انه تعالى أخبرنا بأنهم ضلوا وظاهر ذلك الاخبار عن ماضى فعلهم فان كان قوله تعالى (فلا يستطيعون سبيلاً) يرجع إليه فيجب أن يدل على أنهم لا يقدر على ترك الماضى وهذا مما لا يخالف فيه وليس فيه ما ناباه من أنهم لا يقدر في المستقبل أوفى الحال على مفارقة الضلال والخروج عنه وتعذر تركه بعد مضيه فاذا لم يكن للآية ظاهر فلم صاروا بان يحملوا نفي الاستطاعة على أمر كلفوه بلولي منا اذا حملنا ذلك على أمر لم يكلفوه أو على انه أراد الاستقلال والخبر عن عظم المشقة عليهم ولو جرت عادة أهل اللغة بان يقولوا من يستعمل شيئاً انه لا يستطيعه ولا يقدر عليه ولا يمكن منه ألا ترى

انهم يقولون ان فلاناً لا يستطيع أن يكلم فلاناً ولا ينظر اليه وما أشبه ذلك وانما غرضهم الاستئصال وشدة الكلفة والمشقة .. فان قيل فاذا كان لا ظاهر للآية يشهد بمذهب المخالف فما المراد بها عندهم ؟ قلنا قد ذكر أبو علي ان المراد انهم لا يستطيعون الي بيان تكذيبه سبيلاً لانهم ضربوا الامثال ظناً منهم بأن ذلك يبين كذبه فاخبر تعالى أن ذلك غير مستطاع لأنه تكذيب صادق وابطال حق مما لا يتعلق به قدرة ولا يتأوله استطاعة وقد ذكر أبو هاشم ان المراد بالآية انهم لأجل ضلالهم بضرب الأمثال وكفرهم لا يستطيعون سبيلاً الى الخير الذي هو النجاة من العقاب والوصول الى الثواب .. وليس يمكن على هذا أن يقال كيف لا يستطيعون سبيلاً الى الخير والهدى وهم عندهم قادرون على الايمان والنوبة ومتى فعلوا ذلك استحقوا الثواب لأن المراد انهم مع التمسك بالضلالات والمقام على الكفر لا سبيل لهم الى خير وهدى وانما يكون لهم سبيل الى ذلك بان يفارقوا ما هم عليه .. وقد يمكن أيضاً في معنى الآية ما تقدم ذكره من أن المراد بنفي الاستطاعة عنهم انهم مستثقلون للايمان وقد يخبر عن استئصال شياً بأنه لا يستطيعه على ما تقدم ذكره .. فلما قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام (انك لن تستطيع معي صبرا) فظاهره يقتضي انك لا تستطيع ذلك في المستقبل ولا يدل على أنه غير مستطاع للصبر في الحال وأن يفعله في الثاني وقد يجوز أن يخرج في المستقبل من أن يستطيع ما هو في الحال مستطاع له غير أن الآية تقتضي خلاف ذلك لأنه قد صبر على المسئلة أوقاتاً ولم يصبر عنها في جميع الاحوال فلم ينف الاستطاعة للصبر عنه في جميع الاوقات المستقبلية على أن المراد بذلك واضح وانه خبر عن استئصال الصبر عن المسئلة عملاً يعرف ولا يقف عليه لأن مثل ذلك يصعب على النفس ولهذا يجد أحدنا اذا وجد بين يديه ما ينكره ويستبده تنازعه نفسه الى المسئلة عنه والبحث عن حقيقته ويثقل عليه الكف عن الفحص عن أمره فلما حدث من صاحب موسى عليه السلام ما يستنكر ظاهره استئصال الصبر عن المسئلة عن ذلك ويشهد بهذا الوجه قوله تعالى (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) فبين تعالى ان العلة في قلة صبره ما ذكرناه دون غيره ولو كان على ما ظنوه لوجب أن يقول وكيف تصبر وأنت غير مطبق للصبر .. فلما قوله

تعالى (ما كانوا يستطيعون السمع) فلا تعلق لهم بظاهره لأن السمع ليس بمعنى فيكون مقدوراً لأن الإدراك على المذهب الصحيح ليس بمعنى ولو ثبت أنه معنى على ما يقوله أبو علي لكان أيضاً غير مقدور للعبد من حيث اختص تعالى بالقدرة عليه هذا إن أريد بالسمع الإدراك وإن أريد به نفس الحاسة فهي أيضاً غير مقدورة للعباد لأن الجواهر وما تختص به الحواس من البنية والمعاني لا يصح بها الإدراك فإنه مما ينفرد به القديم تعالى في القدرة عليه فالظاهر لاحجة لهم فيه .. فان قالوا فلعل المراد بالسمع كونهم سامعين كأنه تعالى نفى عنهم استطاعة أن يسمعوا .. قلنا هذا خلاف الظاهر ولو ثبت أن المراد ذلك لحلما نفى الاستطاعة على ما تقدم ذكره من الاستثقال وشدة المشقة كما يقول القائل فلان لا يستطيع أن يراني ولا يقدر على أن يكلمني وما أشبه ذلك وهذا بين لمن تأمله [تأويل خبر] .. ان سأل سائل فقال ما تأويل ما رواه بشار عن معاوية بن الحسك قال قلت يا رسول الله كانت لي جارية ترعي غنما لي قبل أحد فذهب الذئب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكنني غضبت ففصكتها صكة قال فمعظم ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله أفلا أعتقها قال إئتني بها فأتيته بها فقال عليه الصلاة والسلام أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام أعتقها فإنها مؤمنة .. الجواب أما قوله - أنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون - فعنه أغضب كما يفضبون .. قال محمد بن الحبيب وأشد للراعي

فَمَا لِحَقَّتْنِي الْمَيْسُ حَتَّى وَجَدْتَنِي أَسِيفًا عَلَى حَادِيهِمُ الْمُتَجَرِّدِ
والاسف أيضاً الحزن .. قال ابن الأعرابي الاسف الحزن والغضب قال كعب

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرَى فِيهِ مَنِيَّتُهُ يَكَادُ يَسْقُطُ مِنِّي مَنَةً أَسْفَا
وقوله - ولكنني غضبت ففصكتها - أراد لطمتها بقال صك جبهته اذا لطمها بيده قال الله تعالى (فأقبل امرأته في صرة فصكت وجهها) .. وقال بشر بن أبي خازم يصف حمار وحش وأنانا

فِيَصُكُّ فِجْرَهُ إِذَا مَا سَافَا وَجَبِيْنَهُ بِجَوَافٍ لَمْ تُنْكَبِ

— سافها — اذا شها .. وقولها — في السماء — فالسما هي الارتفاع والعلو فعني ذلك انه تعالى عال في قدرته وعزيز في سلطانه لا يبلغ ولا يدرك ويقال سما فلان يسمو سماء
اذا ارتفع شأنه وعلا أمره وقال تعالى (أَعْمَنُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ)
الآية فاخبر تعالى بقدرة وسلطانه وعلو شأنه ونفاذ أمره .. وقد قيل في قوله تعالى
(أَعْمَنُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) غير هذا وان المراد أئمتكم من في السماء أى أمره وآياته وقدرته
ورزقه وما جرى مجرى ذلك .. وقال أمية بن أبي الصلت شاهداً لما تقدم
وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَيْءَ فَوْقَهُ عَلِيّاً وَأُمْسِي ذِكْرُهُ مُتَعَالِيّاً

وقال سليمان بن يزيد العدوي

لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الطُّوْلِ وَالْمَلِكِ وَالْغِنَى تَعَالَيْتَ مَحْمُوداً كَرِيماً وَجَازِيَا

عَلَوْتَ عَلَى قُرْبٍ بَعِزٍّ وَقُدْرَةً وَكُنْتَ قَرِيباً فِي دُنُوكَ عَالِيَا

والسما أيضاً سقف البيت ومنه قوله تعالى (مَنْ كَانَ يَظُنْ أَنَّ الْإِنْسَانَ بِنَصْرِهِ مِنَ اللَّهِ) الآية
وقال ابن الاعرابي يقال لأعلى البيت سما البيت وسماوته وسرانه وصهونه والسما أيضاً
المطر قال الله تعالى (وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً) ومنه الحديث الذي رواه أبو
هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فادخل عليه الصلاة والسلام يده فيها
فنالت أصابعه بلالا فقال ما هذا يا صاحب البر قال أصابت السما يا رسول الله قال صلى الله عليه
وسلم أولاجملته فوق الطعام براء الناس من غش فليس منا .. وقال منقّب العبدى
فَلَمَّا أَتَانِي وَالسَّمَاءُ تَبْلُهُ فَقُلْتُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبَا

ويقال أيضاً لظاهر الفرس سما كما يقال لحوافره أرض .. ولبعضهم في فرس

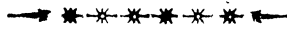
وَأَحْمَرَ كَالدِّينَارِ أَمَا سَمَاؤُهُ فَخِصْبٌ وَأَمَّا أَرْضُهُ فَمَحْجُولٌ^(١)

وانما أراد انه سمين الاعلى عربان القوائم مشوقها وكل معاني السماء التى تتصرف وتندفع

(١) — البيت لطيف الغنوي .. وقال الراغب كل سما بالاضافة الى مادونها فسماء

وبالاضافة الى ما فوقها فارض الا السماء الدنيا فانها سما بلا أرض

ترجع الى معنى الارتفاع والعلو والسمو وان اختلفت المواضع التي أجريت هذه اللفظة فيها وأولى الماءى بالخبر الذى سألنا عنه ماتقدم من معنى العزة وعلو الشأن والساطان وما عدا ذلك من المعاني لا يابق به تعالى وان العلو بالمسافة لا يجوز على القديم تعالى الذى ليس بجسم ولا جوهر ولا حال فيهما ولأن الخبر والآية التي تضمنت أيضاً ذكر السماء خرجت مخرج المدح والامدح في العلو بالمسافة وانما التمدح بالعلو في الشأن والساطان ونفاذ الامر ولهذا لا نجد أحداً من العرب مدح غيره في شعر أو نثر بمثل هذه اللفظة وأراد بها علو المسافة بل لا يريد الا ما ذكرناه من معنى العلو في الشأن وانما يظن في هذه المواضع خلاف هذا من لافطنة عنده ولا بصيرة له



— مجلس آخر ٦٥ —

[تأويل آية] ٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور) الآية ٠٠ الجواب قلنا اما التنور فقد ذكر في معناه وجوه ٠٠ أولها أنه تعالى أراد بالتنور وجه الارض وان الماء ينبع وظهر على وجه الارض وفار هذا قول عكرمة وقال بن عباس رضي الله عنه ١٠٠ مثله والعرب تسمى وجه الارض تنوراً ٠٠ وثانيها أن يكون المراد ان الماء ينبع من أعلى الارض وفار من الاماكن المرتفعة منها وهذا قول قتادة روي عنه في قوله تعالى (وفار التنور) قال ذكر لنا أنه أرفع الارض وأشرفها ٠٠ وثالثها أن يكون المراد بفار التنور أى برز التنور وظهر الضوء وتكاثر حرارة دخول النهار وتقضى الليل وهذا القول يروى عن أمير المؤمنين على رضي الله عنه ٠٠ ورابعها أن يكون المراد بالتنور الذى يختبئ فيه على الحقيقة وأنه تنور كان لآدم عليه السلام أبي البشر وقال قوم ان التنور كان في دار نوح عليه السلام بعين وردة من أرض الشام ٠٠ وقال آخرون بل كان التنور في ناحية الكوفة والذي روي عنه ان التنور هو تنور الخبز الحقيقى ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم ٠٠ وخامسها أن يكون معنى ذلك اشتد غضب الله تعالى عليهم وحل وقوع عقوبتهم وذكر تعالى التنور مثلاً لحضور

العذاب كما تقول العرب قد فارت قدر القوم اذا اشتد الحرب وعظم الخطب والوطيس هو التنور وتقول العرب أيضاً قد حي الوطيس اذا اشتد بالقوم حرهم . قال الشاعر
نُفُورُ عَلَيْنَا قَدْرُهُمْ فُنْدِيهَا وَنَفْثُهَا عَمَّا إِذَا حَمِيَهَا غَلَا^(١)

أراد - بقدرهم - حرهم ومعنى - نديها - نسكنها ومن ذلك الحديث المروى عنه عليه الصلاة والسلام انه نهى عن البول في الماء الدائم يعني الساكن ويقال قد دوّم الطائر في الهوى اذا بسط جناحيه وسكنهما ولم يخفق بهما - ونفثوها - معناه نسكنها يقال فثأت غضبه عني وفضأت الحار بالبارد اذا كسرت به . . . وسادسها أن يكون التنور الباب الذي يجتمع فيه ماء السفينة فجعل فوران الماء منه والسفينة على الارض علماً على ما أنذر به من اهلاك قومه وهذا القول يروي عن الحسن وأولى الأقوال بالصواب قول من حمل الكلام على التنور الحقيقي لانه الحقيقة وما سواه مجاز ولأن الروايات الظاهرة تشهد له وأضعفها وأبعدها من شهادة الاثر قول من حمل ذلك على شدة الغضب واحتداد الأمر تمثيلاً وتشبيهاً لأن حمل الكلام على الحقيقة التي تعضدها الرواية أولى من حمله على المجاز والتوسع مع فقد الرواية وأى المعاني أريد بالتنور فإن الله تعالى جعل فوران الماء علماً أنبيه عليه السلام وانه يدل على نزول العذاب بقومه لينجوه بهنبيه وبالمؤمنين . . . فاما قوله تعالى (من كل زوجين اثنين) فقد قيل ان المراد به إجماع من كل ذكر وأنثى اثنين وانه يقال لكل واحد من الذكر والانثى زوج . . . وقال آخرون الزوجان ههنا الضربان وقال آخرون الزوج اللون وان كل ضرب يسمى زوجاً واستشهدوا بيت الاعشى

فِي كُلِّ زَوْجٍ مِنَ الدَّيْبِاجِ يَلْبَسُهُ أَبُو قُدَامَةَ مَحْبُورًا بِذَلِكَ مَعَا

ومعنى (من سبق عليه القول) أي من أخبر الله تعالى بعذابه وحلول الهلاك به والله أعلم بمراده [تأويل خبر] . . . إن - أل - سائل عن الخبر الذي يرويه شريك عن عمار الذهبي عن أبي صالح الحنفي عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم

(١) البيت للناطقة الجعدي أبي لبي رضى الله عنه وبعد

بطلن كتهشاق الجمعاش شهيقه وضرب له ماكان من ساعد خلا

في المنام وأنا أشكو إليه ما لقيت من الاود واللدد . . الجواب يقال له أما - الاود - فهو الميل تقول العرب لأقيم من ميلك وحنفك وأودك وذراك وضلعك وصعرك وصدغك وظلمك بالظاء وصعوك وصدعك كل هذا المعنى واحد . . وقال ثعلب الاود اذا كان من الانسان في كلامه ورأبه فهو عوج واذا كان في الشيء المنتصب مثل عصا وما أشبهها فهو عوج وهذا قول الناس كلهم الا أبا عمرو والشيباني فانه قال العوج بالكسر الاسم والعوج بالفتح المصدر وقال ثعلب كأنه مصدر عوج يعوج عوجا ويقال عصاً معوجة وعود معوج وليس في كلامهم معوج . . وأما - اللدد - فقليل هو الخصومات وقال ثعلب يقال رجل ألد وقومٌ لدة اذا كانوا شديدى الخصومة ومنه قول الله تعالى (وهو ألد الخصام) . . وقال الاموى اللدد الاعوجاج والالدد في الخصومة الذي ليس بمستقيم أي هو أعوج الخصومة يميل فلا يقوي عليه ولا يتمكن منه ومن ذلك قولهم لد العبي وانما بلد في شق فيه وليس بلد مستقيماً فهو يرجع الى معنى الميل والاعوجاج وقال فسر لما الحكم بن ظهير فقال ألد الخصام أي اعوج الخصام . . وأنشد أبو السمع لابن مقبل

لَقَدْ طَالَ عَنْ دَهْمَاءَ لَدِّي وَعُذْرَتِي وَكَتَمْتُهَا أَكْنِي بِأُمِّ فَلَانٍ

جَعَلْتُ لِجُهَالِ الرِّجَالِ مَخَاضَةً وَلَوْ شِئْتُ لَقَدْ يَبْتَنُّهَا بِلْسَانِي

- اللدد - الجدال والخصومة . . وقال أبو عمرو الألد الذي لا يقبل الحق وبطلب الظلم وقوله - مخاضة - يقول انهم يخوضون في شعري ويطلبون معانيه ولا يقنون عليها . . وأنشد أبو السمع

لَا تَقْتَرِ الْكَذِبَ الْقَبِيحَ فَإِنَّهُ لِلْمَرْءِ مَعْتَبَةٌ وَبَابٌ مَلَامٍ

وَاصْدُقْ بِقَوْلِكَ حِينَ تَنْطِقُ إِنَّهُ لِلصِّدْقِ فَضْلٌ فَوْقَ كُلِّ كَلَامٍ

وَإِذَا صَدَقْتَ عَلَى الرِّجَالِ خَصَمْتَهُمْ وَالصِّدْقُ مَقْطَعَةٌ عَلَى الظَّلَامِ

وَإِذَا رَمَاكَ غَشُومٌ قَوْمٌ فَارْمِهِ بِاللَّدِّ مُشْتَعِرِ الْمَدَى غَشَامٍ

لَا تَعْرِضَنَّ عَلَى الْعَدُوِّ وَاسِيلَةً واحْذَرْ عَدُوَّكَ عِنْدَ كُلِّ مَقَامٍ
وَأَعْلَمْ بِأَنْ قَدْ لَيْسَ يَوْمًا نَافِعًا عِنْدَ اللَّيْمِ وَسَائِلُ الْأَرْحَامِ
مَا لَمْ يَخْفِكَ وَيَلْقَ عِنْدَكَ جَانِبًا خَشِنًا وَتُصْبِحُهُ بِكَأْسِ سَمٍ
وَإِذَا حَلَلْتَ بِمَا زَقِ فَارْكَمِ بِهِ حَتَّى تُفَرِّجَ حَلَبَةَ الظَّلَامِ
فَاصْبِرْ عَلَى كَرَبِ الْبَلَاءِ فَإِنَّهُ لَيْسَ الْبَلَاءُ عَلَى الْفَتَى بِلِزَامٍ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ مَيِّتٌ وَمُحَدَّثٌ عَمَّا فَعَلْتَ مَعَاشِرُ الْأَقْوَامِ

معنى قوله - مشتغل المدي - أي بعيد المدي .. ومعنى قوله - لا تعرضن على العدو وسيلة - أي لا تقارب به ولا تعانعه ولا يكن بينك وبينه الا صدق العداوة .. وأشد أيضاً شاهداً لما تقدم

يَا وَهْبُ أَشْبَهْ بِاطْلِي وَجَدِي أَشْبَهْتَ أَخْلَاقِي فَأَشْبَهْ مَجْدِي
وَجَدَ لِي عِنْدَ الْخُصُومِ اللَّذِي

.. [قل الشريف المرتضي رضي الله عنه ومن أحسن ما وصف به الثغر قول فضالة ابن وكيع البكري

تَبَسُّمٌ عَنْ حُمْمِ اللَّائِنَاتِ كَأَنَّهَا حَصَى بَرْدٍ أَوْ أَفْحُوَانُ كَثِيبٍ
إِذَا ارْتَفَعَتْ عَنْ مَرَقَدٍ عَلِمَتْ بِهِ مِنَ الْيَانِعِ الْقَوْرِيِّ فِرْعَ قَضِيبٍ
قَضِيبٌ نَجَاهُ الرَّكْبُ أَيَّامَ عَرَفُوا لَهَا مِنْ ذُرَى مَا لِلنَّبَاتِ خَضِيبٍ

يعنى من يانع الاراك .. ومعنى - نجاه أي قطعه - وهنله استنجاه أيضاً - وما للنبات - أي ناعم وحسنه يقال عشب مال وماد سواء أي مياد ناعم .. ومعنى - أيام عرفوا - أي اجتمعوا من عرفات وذكر انه خضيب باهظيب الذى بيديها لادمانها لاستعماله .. وقال الاخطل يصف ثغراً

شَتِيْتَا يَزْتَوِي الظَّمَانُ مِنْهُ إِذَا الْجَوَزَاءُ أَحْجَبَتِ الضَّبَابَا^(١)

– الشَّتِيْت – هو المنفرق المفاج الذي ليس بتراكب .. ومعنى قوله – إذا الجوزاء – أحجبت الضبابا – فيه وجهان .. أحدهما انه أراد سقوط الجوزاء وذلك في شدة البرد وطول الليل إذا انجحرت الضباب من البرد وتغيرت الافواه لطول ليل الشتاء يقول فقهرها حياءً عذب غير متغير .. والوجه الثاني انه أراد عند طلوع الجوزاء في شدة الحر إذا انجحرت الضباب من شدة الحر والقيظ فالظمان حينئذ أشد عطشاً وأحر غلة فريقتها يرويه ويرد غلته .. وقال آخر

فَوَيْلٌ لِّهَا لَمَنْ تَكُونُ ضَجِيعَةً إِذَا مَا التَّرِيَاءُ ذَبَذَتْ كُلَّ كَوْكَبٍ

قوله – فويل لها – من الزجر المحمود مثل قولهم ويل أمه ما أشجعه فكانه يقول نعم الضجيج هي عند السحر إذا تحادرت النجوم للمغيب كما قال ذو الرمة

(١) – وفي رواية شليبا بدل شنيبا والروايتان متنازعتان المعنى فان الشليب كثير انشاب وهو ماء ورقة ويرد وعذوبة في الاسنان وقيل حد فيها أو هو نقط بيض فيها أوحدة الانياب كالغرب تراها كالمنشار .. والشتيت المفاج والبيت من قصيدة يمدح بها عبد الله بن سعيد بن العاص ومطاعها

ألم تعرض فتسأل آل طو وأروى والمدة والربابا

بأيام خوال صالحات ولذات تذكرني الشبابا

نزلات بين فاستدكبت ناراً قليلا ثم أسرع من الذهابا

وكن إذا بدون بقبل صيف ضرين بجانب الجفر القبابا

نواعم لم يقطن بجد مقل ولم يقذفن عن حفص غرابا

– الجد – البئر – ومقل – أرض – والحفص – البعير يحمل متاع القوم إذا انتقلوا .. وقوله لم يقذفن عن حفص غرابا أي لم يعالجن أنفسهن وكأنه وصفهن بالخمر والستر ومنها

ونفس المرء ترصدها المنايا وتحذر صولة حي يصابا

إذا مرت به ألق عليه أحده سلاحها ظفراً ونابا

وَأَيْدِي الثَّرِيَّا جُنْحٌ فِي الْمَغَارِبِ

وقال الآخر

نَعِمَ شِعَارُ الْفَتَى إِذَا بَرَدَ اللَّيْلُ — لُ سَحِيرًا وَقَفَقَفَ الصُّرْدُ^(١)

وإنما يعنى أنها في ذلك الوقت الذى تتغير فيه الافواه طيبة الريق عذبة .. وأنشد أبو العباس
نعلب لأُم المهينم

وَعَارِضٍ كَجَانِبِ الْعِرَاقِ أَنْبَتَ بَرَاقًا مِنَ الْبَرَاقِ *

يَذَاقُ مِثْلَ الْعَسَلِ الْمَذَاقِ

قال أبو العباس في هذا قولان .. أحدهما أنها وصفت نعرأ - وعارضاه - جانباه - والعراق -

ما يننى ثم يخرز كعراق القرية فاختبرت أنه ليس فيه اعوجاج ولا تراكب ولا نقص

.. وقولها - أنبت براقا من البراق - أى ما ينبت الأرض اذا مطرت من النور .. قال

المبرد والقول الاول عندنا أصح لذكرها العسل .. وأنشد أحمد بن يحيى لتأبط شراً

وَشَعْبٍ كَشَكَ الثُّوبَ شَكْسَ طَرِيقُهُ حِجَامُ ضَوْجِيهِ نِطَافٌ مُخَاَصَرُ

تَعَسَّفَتُهُ بِاللَّيْلِ لَمْ يَهْدِنِي لَهُ دَلِيلٌ وَلَمْ يُحْسِنْ لَهُ النَّعْتَ خَابِرُ^(٢)

قال يعنى - بالشعب - فم جارية - كشك الثوب - يعنى كف الثوب اذا خاطه الخياط

- والشكس - الضيق يصفها بصغر النعم وحسنه ورقة الشفتين - وضوجاه - جانباه

وضوج الوادي جانباه - والمخاصر - الباردة من الحضر ويعنى - بالنطاف - الريق

.. وقوله - لم يهديني له دليل - أى لم يصل اليه غيري كما قال جرير

أَلَا رُبَّ يَوْمٍ قَدْ شَرِبْتَ بِمَشْرَبِ شَقِ الْغَيْمِ لَمْ يَشْرَبْ بِهِ أَحَدٌ قَبْلِي

(١) - وبعده .. زينها الله في الفؤاد كما زُين في عين والدولة

(٢) وفسر ابن سيدة هذين البيتين بما نصه .. قال فإنه غنى بالشعب ههنا النعم وجعله

كشك الثوب لاصطفاف نبتة وناسق بعضها في أثر بعض كالخيطاة في الثوب وجعل جانبي

النعم ضوجين

الغيم- والغين الععاش وإنما يعنى ريق جارية... قال أبو العباس وقال آخرون بل يعنى شعباً من الشهاب مخوقاً ضيقاً سلكه وحده قال أبو العباس إنما كنى بالشعب عن فم جارية ثم أخذ في وصف الشعب ليكون الامر أشد النباشاً... [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه والاشبه أراد أن يكون شعباً حقيقياً لأن تأبط شراً لصاً وصافاً للاهوال التي يمضى بها ويعاينها في تلصصه وكان كثيراً ما يصف تذبذبه من الجبال ونخلصه من المضايق وقطعه المفاوز وأشبه ذلك والقطعة التي فيها البنتان كأنها تشهد بأن الوصف لشعب لالهم جارية لأنه يقول بعد قوله كشك الثوب

لَدُنْ مَطْلَعِ الشِّمْرِىِّ قَلِيلٍ أُنَيْسُهُ كَأَنَّ الطُّخَا فِي جَانِبَيْهِ مَعَاجِرُ
بِهِ مِنْ نَجَاءِ الدَّلْوِ بَيَضُ أَقْرَاهَا خَبَارُ لَصْمِ الصَّخْرِ فِيهِ قَرَاقِرُ
وَقَرِزَنَ حَتَّى كُنَّ لِلْمَاءِ مُنْتَهَى وَغَادَرَهُنَّ السَّيْلُ فِيمَا يُنَادِرُ
بِهِ نَطْفُ زُرْقٍ قَلِيلٍ تُرَابُهَا جَلَّاءُ الْمَاءِ عَنْ أَرْجَائِهَا فَمَوْحَايُرُ

... وهذه الاوصاف كلها لا تليق الا بالشعب دون غيره وتأول ذلك على النعم تأول بعيد وقد أحسن كثير في قوله يصف ثغراً

وَيَوْمَ الْخَيْلِ قَدْ سَفَرَتْ وَكَفَّتْ رِدَاءَ الْعَصَبِ عَنْ رَتْلِ بُرَادٍ
وَعَنْ نَجْلَاءِ تَدْمَعٍ فِي بَيَاضٍ إِذَا دَمَعَتْ وَتَنْظُرُ فِي سَوَادٍ
وَعَنْ مُتْكَائِسٍ فِي الْمَقْصِ جَثْلٍ أَيْبُ الثَّبَتِ ذِي غُدُرٍ جِمَادٍ^(١)

(١) - العصب - ضرب من البرود البينية - والرتل - بالفتح حسن التشديد مستو الثبات وقيل مفلج وربما قالوا رجلاً رتل الاسنان مثله تعب اذا كان مفلجها - وبراد - كفراب بارد... وقوله - عن متكائوس - المتكائوس هنا شعر رأسها أى كثيف مأخوذ من تكاوس الثبت وهو التفاله وسقوط بعضه على بعض - وجنل - كثير ملتف أيضاً... والبيت من

وقال أبو تمام في هذا المعنى

وَعَلَى الْمَيْسِ خُرْدٌ يَتَبَسَّمُ --- عَنْ الْأَشْنَبِ الشَّيْثِ الْبُرَادِ

قصيدة مشهورة له يتغزل بها في غاضرة جارية أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ثم رثي فيها صاحبه خنـدق الاسدي وخنـدق هذا هو الذي أدخل كثيراً في مذهب الخشبية وأول القصيدة

شجا أظعان غاضرة الغواذى بغير مئبة غرضاً فؤادى

أغاضر لو شهدت غداة بتم حنو المراضعات على وسادى

أوبت لعاشق لم تشكك به نوافذه تلذع بالزناد *

وبوم الخبل ٠٠ الابيات الثلاثة

وغاضرة الغداة وان نائنا وأصبح دونها قطر البلاد

أحب طعينة وبنات نفسى اليها لو بللن بها صوادى

ومن دون الذى ألمات ودأ ولو طلبتها خرط القنـاد

وقال الناصحون نحل منها ببذل قبل شيمتها الجـاد

وقد وعدتك لو أقبلت ودأ فالج بك التـدلى فى تعادى

فأسررت الندامة يوم نادى برد جمال غاضرة المنادى

تمادى البعد دونهم فامست دموع العين لـج بها التـمادى

لقد منع الرقاد فبت ليلى تجالبنى الهموم عن الوساد

عدائى أن أزورك غير بغض مقامك أبين مصفحة شداد

وانى قائل ان لم أزره سقت ديم السوارى والغواذى

حل أخى بنى أسد قنونا فما والى الى برك الفـهاد

مقيم بالمجازة من قنونا وأهلك بالاجير والتمـاد

فلا تبعد فكل فى سبأنى عليه الموت يطرق أو يغادى

وكل ذخيرة لابد يوما ولو بقيت تصير الى نـفاد

فلو فوؤيت من حدث المنايا وقتك بالمطريف وبالتـلاد

كَانَ شَوْكَ السَّيَالِ حُسْنًا فَاضْحَى دُونَهُ لِلْفِرَاقِ شَوْكَ الْقِتَادِ^(١)

وقال البحزى

(١) - البينان من قصيدة يمدح بها أبا عبد الله أحمد بن أبي دواد وه مطلعها
 سعدت غربة النوى بسعاد فمبى طوع الاتهام والانجساد
 * فارقتنا فللمدامع أنوا مسوار على الحدود غواذى
 كل يوم يستعجن دمعاً طريفاً يمتري مزنه بشوق تسلاد
 واقع بالحدود والحر منه واقع بالقلوب والاكباد
 وعلى العيس البيتين ٠٠ وخسة أبيات تقدمت ثم قال
 يا أبا عبد الله أوديت زنداً في يدى كان دأماً الاصلاد
 أنت جيت الظلام عن من الآمال اذ ضل كل هاد وحادى
 فكان المغذ فيها مقبم وكان السارى عليم فادى
 وضياء الآمال أفصح فى الطرف وفي القلب من ضياء البلاد
 ومنها بعد ما أصلت الوشاة سيوفاً قطعت فى وهي غير حداد
 من أحاديث حين دوختها بالـ رأي كانت ضعيفة الاستناد
 ففنى عنك زخرف القول سمع لم يكن فرصة لغير السداد
 ضرب الحلم والوقار عليه دون عور الكلام بالاسداد
 وحوان أبت عليها المعالى ان تسمى معاية الاحتاد
 ولعمري ان لو أصغت لاقدمت بمحتفى صينية الحساد *
 حمل العبء كاهل لك أمسى لخطوب الزمان بالمرصاد
 طاق معشق من الهون الا من مقاساة مغرم أو نجاد
 للحدالات والحائل فيه كالحوب الموارد الاعداد
 ملكيتك الاحساب أى حياة وحيا أزمة وحية وادى *
 لو تراخت يدك عنها فواقا أكلتها الايام أكل الجراد

وَارْتَنَا خَدًّا يَرَّاحُ لَهُ الْوَر دُوَيْشْتَمُهُ جَنَى الثُّفَّاحِ
وَشَنِيْبًا يَغُضُّ مِنْ لَوْلَاءِ النَّظْمِ وَيُزْرِى عَلَى شَتِيتِ الْإِقَاحِ
فَأَضَاءَتْ تَحْتَ الدُّجْنَةِ لِلشَّرِّ بِوِكَادَتْ تَضِيءُ لِلْمِصْبَاحِ^(١)

أنت ناضلت دونها بعطايا عائدات على العفاة بوادى
* فإذا هامل النوال أنما ذات نبرين مطبقات الايدى
كل شيء غث اذا عاد والمعروف غث ما كان غير معاد
كادت المكرمات تنهدلولا انها أيدت بحى إباد *
عندهم فرجة الليف وتصديق ظنون الرواد والوراد
باحاطي الجبال ودلال بل بوشك الجدلال بسؤدد الاجداد
وكان الاعناق يوم الوغى أو لى باسـياهم من الانماد
فإذا ضات السيوف غداة الرو ع كانت هواديا للهوادى
قد بثتم غرس المودة والشحناء فى قلب كل قار وبادى
أبغضوا عزكم وودوا ندام فقراكم من بغضة وودادى
لاعدمتم غريب مجدربة تم فى عراه نوافر الاضداد
(١) والابيات من قصيدة يقولها فى أبى مسلم البصري ومطلعها

هين مايقول فيك اللاهى بعد اطفاء غاتى والتياحى
كنت أشكوشكوى المصرخ فالآن ألاقى النوى بدمع صراح
هل الى ذى تجنب من سبيل أم على ذى صباية من جناح
فسقى جانب المناظر فالقصر ر هزيم المجاجـل السحاح
حين جاءت فوت الرياح فقلنا أى شمس تهبى فوت الرياح
هز منا شرخ الشباب لفتات فوق خصر كثير جول الوشاح
وَأَرْتَنَا خَدًّا يَرَّاحُ لَهُ الْوَر دُوَيْشْتَمُهُ جَنَى الثُّفَّاحِ *
وَشَنِيْبًا يَغُضُّ مِنْ لَوْلَاءِ النَّظْمِ وَيُزْرِى عَلَى شَتِيتِ الْإِقَاحِ

وقال أيضاً

سَفَرْتُ كَمَا سَفَرَ الرَّبِيعُ الطَّلُقُ عَنْ
وَبَسَمْتُ عَنْ لَوْلُوٍ فِي رَصْفِهِ
وَزِدْ بِرُقْرُقُهُ الضُّحَى مَصْقُولِ
بَرْدُ يَرْدُ حُشَاشَةَ الْمُتَبُولِ
وقد جمع كما وصف به النمر في قوله
كأنما تبسم عن لؤلؤ

منضد أو برد أو اقاح

فاذاعت تحت الدجنة للشر
وأشارت أعلى الغناء بالحما
فطربنا لمن قبل المثنائي
قد ندير الجفون من عدم الا
يأباً مسلم تلقت الي النمر
مستطيراً يقوم في جانب الليل على عرضه مقام الصباح
ومنيفاً يريك منبج نصاً
ورياً بين العبيدي فالقصر فاعلى سمعان فالستراح
عرصات قد أبرحت حرق الشوق اليهن أيماء ابراح
فاذا شئت فارفع العيس بخنن بحر الوجيف تحت القداج
لنعين السحاب ثم على إسقاء أرض غرب الغرات براح
لأنهم السقيا بساحة قوم
ولعمري ائن دعيتك لاجو
خلق كالفهام ليس له بر
ارثيا لاهالين وبذ
أى جديك لم يفت وهو نان
وكلا جانبيك سبط الخواني
شرف بين مسلم مسلم الجوا
ب وكادت تضيه للمصباح
ظ مراض من النصابي صحاح
وسكرنا منهن قبل الزاح
لباب ما لا يدور في الاقداح
ق وأشرف للبارق اللماح
وهي خضراء من جميع النواحي
فالقصر فاعلى سمعان فالستراح
وق اليهن أيماء ابراح
بحر الوجيف تحت القداج
على إسقاء أرض غرب الغرات براح
بساحة قوم
دعيتك لاجو
ليس له بر
لاهالين وبذ
لم يفت وهو نان
سبط الخواني
مسلم مسلم الجوا

﴿ مجلس آخر ٦٦ ﴾

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله) الى آخر الآية .. فقال ما أنكرتم أن تكون هذه الآية دالة على أنه جعل الكافر كافراً لأنه أخبر بأنه جعلهم من عبد الطاغوت كما جعل القردة والخنازير وليس يجعله كافراً إلا بأن يخلق كفره .. الجواب يقال له قبل أن يتكلم في تأويل الآية بما تضمنه من المعاني كيف يجوز أن يخبرنا تعالى بأنه يجعلهم كفاراً وخلق كفرهم والكلام خرج مخرج الذم لهم والتوبيخ على كفرهم والمبالغة في الإزراء عليهم وأي مدخل لكونه خالقاً لكفرهم في باب ذمهم وأي نسبة بينه وبينهم وبين ذلك بل لاشيء أبلغ في عذرهم وبرائتهم من أن يكون خالقاً لما ذمهم من أجله وهذا يقتضي أن يكون الكلام متناقضاً مستحيل المعنى ونحن نعلم أن أحداً إذا أراد ذم غيره وتوبيخه وتجهينه بمنزلة هذا الضرب من الكلام إنما يقول ألا أخبركم بشر الناس وأحقهم بالذم والوقوم من فعل كذا وصنع كذا وكان على كذا وكذا فيعدد من الأحوال والأفعال قبائشها ولا يجوز أن يدخل في جلثها ما ليس بقبيح ولا ما هو من فعل الذم أو من جهته حق بقول في جملة ذلك ومن شاغل بالمنعة الفلانية التي أسلمها إليه وحمله عليها وإن عقلاً يقبل هذه الشبهة لعقل ضعيف سخيف .. فان قيل أليس قد ذمهم في الكلام بأن جعلهم منهم القردة والخنازير ولا صنع لهم في ذلك فكذلك يجوز أن يذمهم ويجعلهم عابدين للطاغوت وإن كان من فعله .. قلنا إنما جعلهم قردة وخنازير عقوبة لهم على أفعالهم وباستحقاقهم تجري ذلك مجري أفعالهم كما ذمهم بأن لهمم وغضب عليهم من حيث استحقوا ذلك منه تعالى بأفعالهم وعبادتهم للطاغوت فإن كان هو خالقها فلا وجه لذمهم بها لأن ذلك مما لا يستحقونه بفعل متقدم كاللعن والمسح .. ثم نعود الى تأويل الآية فنقول لا ظاهراً للآية يقتضي ما ظنوه وأكثر ما تضمنته الاخبار بأنه جعلهم وخلق من يعبد الطاغوت كما جعل منهم القردة والخنازير ولا شبهة في أنه تعالى هو خالق الكافر وأنه لا خالق له سواء غيبر أن ذلك لا يوجب أنه خلق كفره وجعله كافراً وليس لهم أن يقولوا كما استفيد من قوله

تعالى جعل منهم القردة والخنازير انه جعل مابه كانوا كذلك هكذا نستفيد من قوله جعل منهم من عبد الطاغوت انه خالق مابه كان عابداً للطاغوت وذلك انما استفدنا مذكروه من الأول لأن الدليل قد دل على أنما به يكون القرد قرداً والخنزير خنزيراً لا يكون الا من فعله تعالى وليس مابه يكون الكافر كافراً مقصوراً على فعله تعالى بل قد دل الدليل على أنه يتعالى عن فعله ذلك وخلقه فافترق الامران .. وفي الآية وجه آخر وهو أن لا يكون قوله تعالى وعبد الطاغوت معطوفاً على القردة والخنازير بل معطوفاً على من لعنه الله ومن غضب عليه وتقدير الكلام من لعنه الله ومن غضب عليه ومن عبد الطاغوت ومن جعله الله منهم القردة والخنازير وهذا هو الواجب لان عبد فعل والفعل لا يعطف على الاسم فلو عطفنا على القردة والخنازير لكنا قد عطفنا فعلاً على اسم فالاولى غطفه على ما تقدم من الافعال .. وقال قوم يجوز أن يعطف عبد الطاغوت على الهاء والميم في منهم فكأنه تعالى جعل منهم ومن عبد الطاغوت القردة والخنازير وقد يحذف من في الكلام قال الشاعر

أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءٌ ^(١)

أراد ومن يمدحه وينصره .. فان قيل فهبوا هذا التأويل ساغ في قراءة من قرأ بالفتح أين أنتم عن قراءة من قرأ وعبد بفتح العين وضم الباء وكسر التاء من الطاغوت ومن قرأ عبد الطاغوت بضم العين والباء ومن قرأ وعبد الطاغوت بضم العين والتشديد

(١) قوله - فمن يهجو رسول الله منكم - الخ قيل ان فيه ثلاثة عشر مرفوعاً .. فمنها قوله فمن يهجو فيها ثلاث مرفوعات المبتدأ والفعل المضارع والضمير المستكن .. ومنها المبتدأ المقدر في قوله ويمدحه والمعنى ومن يمدحه فيكون هنا غلى حسب المثال الاول ثلاث مرفوعات أيضاً .. ومنها المرفوعان في قوله وينصره أحدهما الفعل المضارع والثاني الضمير المستكن فيه ومنها المرفوعات الاربعة في قوله سواه اثنان من حيث انه في مقام الخبرين للمبتدئين واثنان آخران من حيث ان في كل واحد ضميراً راجعاً الى المبتدئ والباقي المبتدأ المحذوف المعطوف على قوله من في الاول في قوله فمن يهجو أى ومن يمدحه ومن ينصره

ومن قرأ وعباد الطاغوت .. قلنا المختار من هذه القراءة عند أهل العربية كلهم القراءة بالفتح وعليها جميع القراء السبعة الاحزة فانه قرأ عبد بفتح العين وضم الباء وباقي القراءات شاذة غير مأخوذة بها .. قال أبو اسحاق الزجاج في كتابه في معاني القرآن عبد الطاغوت نسق على من لعنه الله قال وقد قرئت عبد الطاغوت والذي اختاره وعبد الطاغوت .. وروى عن ابن مسعود رحمه الله وعبدوا الطاغوت فهذا يقوي وعبد الطاغوت قال ومن قرأ وعبد الطاغوت بضم الباء وخض الطاغوت فانه عند بعض أهل العربية ليس بالوجه من جهتين أحدهما ان عبد على وزن فعل وليس هذا من أمثلة الجمع لأنهم فسروه بخدم الطاغوت والثاني أن يكون محمولا على وجعل منهم عبد الطاغوت ثم خرج الى من قرأ عبد وجهاً فقال ان الاسم بني على فعل كما يقال رجل حذرأى مبالغ في الحذر فتأويل عبد انه بالغ الغاية في طاعة الشيطان وهذا كلام الزجاج .. وقال أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي محتجاً لقراءة حمزة ليس عبد لفظ جمع ألا ترى انه ليس في أبنية المجموع شيء على هذا البناء ولكنه واحد يراد به الكثرة ألا ترى ان في الاسماء المفردة المضافة الى المعارف مالم يلفظ لفظ الافراد ومعناه الجمع كقوله تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وكذلك قوله وعبد الطاغوت جاء على فعل فان هذا البناء يراد به الكثرة والمبالغة وذلك نحو يقطع ونفس فهذا كله تقديره انه قد ذهب في عبادة الشيطان والتذلل له كل مذهب قال وجاء على هذا لأن عبد في الاصل صفة وان كان قد استعمل استعمال الاسماء واستعمالهم اياه استعمالها لا يزال عنه صفة ألا ترى ان الابرق والابطح وان كانا قد استعملا استعمال الاسماء حتى كسر أهل النحوي عندهم من التفسير في قولهم في ابارق وأباطح فلم يزل عنه حكم الصفة بذلك على ذلك تركهم صرفه كتركهم صرف أحر ولم يجعلوا ذلك كما فعل وأبدع فكذلك عبد فان كان قد استعمل استعمال الاسماء فلم يخرج ذلك عن أن يكون صفة واذا لم يخرج عن أن يكون صفة لم يمتنع أن يبنى بناء الصفات على فعل وهذا كلام مفيد في الاحتجاج لحزة فاذا صحت قراءة حمزة وعادلت قراءة الباقيين اختاره وصح أيضاً سائر ما روي من القراءات التي حكاهما السائل كان الوجه الاول الذي ذكرناه في الآية يزيل الشبهة فيها .. ويمكن (١٢ - امالي رابع)

في الآية وجه آخر على جميع القراءات المختلفة في عبد الطاغوت وهو أن يكون المراد أن يجعل منهم عبد الطاغوت أي لنسبه اليهم وشهد عليه بكونه من جملتهم ويجعل في مواضع قد تكون بمعنى الخلق والفعل كقوله (وجعل الظلمات والنور) وكقوله تعالى (وجعل لكم من الجبال أكنفاً) وهي هنا تعدى الى مفعول واحد وقد تكون أيضاً بمعنى التسمية والشهادة كقوله تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناساً) وكقول القائل جعلت البصرة بغداد وجعلتني كافراً وجعلت حسنى قبيحاً وما أشبه ذلك فهي هنا تعدى الى مفعولين ولجعل مواضع أخرى لاحاجة بنا الى ذكرها فكانه تعالى نسب عبد الطاغوت اليهم وشهد انهم من جملتهم .. فان قيل لو كانت جعلاً هنا على ما ذكرتم لوجب أن يكون متعدية الى مفعولين لأنها اذا لم تعد الا الى مفعول واحد فلا معنى لها الا الخلق .. قلنا هذا غلط من متوهمه لأن جعلاً هنا متعدية الى مفعولين وقوله تعالى منهم يقوم مقام المفعول الثاني عند جميع أهل العربية لأن كل جملة تقع في موضع خبر المبتدأ فهي تحسن ان تقع في موضع المفعول الثاني كجعلت وظلمات وما أشبهها .. وقال الشاعر

أَبَا لَأَرَا جَبِيزَ يَابْنَ اللَّؤْمِ تَوْعِدُنِي وَفِي الْأَرَا جَبِيزِ خَلْتُ اللَّؤْمُ وَالْخَوَرُ^(١)

(١) - الأراجيز - جمع أرجوزة بمعنى الرجز وهو اسم بحر من بحور الشعر ولكن أراد بها القصائد المرجزة الجارية على هذا البحر .. وقوله - توعدي - من الإيعاد لا من الوعد - واللؤم - بضم اللام وسكون الهمزة وهو أن يجتمع في الإنسان الشح ومهانة النفس ودناءة الآباء فهو من أذم ما يهيج به وقد بالغ بمجمل المهجو ابتأله إشارة الى أن ذلك غريزة فيه .. وأما اللوم بفتح اللام وسكون الواو فهو العذل يقال لاه على كذا لوما ولومة فهو ملوم .. وقوله - الخور - بفتح الخاء المعجمة وفتح الواو أيضاً وفي آخره راء وهو الضعف يقال رجل خوار ورح خوار وأرض خورة يقول انك راجز لانحس القصائد والنصرف في أنواع الشعر فجعل ذلك دلالة على لؤم طبعه وضعفه .. وقوله أبا الأراجيز الهمزة للتوبيخ والانكار والباء تتعلق بقوله توعدي وقوله يابن اللؤم منادى مضاف

رقد فسر هذا على وجهين أحدهما على الغاء خلت من حيث توسطت الكلام فيكون
 في الارجيز على هذا في موضع رفع بانه خبر المبتدأ . والوجه الثاني^(١) على إعمال خلت
 منصوب . معترض بينهما . وقوله اللؤم مرفوع بالابتداء والخور عطف عليه وخبره قوله
 في الارجيز وقوله خلت بينهما اعتراض ولو نصبهما على المفعولية لجاز وكان الظرف
 حيلث في محل نصب مفعولا ثانياً وملت بمعنى علمت . . والبيت للعين المنقرى واسمه
 منازل بن زمعة من بني منقر بن عبيد بن الحارث بن نعيم يهجو به رؤبة بن العجاج كذا
 قال بعضهم . . وقال النحاس يهجو العجاج وقال أبو العجاج بيت الـعين من كنه رويها
 لام وقبله

أني أنا ابن جلا ان كنت تعرفني يارؤب والحية الصماء في الجبل
 ماني الدواوين في رجلي من عقل عند الرهان ولا أكرى من العقل
 أبا لارجيز يابن اللؤم نوعدني وفي الارجيز خلت اللؤم والفشل

هكذا رواه الجاحظ في كتاب الحيوان على أن الاقواء في البيت الثالث وأثبت الابيات
 الثلاثة في كتاب الوحشي وليس فيها إقواء لأنه روي فيها وفي الارجيز رأس القول والفشل
 (١) قوله والوجه الثاني على أعمال خلت فيكون في الارجيز في موضع نصب - الخ
 لم نر هذا التوجيه لغيره ونص سيبويه في كتابه ومن قال عبد الله ضربته نصب فقال عبد
 الله أظنه ذاهباً وقول أظن عمرأ منطلقاً وبكرأ أظنه خارجاً كما قالت ضربت زيداً وعمرأ
 كنه وان شئت رفعت على الرفع في هذا فان الغيت قلت عبد الله أظن ذاهب وهذا
 إخال أخوك وفيها أرى أبوك وكما أردت الالغاء فالتأخير أقوى وكل عربي جيد قال
 الشاعر وهو اللعين * أبا لارجيز يابن اللؤم الخ * أنشده يونس مرفوعاً وإنما كان التأخير
 أقوى لأنه إنما يحجب بالشك بعد ما يضي كلامه على اليقين أو بعد ما يتبدى وهو يريد
 اليقين ثم يدركه الشك . . وقال في التوضيح فصل لهذه الأفعال ثلاثة أحكام أحدها
 الإعمال وهو الأصل وهو واقع في الجميع والثاني الالغاء وهو إبطال العمل لفظاً وعلاً
 لضعف العامل بتوسطه أو تأخره كزيد ظننت قائم وزيد قائم ظننت . . قال منازل بن
 ربيعة . . أبا لارجيز الخ . . قال يس قوله خلت اللؤم والخور قال المصنف في الحوانبي قال

فيكون في الارجيز في موضع نصب من حيث وقع موقع المفعول الثاني وهذا بين ان
تدبره... [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه... أنشد نعلاب ابن الاعرابي
أما وائي للصبر في كل موطن أقر لعيني من غني رهن ذلتي
ويروى - من غني رهن ذلتي

وإني لأختار الظما في موطن على بارد عذب وأعيا بغاتي
وأستزذنب الدهر حتى كأنه صديق ولا أغتابه عند زلتي
ولست كمن كان ابن أبي مقتر فلما أفاد المال عاد ابن علة
فدا برته حتى انقضي الوديينا ولم أتمطق من نداء بيته
وكننت له عند الملمات علة أسد بجالي عنده كل خلة

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه الاولى في هذه القطعة اطلاقها - الخلة -
الحاجة والخلة أيضاً الخملة والخلة بالضم المودة والخلة أيضاً بالضم من كان خلوأ من
المرعي والخلة بالكسر ما يخرج من الاسنان بالخلال والخليل الحبيب من المودة والمحبة
والخليل أيضاً القمير وكلا الوجهين قد ذكر في قوله تعالى (وانخذ الله ابراهيم خيلا)
ومنه حديث ابن مسعود تعلموا القرآن فانه لا يدري أحدكم متى يخلد اليه... قال أبو العباس
نعلاب يكون من شيئين أحدهما من الخلة التي هي الحاجة أي متى يحتاج اليه ويكون من
الخلة وهي الثبات والخلود ويكون معناه متى تشتهي ما عنده يشبه بالابل لانها ترعي الخلة
فاذا ملأها عدلوا بها الى الحمض فاذا ملأت الحمض اشبت الخلة ومن أمثالهم جاؤا مخاين
فلاقوا حنصاً أي جاؤا مشتهين لقتالنا فلاقوا ما كرهوا والخلة أيضاً بنت الخاض والذكر
الخل ويقال جسم خل اذا كان مهزولاً... قال الشاعر

أبو الفتح فيما نقل عنه عبد المنعم الوجه الرفع لأن الواو ليست للعطف لاختلاف الجائتين
طلباً وخبراً والعطف نظير التثنية وواو الحال تطلب الابتداء فالظرف خبر والوؤم مبتدا
ولا يمنع النصب على أن يقدر مبتداً

فَأَسْقِنِيهَا يَا سَوَادَ ابْنِ عَمْرٍو إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لَخَلٌّ^(١)

(١) - فأسقنيها - الخ البيت من قصيدة مشهورة من مختار أشعار القبائل لأبي تمام
 قيل إنها للشنفرى يرثي خاله تأبط شرأ وذلك غلط لأن تأبط شرأ ليس خاله ولا أن
 الشنفرى مات قبله وقيل أنها لابن أخت تأبط شرأ يرثيه وقيل أنها من أوضاع
 خلف الأحمر وأولها

ان بالشعب الذى دون سلع	* لقتيلا دمه مايدل *
* قذف العبد على وولي	* أنا بالعبد له مستقل *
ووراء النار منه ابن أخت	* مصيخ عقده مايجل *
مطارق برشح رما كما	أطرق أفمي ينفث الدم على
خبر ما نابسا مصملا	جل حتى دق فيه الأجل
يزنى الدهر وكان غشوما	* بأبي جاره مايدل *
شامس فى القر حتى اذا ما	ذكت الشعري فبرد وظل
يا بس الجنين من غير يؤس	وندى الصنفين شهم مدل
طاعن بالحزم حتى اذا ما	حن حل الحزم حيث يحل
غيث مزن غامر حيث يجدي	واذا يسعلو فابث أباه
مسبل فى الحى أحوى رقل	واذا يفسزو فسنخ أزل
وله طعمان أرنى وشري	وكلا الطعمين قد زاق كل
يركب الهول وحيداً ولا يص	حبه الا الجاني الأفس
وفتو حنوا نم أسروا	لياهم حتى اذا تعجب حلوا
كل منض قد تردى بماض	كسنا البرق اذا ما يسلك
فادر كسنا النار منهم وثا	يشج ملحجين الا الاقل
فاحنسوا أنفاس نوم فلما	هوموا رعنهم فاشعلوا
فلما ن فلت هذيل شياه	لما كان هذيل بفيل

ويقال فصيل مخلول اذا شد لسانه حتى لا يرضع ويقال خللته فهو خليل ومخلول ومثله
أجررته .. قال الشاعر

فلو أن قومي أنطقني رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت^(١)

وبما أبركها في مناخ	جمع جمع بنقب فيه الاطل
وبما سببها في ذراها	منه بعد القتل نهب وشل
صلبت من هذيل بخرق	لايل الشر حق يملوا
يُنهل الصعدة حتى اذا ما	نهلت كان لها منه على
حات الحمر وكانت حراما	وبلائي ما ألمت تحل *
فاستقنيتها ياسواد بن عمرو	ان جسمي بعد خالي خل
تضحك الضبيع لقتل هذيل	وتري الذئب لها يستهل
وعناق الطير تمشي بطاناً	تخطاهم فما تستقل *

(١) قوله - فلو أن قومي - الخ يقول لو صبروا وطعنوا برماحهم أعدائهم لا يمكنني مدحهم ولكن فرارهم صيرني كالمشقوق اللسان لاني ان مدحهم بآلم يفعلوا كذبت ورد على يقال أجررت الفصيل اذا شقت لسانه لثلا يرضع أمه .. قال أبو القاسم الزجاجي في أماليه الوسطي أخبرنا ابن شقير قال حضرت المبرد وقد سأله رجل عن معنى قول الشاعر - فلو أن قومي أنطقني رماحهم - البيت فقال هذا كقول الآخر

وقافية قيلت فلم أستطع لها دافعا اذا لم تضربوا بالمناصل
فادفع عن حق بحق ولم يكن ليدفع عنكم قالة الحق باطل

قال أبو القاسم معنى هذا ان الفصيل إذا لهج بالرضاع جعلوا في أنفه خلالة محدودة فاذا جاء يرضع أمه نخسته تلك الخلالة فتمتعه من الرضاع فان كف والا أجروه والاجرار أن يشق لسان الفصيل أو يقطع طرفه فيمتنع حينئذ من الرضاع ضرورة فقال قائل البيت الاول ان قومي لم يقاتلوا فانا نجبر عن مدحهم كما يجبر الفصيل عن الرضاع ففسره أبو العباس بالبيتين اللذين مضيا والاجرار موضع آخر وهو أن يطعن الفارس الفارس

أى لم يعملوا فى الحرب شيئاً فكنت أفتخر بهم وقوله

أَفَرَّ لِعَيْنِي مِنْ غِنَى رَهْنِ ذَاتِي

يقول اختار الصبابة مع الفقر أحبّ إلى من الغنى مع الذل ومثله

إِذَا كَانَ بَابُ الذَّلِّ مِنْ جَانِبِ الْغِنَا سَمَوْتُ إِلَى الْعِلْيَاءِ مِنْ جَانِبِ الْفَقْرِ

صَبَرْتُ وَكَانَ الصَّبْرُ مِنِّي سَخِيهً وَحَسْبُكَ أَنَّ اللَّهَ أَثْنَى عَلَى الصَّبْرِ

•• وقوله - واستر ذنب الدهر حتى كأنه صديق - أراد انى لأشكو ما يمسنى به الدهر

فيمكن الرمح فيه ثم يتركه منهزماً بجر الرمح فذلك قاتل لامحالة ومنه قول الشاعر

وَأَخَّرَ مِنْهُمْ أَجْرَتِ رَمَحِي وَفِي الْبَجْلِ مَعْبَلَةٌ وَقِيْعٌ

وقوله ونقى بأفضل ما لنا أحسابنا ونجرفى الهيجا الرماح وندعى

قوله - وندعى - أى ينتسب فى الحرب كما ينتسب الشجاع فى الحرب فيقول أنا فلان بن

فلان •• والبيت من أبيات لعمر بن معدى كرب الزبيدى رضى الله عنه وأولها

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ زُوراً كَأَنَّهَا جَدَاوِلُ زَرْعٍ أُرْسِلَتْ فَاسْبَطَتْ

فَجَاسَتْ إِلَى النَّفْسِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَرَدَتْ عَلَى مَكْرُوهٍهَا فَاسْتَقَرَّتْ

عَلَى مَا تَقُولُ الرَّمْحُ يَنْقَلُ عَاتِقِي إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعَمْ إِذَا الْخَيْلُ كَرَّتْ

لَحَا اللَّهُ جَرْمًا كَمَا ذَرَّ شَارِقُ وَجْوهُ كَلَابِ هَارِشَتْ فَازْبَارَتْ

فَلَمْ تَغْنِ جَرْمُ نَهْدِهَا إِذْ تَلَاقِيَا وَلَكِنْ جَرْمًا فِي الْإِلْقَاءِ أَبْذَعَرَتْ

ظَلَلَتْ كَأَنِّي لَأَرْمَاحُ دَرِيْشَةٍ أَقَاتِلُ عَنْ أَبْنَاءِ جَرْمٍ وَفَرَّتْ

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقَتْنِي رَمَاحِهِمْ نَطَقَتْ وَلَكِنْ الرَّمَا حُ أَجَرَتْ

وسبب هذه الابيات ان جرما ونهداً وهما قبيلتان من قضاة كانتا من بني الحارث بن

كعب فقتلت جرماً رجلاً من أشرف بني الحارث فارتفعت عنهم ونحوها فى بني زبيد

فخرجت بنو الحارث يطلبون بدم أخيهم فالتقوا فبى عمرو جرماً لنهد وتبعى هو وقومه

لبني الحارث ففرت جرماً واعتلت بانها كرهت دماء نهد فهزمت يومئذ بنو زبيد فقال

عمرو هذه الابيات يلومها ثم غزاها بعد فانتصف منهم

﴿-----﴾ مجلس آخر ۶۷ ﴿-----﴾

(تأويل آية [٥٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى (الذي جعل لكم الارض فراشاً) الى قوله (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) ٥٠ فقال ما الذي أثبت لهم العلم به وكيف يطابق وصفهم بالعلم ههنا لوصفهم بالجهل في قوله تعالى (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) ٥٠ الجواب قلنا هذه الآية معناها متعلق بما قبلها لأنه تعالى أمرهم بعبادته والاعتراف بنبوته ثم عدد عليهم صنوف النعم التي ليست الا من جهته ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته وان العبادة انما تجب لأجل النعم المخصوصة فقال جعل من قائل (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم) الى آخر الآية ونسبه في آخرها على وجوب توحيده والاخلاص له وان لا يشرك به شيئاً بقوله تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) ومعنى قوله تعالى (جعل لكم الارض فراشاً) أي يمكن أن تستقروا عليها وتفرشوها وتصرفوا فيها وذلك لا يمكن الا بأن تكون مبسوطة ساكنة دائمة السكون وقد استدلل أبو على بذلك بقوله تعالى (وجعل لكم الارض بساطاً) على بطلان ما تقولونه المنجمون من أن الارض كرية الشكل وهذا القدر لا يدرك لانه يكفي في النعمة علينا أن يكون فيها بسائط ومواضع مسطوحة يمكن التصرف عليها وليس يجب أن يكون

جميعها كذلك ومعلوم ضرورة ان جميع الارض ليس مسطوحاً مبسوطة وان كان مواضع
التصرف منها بهذه الصفة والمنجمون لا يدفعون أن يكون في الارض بسائط وسطوح
يتصرف عليها ويستقر فيها وانما يذهبون الي أن يجعلتها شكل الكرة وليس له أن يقول
قوله تعالى (وجعل لكم الارض فراشاً) يقتضي الاشارة الى جميع الارض وجعلتها
لالى مواضع منها لأن ذلك تدفعه الضرورة من حيث أنا نعلم بالمشاهدة ان فيها ما ليس
بسائط ولا فراش ولا شبهة في أن جعله تعالى السماء على ما هي عليه من الصفة مما له تعلق
بنا فنعنا ومصلحتنا وكذلك انزاله تعالى منها الماء الذي هو المطر الذي تظهر به الثمرات
فنتنفع بنيلها والاغتذاء بها . فاما قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً) فان الند هو المثل^(١)
والعدل . . . قل حسان بن ثابت

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِنَدٍّ فَشَرُّكُمْ لِخَيْرِكُمُ الْفِدَاءُ^(٢)

(١) قوله - فان الند هو المثل والعدل - قلت يكون الند للصد أيضاً وفسر الناس قول
الله عز وجل (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) على جهتين . . . قال الكلبي عن
أبي صالح عن ابن عباس معناه فلا تجعلوا لله أعدالا فلا عدال جمع عدل والعدل المثل
وقال أبو العباس عن الأثرم عن أبي عبيدة (فلا تجعلوا لله أنداداً) أندادا ويقال
فلان ندي ونديدي ونديتي فالثلاث اللغات بمعنى واحد وانما دخلت الهاء في نديدة
للمبالغة كما قالوا رجل علامة ونسابة وجاءني كريمة القوم يراد به البالغ في الكرم المشبه
بالدهاية ويقال في تنبية التندنان وفي جمعه أنداد ومن العرب من لا يثنيه ولا يجمعه ولا
يؤنثه فيقول الرجلان ندي والرجال ندي والمرأة ندي والنساء ندي

(٢) البيت من قصيدته المشهورة التي يقال انه قال بعضها في الجاهلية وبعضها في
الاسلام . . . ومطالعها

عفت ذات الاصابع فالجواء الى عذراء منزلها خلاء
ديار من بنى الحساس قفر تعفها الروامس والسماء
وكانت لا يزال بها أنيس خلال مروجها أمم وشاه

وأما قوله تعالى (وأنتم تعلمون) فيحتمل وجوهاً ٠٠ أولها أن يريد أنكم تعلمون ان الانداد التي هي الاصنام وما جرى مجراها التي تعبدونها من دون الله تعالى لم تنعم عليكم بهذه النعم التي عددها ولا بامثالها وانها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تمتقدون ان الاصنام خلقت السماء والارض من دون الله تعالى ولا معه تعالى فالوصف لهم بهذا العلم انما هو لتأكد الحجة عليهم ويصح لزومها لهم لانهم من العلم بما ذكرناه ويكونون أضيق عذراً ٠٠ والوجه الثاني أن يكون المراد بقوله تعالى (وأنتم تعلمون) أي تعقلون وتميزون وتعلمون ما تقولون وتفعلون وتأتون وتذرون لأن من كان بهذه الصفة فقد استوفي شروط التكليف ولزمته الحجة وضاق عذره في التغلف عن النظر واصابة الحق ونظير ذلك قوله تعالى (انما يتذكر أولو الالباب ٠٠ وانما يخشى الله من عباده العلماء) ٠٠ والوجه الثالث ما قاله بعض المفسرين كجهاهد وغيره ان المراد بذلك أهل الكتابين

فليس لقلبه منها شفاء	* لشهداء التي قد تيمته
يكون مزاجها عسل وماء	كان سبيئة من بيت رأس
اذا ما كان منث أو لحاء	* نولها الملامة إن ألمنا
وأسداً ما ينهنا اللقاء *	ونشر بها فتر كنا ملوكا
تثير النقع موعدها كداء	عدمنا خيلنا ان لم تروها
على اكثافها الاسال الظاء	ينازعن الاعنة مصفيات
وكان الفتح وانكشف الغطاء	فاما تعرضوا عنا آثمنا
يعز الله فيه من يشاء	والا فاصبروا لجلاد يوم
وروح القدس ليس له كفاء	وجبريل رسول الله فينا
هم الانصار مرضتها اللقاء	وقال الله قد يسرت جنداً
سباء أو قتال أو هجاء *	لنا في كل يوم من معد
ونضرب حين تختلط الدماء	ونحكم بالقوافي من هجانا
مغاغة فقد برج اخفاء	ألا أبغ أبا سفيان عني
وعبد الدار سادتها الاماء	بأن سيوفنا تركتك عبداً

النوراة والانجيل خاصة ومعنى تعلمون أي أنكم تعلمون أنه إله واحد في النوراة والانجيل فعلى الوجهين الاولين لا تنافي بين هذه الآية وبين قوله تعالى (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) لأن عليهم تعلق بشئ وجهلهم تعلق بغيره وعلى الوجه الثالث اذا جعلت الآية التي سألنا عنها مختصة بأهل الكتاب أمكن أن نجعل الآية التي وصفوا فيها بالجهل تتناول غير هؤلاء ممن لم يكن ذا كتاب يجد فيه التوحيد وكل هذا واضح بمحمد الله . [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه ومما يفسر من الشعر تفاسير مختلفة والقول محتمل لكل قول امرئ القيس

وَقَدْ أَغْتَدِي وَمَعِيَ الْقَانِصَانُ	وَكُلُّ بَرْبَاةٍ مُقْتَفِرٍ
فَيَذَرُكُنَا فَعِمُّ دَاجِبٌ	سَمِيعٌ بَصِيرٌ طَلُوبٌ نَكِرٌ
أَلَصُّ الضُّرُوسِ حَبِي الضُّلُوعِ	تَبَوُّعٌ أَرِيبٌ نَشِيطٌ أَثَرٌ
فَأَنْشَبَ أَظْفَارُهُ فِي النَّسَا	فَقُلْتُ هَبْلَتُ إِلَّا تَنْتَصِرَ
فَكَرَّرَ إِلَيْهِ بِمِيزَاتِهِ	كَمَا خَلَّ ظَهَرَ اللِّسَانِ الْمُجَزَّ
فَظَلَّ يُرْنِخُ فِي غَيْطَلٍ	كَمَا يَسْتَدِيرُ الْحِمَارُ النَّعْرَ ^(١)

• قال ابن السكيت - القانصان - المصادان - والمرباة - الموضع المرتفع برأفيه - والمقتفر -

(١) وروى سميع بصير - في البيت - الثالث بدل تبوع أريب وتام الابيات

وأركب في الروع خيفانة	كما وجهها - حنف منتشر
لها حافر مثل قعب الولي	مدركب فيه وظيف عجز
و-اقان كعباها أصمعا	ن لخم حاتهما منبتر
لها عجز كصفاء المسية	له أبرز عنها حجاف مغفر
لها متلنان خطانا كما	أكب على ساعديه الغمر
وسالفة ك-هوق اللبا	ن أضرم فيها الغوي السعمر
لها عذر كقرون الاسا	دركب في يوم دمج وصر

الذي يقتفر آثار الوحش ويتبعها ٠٠ وقال غيره - الفانسان - البازي والصقر - والنغم -
الكلب الحريص على الصيد يقال ماأشد فقهه أي ماأشد حرصه ٠٠ قال الاعشى

يَأْمُ دِيَارَ بَنِي عَامِرٍ وَأَنْتَ بَالٍ عَقِيلٍ فَغَمٌ

أي مولع - والداجن - الذي يألف الصيد - والسميع - الذي اذا سمع حساً لم يفقه
- والبصير - الذي اذا رأى شيئاً من بعد لم يكذبه بصره - والتبوع - الذي اذا تبع
الصيد أدركه ولم يعجز عن لحوقه - والنكر - المنكر الحاذق بالصيد وىروى نكر
بالضم ٠٠ وقال ابن السكيت وغيره في قوله - فأنشب اظفاره في اللسا - أي أنشب
الكلب اظفاره في نسا الثور والنسا عرق في النخذ معروف - فقلت هبت - أي فقات للثور
هبت - الا تنصرو - من الكلب قالوا وهذا تهكم منه بالثور واستهزاء به والاصل في
التهكم الوقوع على الشيء يقال تهكم البيت اذا وقع بعينه على بعض ٠٠ ومعنى - فكر اليه
ببراته - ٠٠ قال ابن السكيت وغيره معناه فكر الثور الى الكلب ببراته أي بقرنه
٠٠ ومعنى - كما خل ظهر اللسان الجبر - أي طعنه كما يجز الرجل لسان الفصيل وهو
أن يقطع طرف لسانه أو يشقه حتى لا يقدر على الشرب من خلف أمه وراك اذا كبر

لها جهة كبراء الجبل من حذقه الصانع المقتدر

لها منخر كوجار الضباع فنه تريخ اذا تنهر *

لها ثنن كخوافى العقاب سود يفين اذا تربئر *

وعين لها حدره بدره شقت ماقيها من آخر

اذا أقبات قات دبابة من الخضرمه موسة في الغدر

وان أدبرت قلت أنفيسة دلملة ليس فيها أثر *

وان أعرضت قلت سرعوفة لها ذنب خافها مسبطر

وللسوط فيها مجال كما تنزل ذو برد منهمر *

وتعدو كعدو نجاة الظباء أخطأها الحاذق المقتدر

لها وثبات كصوب السحاب فواد خطاها وواد مطر

واستغنى عن الشرب . . ومعنى - فظال برنخ في غيطل - أى ظل الكلب برنخ أى يميل
 ويميد كالسكران - والغيطل - الشجر الممتف ويكون أيضاً الجلبة والصباح . . وقوله -
 كما يستدبر الحمار النعر - والنعر الذى يدخل فى رأسه ذباب أزرق أو أخضر ^(١) فيطمح
 برأسه وينزو فشبه الكلب فى اضطرابه ونزوه بالحمار النعر . . قال ابن مقبل

تَرَى النُّعْرَاتِ الزُّزُقَ تَحْتَ لَبَانِهِ أَحَادَ وَثْنَى أَصْعَقَتْهَا صَوَاهِلُهُ

وقال أحمد بن عبيد - الفانسان - الفرس وصاحبه والحجة أن الفرس تسمى قانصاً . . قول
 عدى بن زيد

يُقْنِصُكَ الْخَيْلَ وَيَصْطَاذُكَ الْبَطِيرَ وَلَا يَبْلُغُ لَهُ الْقَنِيصِ

أى لا يمنع منه قال وقوله - فانشب أنظاره فى الناس - معناه فانشب الكلب أنظاره فى لسانه
 أنشور فقلت لصاحب الفرس أو لفلانى المسك لا فرس هبات الا تدنو الى الثور فتقطعنه
 فقد أمسكه عليك الكلب قال ومحال أن يكون امرؤ الفيس أغرى الثور بقتل كلبه
 لأن امرأ الفيس يفخر بالعيد ويصفه فى أكثر شعره بأنه مرزوق منه مظفر كقوله
 إِذَا مَا خَرَجْنَا قَالَ وَلَدَانُ أَهْلُنَا تَعَالَوْا إِلَى أَنْ يَأْتِنَا الصَّيْدُ نَحْطُبِ

وكقوله

(١) قوله - ذباب أخضر وأزرق - الخ قال ابن سيده - العرة ذبابة تسقط على الدواب
 فتؤذيها حمار نعر وحكى سيديويه نعر إلى اخواته من اللغات التى تعطرد فيما كان ثابته حرقا
 من حروف الحلقى قدمت له نظائر قال أبو حنيفة هو ذباب أربد ومنه أخضر والجمع نعر
 قال ولا يضر هذا النعر الا الحمير فانه يأتى الحمار فيدخل فى منخره فيربض ويعلمك
 بحجافته الارض وان سمعت الحمير بطنينه ربيضت ود سن أنوفهن فى الارض حذاره
 واذا اعتري الحمار قبل حمار نعر . . وقال مرة قد تعرض النعر للخيل وأنشد أبو على فى
 تصديق ذلك لابن مقبل يصف فرساً

تَرَى النُّعْرَاتِ الْخَضِرَ تَحْتَ كَبَانِهِ أَحَادَ وَثْنَى أَصْعَقَتْهَا صَوَاهِلُهُ

مُطْعِمٌ لِلصَّيْدِ لَيْسَ لَهُ غَيْرُهُ كَسَبٌ عَلَى كَبَرٍ

فحال على هذا أن يقرى الثور بقتل كلبه . . قال وتأويل - ألا تنصير - ألا تدنو من الثور والدليل على أن تنصير بمعنى تدنو قول الراعي

وَأُفْرَعَنَ فِي وَادِي جَلَا مَيْدَ بَعْدَمَا عَلا الْبَيْدَ سَا فِي الْقَيْظَةِ الْمُتَنَاصِرُ

أى المنداني . . وقال مضرس بن رباب بن أبي القعبي

فَإِنَّكَ لَا تُعْطِي أَمْرًا حَظَّ غَيْرِهِ وَلَا تَمْلِكُ الشَّقَّ الَّذِي الْغَيْثُ نَاصِرُهُ

أى دان منه . . ومعنى - أَلَصَّ الضُّرُوسَ - أى بعض أسنانه تلتصق ببعض - وحيي الضلوع - أى مشرف الضلوع عليها ويروى حني الضلوع بالنون أى منعنها ويقال ان الضلوع اذا تقوست كان أوسع لحوفه وأقوي له ويروى أيضاً خنى الضلوع أى ضلوعه خفية داخله فى جنبه . . ومعنى - فَظَلَّ يَرْخُ فِي غَيْطَلٍ - فَظَلَّ الثَّورُ يَرْخُ فِي غَيْطَلٍ لِمَا طَعَنَهُ سَاحِبُ الْفَرَسِ وَقَدْ يَجُوزُ أَيْضاً أَنْ يَكُونَ تَرْخُ الثَّورِ لَظْفَرِ الْكَلْبِ بِهِ وَلَأنَّهُ أَنْشَبَ أَظْفَارَهُ فِيهِ وَكَلَّ ذَلِكَ مُحْتَمِلٌ . . ومما يحتمل أيضاً على وجوه مختلفة قول امرئ القيس

فَتَوَضَّحَ فَالْمَقْرَأَةُ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لَمَّا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنْوَبٍ وَشِمَالٍ^(١)

(١) - توضح - كذب أبيض من كذبان حرر بالدهناء قرب اليمامة عن نصر . . وقيل توضح من قرى قرقرى بالجمامة وهي زروع ليس لها نخل . . وقال العسكري - سئل شيخ قديم عن مباء العرب ف قيل له هل وجدت توضح التي ذكرها امرؤ القيس فقال أما والله لقد جئت في ليلة مظلمة فوقفت على قم طويها فلم توجد الى اليوم - والمقراة - بالكسر ثم السكون وهو فى اللغة شبه حوض ضخم يقرأ فيه من البئر أي بجي اليه وجمعها المقاري والمقاري أيضاً الجفان التي تقرأ فيها الاضياف . . قال ياقوت والمقراة وتوضح فى قول امرئ القيس قريتان من نواحي الجمامة . . وقال السكري فى شرحه لبيت امرئ القيس الدخول وحومل وتوضح والمقراة مواضع بين امرة وأسود العين والبيت من معلقته المشهورة ومطلعا

فقال ذلك من ذكرى حبيب ومنزل بسنط الاولى بين الدخول وخومل

قال قوم معناه لم يدرس رسمها للسج هاتين الريحين فقط بل لمتابع الرياح والامطار
والدليل على ذلك قوله في البيت الاخير

فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مَعُولٍ^(١)

وقال آخرون ومعنى لم يعف رسمها لم يدرس فالرسم على هذا القول باق غير دارس . ومعنى
قوله في البيت الاخير - رسم دارس - أي فهل عند رسم يندرس في المستقبل وان كان
الساعة موجوداً غير دارس . وقال آخرون في معنى قوله لم يعف مثل الوجه اثنائي أي
انه لم يدرس أثرها لما نسجتها بل هي بواق ثوابت فتعفن نخزن لها ونجزع عند رؤيتها
ولو عفت وأميتت لاسترحنا وهذا مثل قول ابن أحرر

أَلَا لَيْتَ الْمَنَازِلَ قَدْ بَلَيْنَا فَلَا يَبْكِيْنَ ذَا حَزَنٍ شَجِينَا

ومثل قول الآخر

لَيْتَ الدِّيَارِ الَّتِي تَبْقَى لِنُحْزِنَنَا كَانَتْ تَبِينُ إِذَا مَا أَهْلُهَا بَانُوا

وليس قوله فهل عند رسم دارس من معول نقضاً لهذا انما هو كقولك درس كتابك

(١) قوله - فهل عند رسم دارس - الخ صدره . . وإن شفاى عبدة

من معول - من مبكي وقيل من مستغاث وقيل من يحمل ومعتمد وقيل في قوله
* فهل عند رسم دارس من معول * مذهبان أحدهما انه مصدر عولت عليه أي اتكملت
فلما قال ان شفاى عبدة فإنا راخى في البكاء فما معنى اتكالي في
شفاء غليلي في رسم دارس لاغناء عنده عني فـ يبلى أن أقول على بكائي ولا أعول في برد
غليلي على ما لاغناء عنده وأدخل الفاء في قوله فهل عند لتربط آخر الكلام بأوله فكأنه
قال اذا كان شفاى انما هو في فيض دمي فـ يبلى أن لا أعول على رسم دارس في دفع
حزني وبنيني أن آخذ في البكاء الذي هو سبب الشفاء والمذهب الآخر أن يكون معول
مصدر عولت بمعنى أعولت أي بكيت فيكون معناه فهل عند رسم دارس من إعوال
وبكاء وعلى أي الأمرين حملت المعول فدخول الفاء على هل حسن جميل

أى ذهب بعنه وبقي بعض ٠٠ وقال أبو بكر العبدى معناه لم يعف رسمها من قاي وهو دارس من الموضع فلم يتناول قوله ولم يعف رسمها متناوله قوله فهل عند رسم دارس من جميع وجوهه فيتناقض الكلام ٠٠ وقال آخرون أراد بقوله لم يعف أي لم يدرس ثم أكذب نفسه بقوله فهل عند رسم دارس من معول كما قال زهير

قِفْ بِاللَّيَّارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُهَا الْقِدْمُ بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالذِّيمُ^(١)

وكما قال آخر

فَلَا تَبْعَدَنَّ يَا خَيْرَ عَمْرٍو بِنِ مَالِكٍ بَلَى إِنَّ مَنْ زَارَ الْقُبُورَ لَيَبْعَدَا

أراد ليبعدن فابدل الالف من النون الخفيفة وهذا وجه ضعيف وبيت زهير لا يجب فيه ما توهم من المناقضة والتكذيب لأنه يمكن أن يحمل على ما ذكرناه من أحد الوجوه المتقدمة من أنه أراد أن رسمها لم يعف ويبطل كله وإن كان قد غيرته الديم والارواح

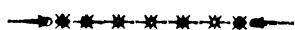
(١) البيت مطلع قصيدة يمدح بها هرم بن سنان وهي إحدى حولياته وبعده

بالدار لو كنت ذا حاجة ص م	لا الدار غيرها بعدى الايس وما
كلوحي ليس بها من أهلها أرم	دار لاسماء بالغميرين مائلة
السر منها فوادی الجفر فالهدم	وقد أراها حديثاً غير مةوية
شرقي سلمى فلا فيد فلا رهم	فلا لكان إلى وادي العمار فلا
والعاريات وعن أيسارهم خيم	شطت بهم قرقرى برك باينهم
فقد القریات فلتعتكان فالكرم	عوم السفين فلما حال دونهم
وعبرة ما هم لو انهم أم *	كان عيني وقد سال السليل بهم
في السلك خان به رباه النظم	غرب على بكرة أو لؤلؤ قاني
زال الهماليج بالفرسان فاللجم	عهدي بهم يوم باب القريتين وقد
ترعى الخريف فادنى دارها ظام	فاستبدلت بعدنا داراً يمانية
يكن الجواد على علانه هرم	ان البخيل ملوم حيث كان أول
منها الشنون ومنها الزاهق الزهم	القائد الخيل منكوبا دوا برها

بعضه وأثرت في بعض فاما البيت الثاني فلا حجة في حمله لأنه لم يتضمن اثباتاً ونفيّاً
وانما دعاه بان لا يبعد ثم رجع الى قوله بل انه ليعبد من زار القبور وما يدعى به غير
واجب عليه ولا ثابت فكيف به في البيت الثاني ٠٠ وقد يمكن في البيت وجه آخر وهو
أن يكون معنى لم يعف رسمها أي لم يزد فيكثر فيظهر حتى يعرفه المترسم ويتنبه المتأمل
بل هو خاف غير لاثم ولا ثم ظاهر قال من بعد فهل عند رسم دارس من معول فلم
يتناقض الاول لأنه قد أثبت الدروس له في كلا الموضعين ولا شبهة في أن عفا من حروف
الاضداد التي تستعمل تارة في الدروس وتارة في الزيادة والكثرة قال الله تعالى (حتى
عفوا) أي كثروا ويقال قد عفا الشعر أي كثر وقال الشاعر

ولسكناً نُعِضُّ السَّيْفَ مِنْهَا بِأَسْوَقِ عَافِيَاتِ اللَّحْمِ كُومِ

أراد كثيرات اللحم يقل قد عفا وبر البعير اذا زاد وبقا أعفيت الشعر وعفوته اذا
كثرت وزدت فيه وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان تحفى الشوارب وتعفى الاحي
أي توفر وهذا الوجه عندي أشبه مما تقدم



مجلس آخر ٦٨

[تأويل آية] ٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى (ياأخت هارون ما كان أبوك امرأ
سوء وما كانت أمك بغياً) الآية فقال من هارون الذي نسبت مريم عليها السلام الى أنها
أخته ٠٠ ومعلوم انها لم تكن أختاً لهارون أخى موسى عليهما السلام وما معنى (من
كان في المهد صبياً) ولفظه كان تدل على ماضى من الزمان وعيسى عليه السلام في حال
قولهم ذلك كان في المهد ٠ الجواب قلنا أما هارون الذى نسبت اليه مريم عليها السلام فقد
قبل فيه أقوال منها ان هارون المذكور في الآية كان رجلاً فاسقاً مشهوراً بالهر والشمر
وفساد الطريقة فلما أنكروا ما جاءت به من الولد وظنوا بها ما هي مبرأة منه نسبوها الى
هذا الرجل تشبيهاً وتمثيلاً وكان تقدير الكلام يا شبيهة هارون في فسقه وقبح فعله وهذا
القول يروى عن سعيد بن جبير ٠٠ ومنها ان هارون هذا كان أخاً لها أيها دون أمها
(١٤ - الى رابع)

وقيل انه كان أخاها لأبها وأما وكان رجلاً معروفاً بالصلاح وحسن الطريقة والعبادة والتأله . . . وقيل انه لم يكن أخاها على الحقيقة بل كان رجلاً صالحاً من قومها وانه لما مات شيع جنازته أربعون ألف رجل كلهم يسمون هارون من بني إسرائيل فلما أنكروا ماظهر من أمرها قاوا لها ياأخت هارون أى بالشبهة بالصلاح ما كان هذا معروفاً منك ولا كان والدك ممن يفعل القبيح ولا يتطرق عليه الريب . . . وعلى قول من قال انه كان أخاها يكون معنى قولهم انك من أهل بيت الصلاح والسداد لأن أبك لم يكن امراً سوء ولا كانت أمك بغيّاً وأنت مع ذلك أخت هارون المعروف بالصلاح والسداد والعفة فكيف أتيت بما لا يشبه نسبك ولا يعرف من مثلك . . . ويقوى هذا القول ما رواه المغيرة بن شعبة . . . قال لما أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل نجران قال لي أهلها أليس نبيكم يزعم ان هارون أخو موسى وقد علم الله تعالى ما كان بين موسى وعيسى من النبئين فلم أدر ماأورد عليهم حتى رجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال لي فهلا قلت انهم كانوا يدعون بأنبيائهم والصالحين قبلهم . . . ومنها أن يكون معنى ياأخت هارون يا من هي من نسل هارون أخي موسى كما يقال للرجل يا أخنيم وياأخا بني فلان . . . وذكر مقاتل بن سليمان في قوله تعالى ياأخت هارون قال روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هارون الذي ذكروه هو هارون أخو موسى عليهما السلام . . . قال مقاتل تأويل ياأخت هارون يا من هي من نسل هارون كما قال تعالى (والى ماد أخاهم هوداً . . . والى ثمود أخاهم صالحاً) يعنى بأخيه انه من نسلهم وجنسهم وكل قول من هذه الأقوال قد اختاره قوم من المفسرين . . . فاما قوله تعالى (من كان في المهد صبياً) فهو كلام مبنى على الشرط والجزاء مقصود به الإيهام والمعنى من يكن في المهد صبياً فكيف نكلمه ووضع في ظاهر اللفظ الماضي موضع المستقبل لأن الشرط لا يشرط الا فيما يستقبل فيقول القائل ان زرتي زرتك يريد أن تزرتي أزرك قال الله تعالى (ان شاء جعل لك خيراً) يعنى ان يشأ يجعل وقال قطرب معنى كان ههنا معنى صار فكان المعنى وكيف نكلم من صار في المهد صبياً ويشهد بذلك قول زهير

أَجَزْتُ إِلَيْهِ حُرَّةً أَرْجِيَّةً وَقَدْ كَانَ لَوْنُ اللَّيْلِ مِثْلَ الْأَرَنْدَجِ

وقال غيره كان ههنا بمعنى خلق ووجد كما قالت العرب كان الحر وكان البرد أي وجدنا
 وحدها . . وقال قوم لفظة كان وان أريد بها الماضي فقد يراد بها الحال والاستقبال
 كقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) أي أنتم كذلك وكذلك قوله تعالى
 (هل كنت الا بشراً رسولا) وقول الله تعالى (وكان الله عليهما حكيمًا) وان كان قد
 قيل في هذه الآية الاخيرة غير هذا . قيل ان القوم شاهدوا من آثار علمه وحكمته تعالى
 ما شاهدوا فاخبرهم تعالى انه لم يزل عليهما حكيمًا أي فلا تظنوا انه استفاد علماً وحكمة
 لم يكن عليهما . . ومما يقوى مذهب من وضع لفظة الماضي في موضع الحال والاستقبال
 قوله تعالى (واذ قل الله يا عيسى بن مريم) وقوله تعالى (ونادى أصحاب الجنة
 أصحاب النار) وقولهم في الداء غفر الله لك وأطال بقاءك وما جرى مجرى ذلك
 ومعنى الكل يفعل الله ذلك بك الا أنه لما أمن الابس وضع لفظ الماضي في موضع
 المستقبل . . قال الشاعر

فَأَذْرَكْتُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلِي وَلَمْ أَدْعُ لِمَنْ كَانَ بَعْدِي فِي الْفَضَائِلِ مَقْعَدًا

أراد لمن يكون بعدى . . ومما جعلوا فيه المستقبل في الماضي قول الصلتان العبدى
 يرفي المغيرة بن المهلب

قُلْ لِلْقَوَائِلِ وَالْغَزَاةِ إِذَا غَزَوْا وَالْبَاكِرِينَ وَلِلْمُجَدِّ الرَّائِحِ^(١)

إِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالسَّمَاةَ ضَمِنَا قَبْرًا بَمَرَوْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ^(٢)

(١) قوله - قل للقوائل - الخ القوائل جمع قافلة وهي الرفقة الراجعة من سفرها
 الى وطنها - والغزاة - جمع غاز - والباكرين - جمع باكر يقال بكر بكورا من باب قعد
 أسرع في الذهاب من أول النهار - وأجد - في الامر اجتهد - والرائح - الراجع

(٢) قوله - ان الشجاعة والسماحة - الخ هذا مقول القول . . وروى أيضاً ان
 السماحة والمروءة - والسماحة - الجود والعطاء - والمروءة - آداب نفسانية فحمل مراعاتها
 الانسان على الوقوف عند محاسن الاخلاق وجبيل العادات يقال مرؤ الانسان وهو مريء
 كقرب فهو قريب أى ذو مروءة . . قال الجوهري وقد تشددت في ل مروءة - وضعت

فَإِذَا مَرَزْتَ بَقْرَهُ فَأَعْقِرْ بِهِ كَوْمَ الْمَطِيِّ وَكُلَّ طَرْفِ سَابِجٍ^(١)
وَأَنْضَحْ جَوَانِبَ قَبْرِهِ بِدِمَائِهَا فَلَقَدْ يَكُونُ أَخَادِمٌ وَذَبَابُخٌ^(٢)

بالبناء للمفعول متمد لمفعولين .. أحدهما نائب الفاعل وهو ضمير النثية .. والثاني قبرا وهو مقلوب لأنه يقل ضمنت الشيء كذا أى جملة محتويا عليه وفي القلب هنا نكتة كأنهما لكثرتهما لا يسعهما القبر فهما اشتملا على القبر وأحاطا بجوانبه - ومرو - هنا مرو الشاهجان لامرو الروذ وكلاهما في إقليم خراسان .. قال ابن خالكان ومن سرة أولاد المهلب أبو فراس المغيرة وكان أبوه يتقدمه في قتال الخوارج وله معهم وقائع مشهورة أبان فيها عن نجدة وصرامة وكان مع أبيه في خراسان واستنابه بمرو الشاهجان وتوفي في حياة أبيه سنة اثنين وثمانين في رجب وهذا البيت استشهد به النحويون على أنه أعاد الضمير الى المؤنثين بضمير المذكرين وكان القياس أن يقول ضمنا وعده ابن عصفور من قبيل الضرورة

(١) قوله - فإذا مرزت بقره - الخ - عقر البعير بالسيف من باب ضرب اذا ضرب قوائمه به لا يطلق العقر في غير القوائم وربما قيل عقره اذا نحره كذا في المصباح - والكوم - بالضم جمع كوما بالفتح والمد وهي الماشقة السمينة على - ويروى - بدله الجلود بكسر الجيم جمع جلدة بفتحها وهي أدسم الابل لبنا - وأطرف - بالكسر الاميل من الخيل - والسابج - بالوحدة من سبج الفرس اذا جرى يقال فرس سبج اذا جرى بقوة [٢] قوله - وأنضح جوانب قبره - النضح بالحاء المهملة الرش القليل وبالحاء المعجمة الابل يقال نضح ثوبه اذا بله فهو أبغ من الاول .. واختلاف في سبب عقرهم الابل على القبور فقال قوم انما كانوا يفعلون ذلك مكافاة للميت على ما كان يعقره من الابل في حياته ويخره للاضياف واحتجوا بقول الشاعر وأنضح جوانب قبره الخ .. وقال قوم انما كانوا يفعلون ذلك إعظاما للميت كما كانوا يذبجون للاصنام وقيل انما كانوا يفعلونه لأن الابل كانت تأكل عظام الموتى اذا بليت فكانهم كانوا يتأرون لهم فيها وقيل إن الابل أنفس أمواهم فكانوا يريدون بذلك انها قد هانت عليهم لعظم النسيبة .. والبيت

يستشهد به النحويون على أن المضارع وهو يكون مؤوّل بالماضي أى ولقد كان لأنه في
مرثية ميت وهو إخبار عن شئ وقع ومضى لإخبار عما سبق لأنه غير ممكن . قال ابن
الزجى فى أماليه قال أبو الفتح عثمان بن جنى قال لى أبو على سألت يوما أبا بكر بن
السراج عن الأفعال فقال يقع بعضها موقع بعض فقال كان ينبغي للأفعال كلها أن تكون
مثلا واحدا لأنها لماقى واحد ولكن خواف بين صيغها لاختلاف أحوال الزمان
فاذا اقترن بالفعل مايدل عليه من لفظ أو حال جاز وقوع بعضها موقع بعض . قال
أبو الفتح وهذا الكلام من أبي بكر عاى سديد . وهذه الابيات الصحيح انها لزيد
الاعجم يرفى بها المغيرة بن المهلب وقيل المغيرة بن أبي صفرة أخا المهلب وهي من قصيدة
أولها قل للفوافى الخ الابيات الاربعة وبعدها

واظهر بيزته وعقد لوائه	واهتف بدعوة مصلتين شراح
آب الجنود معقلا أو قاهلا	وأقام رهن حفيزة وضراخ
وأرى المنكارم يوم زيل بنعشه	زالت بفضل فواضل ومدائح
رجفت لمصرعه البلاد وأصبحت	منا القلوب لذاك غير صائح
الآن لما كنت أكل من مشى	وافتر نايك عن شاة القارح
وتكلمات فيك المروءة كلها	وأعنت ذلك بالفعال الصالح
فكفى لما حزنا ببيت حله	إحدى المنون فليس عنه بيارح
ففت منابر ووحط سروجه	عن كل طامحة وطرف طامح
واذا يناح على امرئ فتعلمى	ان المغيرة فوق نوح النائح
تبكى المغيرة خيلما ورماحنا	والبا كيات برنة وتصايح
مات المغيرة بعد طول تعرض	للموت بين أسنة وصائح
والقتل ليس الى القتال ولا أرى	سببا يؤخر للشفيق الناصح
لله در منية فانت به	فلقد أراه يرد ضرب الجاح

[تأويل خبر] ٥٥ إن سأل سائل فقال كيف يطابق ما روى عن النبي صلى عليه وسلم أنه قال لا عدوى ولا طيرة ولا هامة وأنه قيل له عليه الصلاة والسلام إن النقرة تقع بمشفر البعير فتجرب لذلك الأبل فقال عليه الصلاة والسلام فن أعدى الأول لما روي عنه عليه الصلاة والسلام من قوله لا يوردن ذو عاهة على مصح وقوله

ولقد أراه مجنبا أفراسه	يفشي الاسنة فوق نهد قارح
في جوفه لجب ترى أبطاله	منه تعضل بالفضاء الفاسخ
يقص الحزونة والسهولة اذغدى	بزهاء أرعن مثل ليل جانح
ولقد أراه مقدا أفراسه	يدني مراجع في الوغى لمراجع
فتيان عادية لدي مرسى الوغى	سنوا بسنة معلمين ججاجح
لبسوا السوابغ في الحروب كأنها	غدر تحيز في بطون أباطخ
واذا الضراب عن الطعام بداهم	ضربوا برهفة الصدور جوارح
لوعند ذلك قارعته منية	قرع الحواء وضم سرح السارح
كنت الغياث لأرضنا فتركتنا	فالיום نصبر للزمان الكالح
قانع المغيرة للمغيرة اذ غدت	شعواء مشعرة لنبيح الناجح
صفان مختلفان حين تلاقيا	آبوا بوجه مطلق أو ناكح
ومدجج كره الكماة نزاله	شاكى السلاح مساييف أوراخ
قد زار كبش كتيبة بكتيبة	يؤدي لكوكبها برأس طامخ
غيرن دون نساءه وبناته	حامي الحقيقة للحروب مكواح
سبقت يدك له بإعاجل طعنة	شبهت لمنفذها أصول جوائح
والخيل تضبح بالكماة وقد جرت	فوق النعور دماؤها بسرائح
يا لهفتا يا لهفتا لك كلما	خيف المغير على المدر الماسخ
تشفى بمحكك لابن عمك جهله	وتذب عنه كفاح كل مكافح
واذا يصول بك ابن عمك لم يعل	بمواكل وكل غداة تجالح
صلت يموت سليمة قبل الرقي	ومخاتل لعدوه بتصافح

فرّ من الاجذم فرارك من الاسد ٠٠ وان رجلاً مجنوماً أنه ليبياعه بيعة الاسلام
 فارسل اليه بالبيعة وأمره بالانصراف ولم يأذن له عليه الصلاة والسلام ٠٠ وروي عنه
 عليه الصلاة والسلام أنه قال الشؤم في المرأة والدار والداية وظواهر هذه الاخبار
 متناقضة متنافية فينبوا وجه الجمع بينها ٠٠ الجواب قلنا ان ابن قتيبة قد سأل نفسه
 عن اختلاف هذه الاخبار وأجاب عن ذلك بما نذكره على وجهه ونذكر ما عندنا
 فيه فانه خلط وأتى بما ليس بمرضى ٠٠ قال ان لكل من هذه الاخبار معنى وموضعاً
 فاذا وضع موضعه زاب الاختلاف قال وللعدي معنىان ٠٠ أحدهما عدوي الجذام فان
 المجنوم تشدد راحته حتى يسقم في الحال مجالسيه ومواكليه وكذلك المرأة تكون تحت
 المجنوم فتضاجعه في شعاع واحد فيوصل اليها الأذى وربما جندمت وكذلك ولده
 ينزعون في الكثير اليه وكذلك من كان به سل ودق والاطباء تأمر بأن لا يجالس
 المسلول والمجنوم لا يريدون بذلك معنى العدوي وانما يريدون بذلك تغير الرائحة وانما
 قد يسقم في الحال اشتامها والاطباء أبعد الناس من الايمان بين أو شؤم ٠٠ وكذلك

واذا الامور على الرجال تشابهت	وتنوزعت بمغاليق ومفاتيح
قتل السحيل بمهرم ذي مرة	دون الرجال بفضل غفل راجع
وأرى العمالك للمغيرة أصبحت	تبكي على طالق اليمين مساع
كان الربيع لهم اذا اتجمعوا الندى	وخبت لوامع كل برق لائح
كان المهلب بالمغيرة كالذي	ألقى الدلاء الى قايب المسائح
فاصاب حبة ما استقى فسقى له	في حوضه بنوازع ومواتع
أيام لو بمحتل وسط مفازة	فاضت معاطشها بشرب سائح
إن المهلب لن يزال لها فتي	يمرى قوادم كل حرب لافح
• بالمقربات لواحقاً أطالها	تجتنب سهل سبابس ومحاصح
متلبياً نهو الكتائب حوله	ماح المتن من التضييع الراشح
ملك أغر متوج يسوله	طرف الصديق بغض طرف الكاشح
رفاع ألوية الحروب الى العدى	بسمود طير سائح وبوارح

الدقة تكون بالبعير وهو جرب رطب فاذا خالط الابل وحاسمها وصل اليها بلغم الذي يسيل منه وتجرب بمائه فمـ هذا هو المعنى الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوردن ذو عاعة على مصح قال وقد ذهب قوم الى انه اراد عليه الصلاة والسلام بذلك أن لا يظن أن الذي نال ابله من ذوات العاعة فيأثم قال وليس هذا عندي وجه لانا نجد الذي خبرتك به عيانا . . . قل وأما المجلس الآخر من العدوي فهو الطاعون ينزل ببلد فيخرج منه خوفا من الطاعون . . . وحكى عن الاصمعي عن بعض البصريين انه هرب من الطاعون فركب حمرا أو مضي بأهله نحو سفوان فسمع حاديا يحدو خلفه فيقول

لَنْ يُسَبِّقَ اللَّهُ عَلَى حِمَارٍ وَلَا عَلَى ذِي مِيعَةٍ مُطَارٍ
أَوْ يَأْتِيَ الْحَتَفُ عَلَى مَقْدَارٍ قَدْ يُصْبِحُ اللَّهُ أَمَامَ السَّارِي

. . . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان بالبلد الذي أنتم فيه فلا تخرجوا منه وقال عليه الصلاة والسلام أيضا اذا كان ببلد فلا تدخلوه يريد بقوله عليه الصلاة والسلام لا تخرجوا من البلد اذا كان فيه كأنكم تظنون ان الفرار من قدر الله تعالى ينجيكم ويريد بقوله عليه الصلاة والسلام اذا كان ببلد فلا تدخلوه ان مقامكم بالموضع الذي لا طاعون فيه أسكن لأنفسكم وأطيب لعيشكم قال ومن ذلك المرأة تعرف بالشؤم والدار فيال الرجل مكروها أو جائحة فيقول أعدتني بشؤمها قال فهذا هو الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام لاعدوي . . . فالما الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الشؤم في المرأة والدار والدابة فان هذا يتوهم فيه الغلط على أبي هريرة وانه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فام يعه . . . وروى ابن قتيبة خبرا ورفعته الى أبي حسان الاصحاح ان رجلا دخل على عائشة فقلا ان أبا هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما الطيرة في المرأة والدار والدابة فطارت شفقاً فقالت كذب والذي أنزل القرآن على أبي القاسم من حوث بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونما قال عليه الصلاة والسلام كان أهل الجاهلية يقولون ان الطيرة في المرأة والدار والدابة ثم قرأت (مأصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم) الآية . . . وروي خبراً يرفعه الى أنس بن مالك قال جاء

رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انا نزلنا داراً فكثرت فيها عددنا وكثرت بها أموالنا ثم تحولنا منها الى أخرى فقلت فيها أموالنا وقل عددنا فقال عليه الصلاة والسلام ذروها فهي ذميمة قال ابن قتيبة وهذا ايسر ينقض الحديث الاول وانما أمرهم بالتحول منها لأنهم كانوا مقيمين فيها على استئصال ظلمها واستيعاش لما نالهم فيها وأمرهم عليه الصلاة والسلام بالتحول منها وقد جعل الله في غرائز الناس وتركيبهم استئصال ما ينالهم السوء فيه وان كان لاسبب له في ذلك وحسب من جرى على يده الخير لهم وان لم يردهم به وبغض من جرى على يده الشر لهم وان لم يردهم به ٠٠ [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه ما وجدنا ابن قتيبة عمل شيئاً أكثر من أنه لما أعجزه تأويل الاخبار التي سألت نفسه عنها والمطابقة بينها وبين قوله عليه الصلاة والسلام لا عدوى ولا طيرة ادعى الخصوص فيما ظاهره العموم وخص العدو بشئ دون آخر وكلاهما سواء فيه وأورد تأويلاً يدفعه نص قوله عليه الصلاة والسلام لأنه عليه الصلاة والسلام لما سئل عن النقبة تقع بمشفر البعير فتجرب لذلك الابل قال عليه الصلاة والسلام فما أعدى الاول تكذيباً بعدوى هذه النقبة وتأثيرها فطرح ابن قتيبة ذلك وزعم ان الجرب يعدى ويؤثر في المخاط والمؤاكل وعول في ذلك على قول الاطباء وترك قول الرسول عليه الصلاة والسلام ٠٠ ومن ظريف أمره أنه قال إن الاطباء ينهون عن محاسبة المسلول والجندوم ولا يريدون بذلك معنى العدوى وانما يريدون تغيير الرائحة وانما تسقم من آدمى اشتهاها وهذا غلط منه لأن الاطباء انما تنهى عن ذلك خوفاً من العدوى وسبب العدوى عندهم هو اشتهاى الرائحة وانفصال أجزاء من السقيم الى الصحيح وليس اذا كان غير هذا عدوى عند قوم ما يوجب أن لا يكون هذا أيضاً عدوى ٠٠ ولما حكى عن غيره تأويلاً صحيحاً في قوله عليه الصلاة والسلام لا يوردن ذو عاهة على مصح ادعى ان العيان يدفع وأي عيان معه ونحن نجد كثيراً ممن يخالط الجربى فلا يجرب ونجد أبلاً صحاحاً يخالط ذوات العاهات فلا يصبغها شئ من أدوائها فكأنه انما يدعى ان العيان يدفع قول النبي صلى الله عليه وسلم فما أعدى الاول ٠٠ والوجه عندنا في قول النبي عليه الصلاة والسلام لا يوردن ذو عاهة على مصح أنه عليه الصلاة والسلام انما يهي

عن ذلك وان لم يكن مؤثراً على الحقيقة لأن فاعله كالدخل الضرر على غيره لأن من اعتقد ان ذلك يعدي ويؤثر فأورد على ابله فلا بد من أن يلحقه لما تقدم من اعتقاده ضرر وغم ولا بد من أن يذم من عامله بذلك فكأنه عليه الصلاة والسلام نهى عن أذي الناس والتعرض لذمهم وقد يجوز أيضاً فيه ما حكاه ابن قتيبة عن غيره مما لم يرتضه من أنهم متى ظنوا ذلك أنموا فنهى عليه الصلاة والسلام عن التعرض لما يؤثم . . . ولو نقل ابن قتيبة مقاله عليه الصلاة والسلام في الطاعون اذا كان بهلداً فلا تدخلوه وأمره لمن شكى اليه بالنحول عنها الى ههنا لكان قد أصاب لأنه حمل ذلك على أن نخبئ البلد أسكن للنفس وأطيب للعيش وكذلك الدار فهذا يمكن في قوله عليه الصلاة والسلام لا يوردن ذرعا على مصح بعينه . . . فأما قوله عليه الصلاة والسلام فر من المجذوم فرارك من الاسد فليس فيه ان ذلك لأجل العدوى وقد يمكن أن يكون لأجل نتن ربحه واستقذاره ونفور النفس منه وان ذلك ربما دعى الي تعبيره والازراء عليه وامتناعه عليه الصلاة والسلام من ادخال المجذوم عليه ليلابعه يجوز أيضاً أن يكون الغرض فيه غير العدوي بل بعض الاسباب المانعة التي ذكرنا بعضها . . . وأما حديث الطاعون والقول فيه على مقاله وقد كان سبيله لما عول في عدوى الجذام والجرب على قول الاطباء أن يرجع أيضاً الى أقوالهم في الطاعون لأنهم يزعمون ان الطاعون الذي يمرض من تغير الأهوية وما جرى مجراها يعدي كعدوى الجرب والجذام والعيان الذي ادعاه ليس هو أكثر من وجوده من يجرب أو يجذم للخالطة من كان بهذه الصفة وهذا العيان موجود في الطاعون فانا نرى عموماً لمن يسكن البلد الذي يكون فيه وبطراً اليه . . . فاما الخبر الذي يتضمن ان الشؤم في المرأة والدار والدابة فاذى ذكره من الرواية في معناه يزيد الشبهة به على أنه لو لم يكن ههنا رواية في تأويله جاز أن يحمل على أن الذي يتطير به المنطعمون وبدعون الشؤم فيه هو المرأة والدار والدابة ولا يكون ذلك انبأاً للطيرة والشؤم في هذه الاشياء بل على طريق الاخبار بان الطيرة الثابتة انما هي فيها لقوة أمرها عند أصحاب الطيرة . . . وما ذكره بعد ذلك في الدار وأمره عليه الصلاة والسلام بانتقاله عنها تأويل قريب وقد كان يجب أن يهتدى اليه مما تقدم

وما التوفيق الا من عند الله العزيز الحكيم

مجلس آخر ٦٩

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن تأويل قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب) الآية .. فقال أوليس ظاهر هذا الكلام يقتضي جواز الحجاب عليه تعالى وأنتم تفتنون من ذلك .. الجواب قلنا ليس في الآية أكثر من ذكر الحجاب وليس فيها أنه حجاب له تعالى ولحل كلامه أولن يكلمه واذا لم يكن في الظاهر شيء من ذلك جاز صرف الحجاب الى غيره عز وجل مما يجوز أن يكون محجوباً فقد يجوز أن يريد تعالى بقوله أو من وراء حجاب أنه يفعل كلاماً في جسم محتجب عن المتكلم غير معلوم له على سبيل التفصيل فيسمع المخاطب الكلام ولا يعرف محله على طريق التفصيل فيقال على هذا هو متكلم من وراء حجاب .. وروى عن مجاهد في قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً) قال هو داود عليه السلام أوحى في صدره فزبر الزبور أو من وراء حجاب وهو موسى عليه السلام أو رسله رسولا وهو جبريل عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم .. فاما أبو علي الجبائي فانه ذكر ان المراد بالآية (وما كان لبشر أن يكلمه الله) الا مثل ما يكلم به عباده من الأمر بطاعته والنهي لهم عن معاصيه وتنبئهم اياهم على ذلك من جهة الخاطر أو المنام أو ما أشبه ذلك على سبيل الوحي .. قال وانما سمي الله ذلك وحياً لأنه خاطر وتنبئ وليس هو كلاماً لهم على سبيل الافصاح كما يفصح الرجل منا لصاحبه اذا خاطبه والوحي في اللغة انما هو ما جرى مجرى الايام والتنبئ على شيء من غير أن يفصح به فهذا هو معنى ما ذكره الله تعالى في الآية .. قال وعنى بقوله (أو من وراء حجاب) أى يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه الا من يريد أن يكلمه به نحو كلامه لموسى عليه السلام لأنه حجب ذلك عن جميع الخلق الاموسى وحده في كلامه اياه أولاً فاما كلامه اياه في المرة الثانية فانه انما أسمع ذلك موسى عليه السلام والسبعين الذين كانوا معه

وحجبه عن جميع الخلق سواهم فهذا هو معنى قوله عز وجل (أو من وراء حجاب) لأن الكلام هو الذى كان محبوباً عن الناس .. وقد يقال انه تعالى حجب عنهم موضع الكلام الذى أقام الكلام فيه فلم يكونوا يدرون من أين يسمعون لأن الكلام عرض لا يقوم الا فى جسم ولا يجوز أن يكون أراد تعالى بقوله (أو من وراء حجاب) ان الله تعالى كان (من وراء حجاب) يكلم عباده لأن الحجاب لا يجوز الأعلى الاجسام المحدودة .. قال وعنى بقوله (أو يرسل رسولا فيوحى بأذنه ما يشاء) ارسله ملائكة بكتبه وكلامه الى أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ليأخووا عنه ذلك عباده على سبيل ازاله القرآن علي محمد صلى الله عليه وسلم وازاله سائر الكتب على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام فهذا ضرب من الكلام الذى يكلم الله تعالى عباده ويأمرهم فيه بطاعته وينهاهم عن معاصيه من غير أن يكلمهم على سبيل ما كلم به موسى عليه السلام وهذا الكلام هو خلاف الوحي الذى ذكره الله تعالى فى أول الآية لأنه قد أفصح تعالى لهم فى هذا الكلام بما أمرهم به ونهاهم عنه والوحى الذى ذكره تعالى فى أول الآية انما هو تنبيه وخطر وليس افصاح وهذا الذى ذكره أبو على أيضاً شديد والكلام محتمل لما ذكره .. ويمكن فى الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بالحجاب البعد والخفاء ونفى الظهور وقد تستعمل العرب لفظ الحجاب فيما ذكرناه فيقول أحدهم لغيره اذا استبعد فهمه واستبطاً فطنته بينى وبينك حجاب وتقول للأمر الذى تستبعده وتستصعب طريقه بينى وبين هذا الامر حجاب وموانع وسواتر وما جرى مجرى ذلك فيكون معنى الآية انه تعالى لم يكلم البشر الا وحيّاً بان يخطر فى قلوبهم أو بان ينصب لهم أدلة تدلهم على ما يريد أو يكرهه منهم فيكون من حيث نصبه للدلالة على ذلك والارشاد اليه مخاطباً ومكماً لا مباد بما يدل عليه وجعل تعالى هذا الخطاب من وراء حجاب من حيث لم يكن مسموعاً كما يسمع الخطر وقول الرسول ولا ظاهراً معلوماً لكل من أدركه كما أن أقوال الرسل المؤذين عنه تعالى من الملائكة بهذه الصفة فصار الحجاب هناك كناية عن الخفاء وغيره مما يدل عليه الدلالة وليس لأحد أن يقول ان الذى يدل عليه الاجسام هو من صفاته تعالى وأحواله ومراده ولا يقال انه تعالى متكلم لذاته وذلك انه غير ممنوع

على سبيل التجوِّز أن يقال انه تعالى يدل عليه الدليل الذي نصبه الله تعالى ليدل على مراره ويرشد اليه انه مكلم لنا ومخاطب ولهذا لا يمتنع المسلمون من أن يقولوا انه تعالى خاطبنا بما دلت عليه الأدلة العقلية وأمرنا بعبادته واجتناب ما كرهه منا وفعل ما أَرَادَهُ وهكذا يقولون فيمن فعل فعلاً يدل على أمر من الامور قد خاطبنا فلان بما فعل كذا بكذا وكذا وقال لنا وأمرنا وزجرنا وما أشبه ذلك من الالفاظ التي يجرونها على الكلام الحقيقي وهذا الاستعمال أكثر وأظهر من أن نورد أمثاله ونظائره

[قال الثوري المرتضي رضى الله عنه ومن مستحسن ما قيل في الذئب قول أسماه بن

خارجة بن حصن الفزارى

وَلَقَدْ أَلَمْتُ بِنَا لِنُقْرِيبُهُ	بَادِي الشَّعَاءِ مُخَارِفُ الْكُسْبِ
يَذْعُو الْغِنَا أَنْ نَالَ عُلُقَتُهُ	مِنْ مَطْعَمٍ غَبَاً إِلَى غَبٍّ
وَطَاوَيْتُ ثَمِيلَتَهُ وَالْحَقَّهَا	بِالصُّلْبِ بَعْدَ لُدُونَةِ الصُّلْبِ
يَا ضَالَّ سَعْيِكَ مَا صَنَعْتَ بِهَا	جَمَعْتَ مِنْ شَبٍّ إِلَى دَبٍّ
لَوْ كُنْتُ ذَائِبٌ تَعِيشُ بِهِ	لَفَعَلْتَ فِعْلَ الرَّءِذِيِّ اللَّبِّ
وَجَمَعْتَ صَالِحَ مَا اخْتَرَفْتَ وَمَا	جَمَعْتَ مِنْ نَهَبٍ إِلَى نَهَبٍ
وَأُظْنُهُ شَغْبًا تَدِلُ بِهِ	فَلَقَدْ مُنِيتَ بِنِغَايَةِ الشَّغْبِ
إِذْ كَانَ غَيْرَ مَنْصِلٍ تَعْصِي بِهَا	مَشْجُودَةً وَرَكَائِبَ الرُّكْبِ
فَاغْمِذْ إِلَى أَهْلِ الْوَقِيرِ فَمَا	يُخْشَاكَ غَيْرُ مَقْرَمَةِ صِ الدَّرْبِ
أَحْسَبْتَنَا مِمَّنْ تَطِيفُ بِهِ	فَاخْتَرَبَهَا لِلْأَمْنِ وَالْخِصْبِ
وَبَغِيرِ مَعْرِفَةٍ وَلَا سَبَبٍ	أَنْتِي وَشِعْبُكَ أَيْسَ مِنْ شِعْبِي
لَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ نَافِعُهُ	جَدُّ تَهَاوُنَ صَادِقِ الْأَرْبِ

والحَّ إِنْصَاحًا لِحَاجَتِهِ شَكَوَى الضَّرِيرُ وَزَجَرَ الْكَابِرَ
 بِأَدِي التَّكْلِخِ يَشْتَكِي سَغْبًا وَأَنَا بِنُ قَاتِلِ شِدَّةِ السَّغْبِ
 فَرَأَيْتُ أَنْ قَدْ نَلْتُهُ بِأَذَى مِنْ بَعْدِ مَثَلَةٍ وَمِنْ سَبِّ
 وَرَأَيْتُ حَقًّا أَنْ أُضِيفَهُ إِذْ أُمُّ سَلَمَى وَأَنْتَ حَزْبِي
 فَوَفَّقْتُ مُعْتَمَا أَزَاوِلَهَا بِمُهْنَدٍ ذِي رَوَاقٍ عَضْبِ
 فَعَرَضْتُهُ فِي سَاقِ أَسْمَنِهَا فَأَحْتَادَ بَيْنَ الْحَاذِ وَالْكَعْبِ
 فَتَرَكْتُهَا لِعِمَالِهِ جَزْرًا عَمْدًا وَعَلَّقَ رَحْلَهَا صَحْبِي

ذكر ذنباً طرقة ليلاً . . وقوله - محارف الكعب - مثل ضربه أى لا يبقى له نشب الا
 شئ يكتبه . . وقوله - يدعو الغنا ان نال علقته - أى ان وجد ما يتعلق به من معلم
 - غباً الى غب - أى من يومين فذلك عنده الغنا - والغبلة - ما يبقى في البطن من طعام
 أو علف . . ومعنى طوي نميلته ذهب بها وأراد انه لم يبق في بطنه مما يسكه - واللدونة -
 اللين فأراد انه ألحق بقية طعامه بصاحبه بعد أن لان ما صاب منها ثم أقبل على الذئب
 كالعاذل له فقال ما صنعت بما جمعت من شب الى دب وهذان إسمان للشباب والهرم
 لا يفردان ولا يلفظ بهما الا هكذا . . والمعنى فيهما هو مذ كنت شاباً الى أن دببت على
 العصا ثم قال له لو كنت ذالبا لجمعت ما تصيبه . . ومعنى - احترفت - اكتسبت . . ومعنى -
 من نهب الى نهب - أى من عدوتك على الغنم الى العدو الاخرى . . ثم قال ان كان
 تعرضك شعباً علينا فقد منيت بغاية الشعب أى اننا ننفرك ونقاتلك وليس ههنا ما تغبر
 عليه وإنما معنا - مناصلة - أى سيوف مشحونة وركائبنا التى نمنطها فاعمد الى أهل الوقيبر
 - والوقيبر - الفطيع من الغنم ولا يسمى وقبراً الا اذا كان فيه حمار يقول فعليك بمواضع
 الغنم فانما بخشاك الراعى - المقرص - الذى يتخذ القرموصة واصله المكان المضيق وهو
 ههنا حفيرة يخترها الراعى في الرمل من شدة الحر للشاة الكريمة العنيفة حتى اذا بركت
 كان ضرعها فى القرموصة . . ومعنى - شعبك ليس من شعبي - أى لست من جلى ولا

شكلى - والأرب - الخديعة عند الحاجة - وشكوى - الضرير الذى قد مسه الضر - ومزجر الكلب - أى هو منا قريب المكان بقدر مزجر الكلب اذا زجرته أى اذا خسأته لدى جنائته - والسنب - الجوع . . وأراد بقوله - وأنا ابن قاتل شدة السنب - أى أنا ابن من كان يقري ويعطى . . ثم رجع فقل رأيت بعد ماسبيته وغضضته بالأذى والعدم ان أضيفه وأقربه لأنه ضيف وان كان دنيئاً فوقفت أنظر في ركائبى وأختار أسـ منها والاعتيام الاختيار وأزاوها ألبسها - والحاذان - جدّ الثغذين اللذين يلبان الذئب وخبر أن رحله المطية الذى عقرها علقه بعض أصحابه على مطية أخرى . . وقال النجاشى بد كر ذئباً

وَمَاءُ كُلِّ وَفَسْلٍ قَدْ عَادَا أَجْنَا قَلِيلٌ بِهِ الْأَصْوَاتُ فِي بَلَدٍ مَحَلٍّ ^(١)
وَجَدْتُ عَلَيْهِ الذَّيْبُ يَعْوِي كَأَنَّهُ خَلِيعٌ خَلَامَنَ كُلِّ مَالٍ وَمِنْ أَهْلِ ^(٢)
فَقُلْتُ لَهُ يَا ذَيْبُ هَلْ لَكَ فِي فَنِي يُوْاسَى بِلَا مَنِّ عَلَيْكَ وَلَا يُجَلِّ ^(٣)
فَقَالَ هَذَاكَ اللَّهُ لِلرُّشْدِ إِنَّمَا دَعَوْتُ لِمَا لَمْ يَأْتِهِ سَبْعُ قَبْلِي ^(٤)

(١) قوله - وماء كلون الفسل - الخ الواو في وماء واو رب والفسل بكسر الفين المعجمة ما يفسل به الرأس من صدر وخطمى ونحو ذلك . . يريد أن ذلك الماء كان متغير اللون من طول المكث مخضراً ومصفراً ونحوها - والآن - البلد وكسر الجيم الماء المتغير الطعم واللون . . وقوله - قليل به الأصوات - يريد أنه قفر لا حيوان فيه - والبلد - الارض والمكان - والحل - الجرب وهو انقطاع المطر ويس الارض من الكلال

(٢) قوله - كأنه خليع - الخليع الذى خلعه أهله لجباياته وتبرؤا منه

(٣) قوله - فقلت له يا ذئب هل لك - الخ يقول هل لك فى أخ يعنى نفسه يواسيك

من طعمه بغير من ولا بخل

(٤) قوله - فدل هذاك الله - أى فقال له الذئب قد دعوتى الى شئ لم يفعله السباع قبل من مؤاكلة بنى آدم وهذا لا يمكنى فعله ولست بآتيه ولا أستطيعه ولكن ان كان في مائك الذى معلق بضلعى عما يحتاج اليه فاستنى منه وهذا الكلام وضعه النجاشى على

فَلَسْتُ بِآتِيهِ وَلَا أَسْتَطِيعُهُ وَلَاكِ أَسْفَنِي إِنْ كَانَ أَوَّلَكَ ذَا فَضْلٍ^(١)
 فَقُلْتُ عَلَيْكَ الْحَوْضَ إِنِّي تَرَكْتُهُ فِي صَفْوِهِ فَضْلُ الْقُلُوصِ مِنَ السَّجْلِ^(٢)
 فَطَرَبَ يَسْتَمْعِي ذُنَابًا كَثِيرَةً وَعَذْتُ وَكُلُّ مَنْ هَوَاهُ عَلَى شَغْلٍ

وروى أن الفرزدق نزل بالغريين فعراه بأعلى ناره ذئب فابصره مقعياً يصي وموع الفرزدق
 مسلوخة فرمي إليه بيد فاكلها فرمي إليه بما بقي فأكله فلما شبع ولّى عنه فقال

وَلَيْلَةَ بَنَّا بِالْغَرِيَيْنِ ضَافَنَا عَلَى الزَّادِ مَوْثِي الذِّرَاعَيْنِ أُطْلِسُ
 تَلَمَّسْنَا حَتَّى أَتَانَا وَلَمْ يَزَلْ لَدُنْ فَطَمَتُهُ أُمُّهُ يَتَلَمَّسُ
 فَلَوْ أَنَّهُ إِذْ جَاءَنَا كَانَ دَانِيَا لِأَلْبَسْتُهُ لَوْ أَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ
 وَلَكِنْ تَنَحَّأَ جَنَبَةً بَعْدَ مَا دَنَا فَكَانَ كَقَابِ الْقَوْسِ أَوْ هُوَ أَنْفَسُ

لسان الذئب كأنه اعتقد فيه أنه لو كان ممن يعقل أو يتكلم لقال هذا القول وأشار بهذا
 إلى تعسفه للأفلاط التي لاماء فيها فيهدى الذئب إلى مظلانه فيها لاعتباده لها

[١] قوله - فلست بآتيه - الخ البيت يستشهد به النحويون على أن حذف النون من
 لكن لا لبقاء الساكنين ضرورة تشبهاً بالتنوين أو بحرف المد واللين من حيث كانت
 ساكنة وفيها غنة وهي فضل صوت في الحرف كما أن حرف المد واللين ساكن والمد فضل
 صوت وكذا أورد سيبويه في باب ضرورة الشعر من أول كتابه قال الاعلم حذف النون
 لا لبقاء الساكنين ضرورة لإقامة الوزن وكان وجه الكلام أن يكسر لا لبقاء الساكنين
 بما في الحذف بحرف المد واللين إذا سكنت وسكن ما بعدها نحو يغزو العدو ويقضي
 الحق ويخشي الله

[٢] قوله - فقلت عليك الحوض - الخ عليك اسم فعل بمعنى ألزم والحوض مفعوله
 - والصغور - بفتح الصاد المهملة وكسرها وسكون الفين المعجمة الجانب المائل - والسجل -
 بفتح السين المهملة وسكون الجيم الدلو العظيمة - وطرب - في صوته بالشديد رجعه ومداه

فَقَاسَمْتُهُ نَصْفَيْنِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بَقِيَّةَ زَادِي وَالرَّكَابِ نُسُيُ
وَكَانَ ابْنُ لَيْلَى إِذْ قَرَى الذَّنْبَ زَادَهُ عَلَى طَارِقِ الظُّلَمَاءِ لَا يَتَمَسَّسُ
وَلَا بَنَ عُنُقَاءِ الْفَزَارَى وَاسْمُهُ قَيْسُ بْنُ نَجْرَه وَقِيلَ نَجْرَةٌ بِالضَّمِّ الْإِبْيَاتُ الْمَشْهُورَةُ فِي الذَّنْبِ وَهِيَ
وَأَعْوَجَ مِنْ آلِ الصَّرِيحِ كَأَنَّهُ بَذَى الشَّبْتِ سَيْدَ آخِرِ اللَّيْلِ جَائِعُ
بَنَى كَسْبَهُ أَطْرَافَ لَيْلٍ كَأَنَّهُ وَلَيْسَ بِهِ ضَلْعٌ مِنَ الْخَمْسِ ظَالِعُ
فَلَمَّا تَنَاهَ الرِّزْقُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ جَنُوبَ الْمَلَأِ وَأَيَّاسْتُهُ الْمَطَامِعُ
طَوَى نَفْسَهُ طَيِّ الْحَرِيرِ كَأَنَّهُ حَوَى حَيَّةً فِي رُبُوعَةٍ فَهُوَ هَاجِعُ
فَلَمَّا أَصَابَتْ مِنْهُ الشَّمْسُ حَكَّهُ بَأْغَضَلٍ فِي أُنْيَا بِهِ الشَّمُّ نَاقِعُ
وَفَكَكَ لِحْيَتَهُ فَلَمَّا تَعَادَا صَامَى ثُمَّ أَقْفَى وَالْبِلَادُ بِلَاقِعُ
وَهُمْ بِأَمْرِ ثُمَّ أَرْمَعَ غَيْرُهُ وَإِنْ ضَاقَ رِزْقٌ مَرَّةً فَهُوَ وَاسِعُ
وَعَارَضَ أَطْرَافَ الصَّبَا فَكَأَنَّهُ رِجَاعُ غَدِيرِ هَزَّةِ الرِّيحِ رَائِعُ

وَلَا خَرَفَ فِي الذَّنْبِ

فَقُلْتُ تَعْلَمُ أَنَّنِي غَيْرُ نَائِمٍ إِلَى مُسْتَقَلٍّ بِالْحَبَابَةِ أَنْبِيَا
بَعِيدُ الدَّطَافِ لَا يُفِيدُ عَلَى الْغِنَا وَلَا يَأْتِي مَا اسْتَطَاعَ إِلَّا تَكْسِبَا

معنى - أنيب - غليظ الثياب - لأنام إليه - أي لا أنق به من ذلك استأنمت إلى فلان
إذا اطمانت إليه . . ومعنى - لا يفيد على الغنا - أي لا يلتبس مطعما وهو شعبان
. . ولحميد بن ثور في الذَّنْبِ

فَظَلَّ يُرَاعِي الْجَيْشَ حَتَّى تَغَيَّيَتْ خَبَاشٌ وَحَالَتْ دُونَهُنَّ الْأَجَارِعُ
إِذَا مَا غَدَا يَوْمًا رَأَيْتَ غَيَاةَ مِنَ الطَّيْرِ يَنْظُرُونَ الَّذِي هُوَ صَانِعٌ^(١)

[١] قوله - رأيت غياة - الخ . . الغياة بفتح الغين المعجمة وبياثين آخر الحروف

(١٦ - مالى رابع)

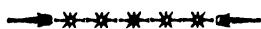
خَفِيفُ الْمِيعَا إِلَّا مَصِيرًا يَبْلُهُ دَمُ الْجَوْفِ أَوْ سَوْرُ مَنْ الْحَوْضِ نَاقِعُ
هُوَ الْبَعْلُ الَّذِي مِنَ النَّاسِ كَالَّذِي لَهُ صُحْبَةٌ وَهُوَ الْعَدُوُّ الْمُنَازِعُ
يَنَامُ بِالْحَدِي مُقْلَتِهِ وَيَتَّقِي بِأُخْرَى الْمَنَايَا فَمَوْ يَقْظَانُ هَاجِعُ^(١)

مُخَفَّفِينَ وَهِيَ كُلُّ شَيْءٍ أَظْلَمَ الْإِنْسَانُ فَوْقَ رَأْسِهِ مِثْلُ السَّحَابَةِ وَالْقُبْرِ وَالظَّالِمَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ
[١] قَوْلُهُ - يَنَامُ بِالْحَدِي مُقْلَتِهِ - الْحُ يَنَامُ خَبْرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ أَيُّ هُوَ يَنَامُ وَالْبَاءُ
فِي بِالْحَدِي يَتَعَلَّقُ بِهِ . . . وَقَوْلُهُ يَتَّقِي عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ يَنَامُ وَبِأُخْرَى يَتَعَلَّقُ بِهِ وَالْمَنَايَا مَفْعُولٌ
يَتَّقِي وَيُرْوَى وَيَتَّقِي بِأُخْرَى الْإِعَادِي . . . وَقَوْلُهُ فَمَوْ مُبْتَدَأٌ وَقَوْلُهُ يَقْظَانُ خَبْرُهُ وَهَاجِعُ
خَبْرٌ بَعْدَ خَبْرٍ وَيُرْوَى يَقْظَانُ نَأَمٌ لَكِنَّهُ يَخَالِفُ أَيْبَاتِ الْقَصِيدَةِ فَالْمَعْنَى هُوَ حَذَرُ أَوْ هُوَ
هَاجِعٌ بَيْنَ الْيَقِظَةِ وَالْمَجْعُوعِ . . . وَالْأَيْبَاتُ مِنْ قَصِيدَةِ أَوْهَا

إِذَا نَالَ مِنْ بَهْمِ النِّخِيلَةِ غَرَّةً عَلَى غَفَلَةٍ فَيَا بَرِي وَهُوَ طَالِعٌ
تَلُومٌ وَلَوْ كَانَ ابْنُهَا أَفْرَحَتْ بِهِ إِذَا هَبَّ أَرْوَاحُ الشَّيْءِ الزَّعَازِعِ
فَقَامَتْ تَعَشَى سَاعَةً بِمَانِعِيَّتِهَا مِنَ الدَّهْرِ قَامَتْهَا الْكَلَابُ الْغَاوَالِغُ
رَأَتْهُ فَشَكَّتْ وَهُوَ أَطْحَلُ مِثْلِ إِلَى الْأَرْضِ مِثْنَى إِلَيْهِ الْكَارِعِ
طَوِي الْبَطْنِ الْإِمْنِ مَصِيرُ بَيْلِهِ دَمُ الْجَوْفِ أَوْ سَوْرُ مَنْ الْحَوْضِ نَاقِعِ
تَرَى طَرَفِيهِ يَمْسِلَانِ كَلَاهِمَا كَمَا اهْتَزَّ عَوْدُ الشَّيْبَةِ الْمُتَتَابِعِ
إِذَا خَافَ جَوْرًا مِنْ عَدُوْرَمَتْ بِهِ قَصَائِدُهُ وَالْجَانِبِ الْمُتَوَاسِعِ
وَأَنْ بَاتَ وَحْشًا لَبْلَةٌ لَمْ يَضُقْ بِهَا ذِرَاعًا وَلَمْ يَصْبِحْ بِهَا وَهُوَ خَاشِعِ
وَيَسْرَى لِسَاعَاتٍ مِنَ اللَّيْلِ قَرَّةً يَهَابُ السَّرَى فِيهَا الْخُضْخُضُ النَّوَازِعِ
وَأَنْ حُدِدَتْ أَرْضٌ عَلَيْهِ فَانَهُ بَعْزَةٌ أُخْرَى طَيْبُ النَّفْسِ قَانِعِ
يَنَامُ بِالْحَدِي مُقْلَتِهِ وَيَتَّقِي بِأُخْرَى الْمَنَايَا فَمَوْ يَقْظَانُ هَاجِعِ
إِذَا قَامَ أَتَى بَوْلُهُ قَدْرَ طَوْلِهِ وَمَدَدَ مَدْنِهِ صَلْبُهُ وَهُوَ تَابِعِ
وَفِيكَ لَحِيهِ فَلَمَّا تَعَادَا صَاى ثُمَّ أَقْبَى وَالْبِلَادُ بِالْقَاعِ
إِذَا مَآغِدِي يَوْمًا رَأَيْتَ غَيَاةً مِنَ الطَّيْرِ يَنْظُرُنَ الَّذِي هُوَ صَانِعِ

هَكَذَا أورد بعض الرواة هذه القصيدة وبعضها مدرج في قصيدة ابن عنقاء الفزائى
وابن عنقاء متأخر عن حميد بن ثور رضى الله عنه

وصف ذنباً يتبع الجيش طمعاً في أن يخلف رجلاً يثب عليه لأنه من بين السباع لا يرغب في القتلي ولا يكاد يأكل إلا مافرسه - وخباش - اسم هضبة ^(١) وقال بعضهم وليس بمعروف أن خباش اسم من أسماء الشمس وأخبر أن الطائر يتبعه لنصيب مما يقتل - والمصير - المعاً ^(٢) - والبعل - الدهش



— مجلاس آخر ۷۰ —

[تأويل آية] ٥٥ ان سأل سائل عن قوله تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) الي قوله (وأنا أول المؤمنين) ٥٥ وقال مفسرنا من أن تكون هذه الآية دالة على جواز الرؤية عليه جل وعلا لأنها لو لم تجز لم يسألها موسى عليه السلام كالأجوز أن يسأل اتخاذ صاحبة والولد ولو كانت الرؤية أيضاً مستحيلة لم يعلقها بأمر يصح أن يقع وهو استقرار الجبل وإذا علمنا صحة استقرار الجبل في موضعه فوجب أن تكون الرؤية أيضاً صحيحة في حكم ما علق به ٥٥ وقوله تعالى (فلما نبأ ربه للجبل) يقتضى جواز الحجاب عليه تعالى لأن النجى هو الظهور وما لا يكونان إلا بعد الاحتجاب والاستتار ٥٥ الجواب قلنا أول ما نقوله انه ليس في مسألة الشيء دلالة على صحة وقوعه ولا جوازه لأن السائل قد يسأل عن الصحيح والحال مع العلم وفقد العلم

[١] قوله - وخباش اسم حضبة وليس بمعروف ان خباش اسم من أسماء الشمس
 • قلت لم تنف على أحد هذين التفسيرين لغيره وذكر ياقوت في المعجم ان خباشة بالخاء
 المهملة سوق من أسواق العرب في الجاهلية وفيه أيضاً في باب الخاء المعجمة خباش فحل
 ليني بشكر بالجماعة

[٢] قوله - والمصير المعاء - ووزنه فعيل والجمع مصران مثل رغيف ورغاف والمصارين جمع الجمع وميمه أصلية ٠٠ وقال بعضهم مصير انما هو مفعول من صار اليه الطعام وانما قالوا مصران كما قالوا في مسيل الماء مسلان شبهوا مفعلا بفعيل ٠٠ وقوله - نافع - بالنون من نفع الماء العطش نقوطا أى سكنه

والاضراض مختلفة فلا دلالة في ظاهر مسئله الرؤية على جوازها ولاصحابنا عن هذه المسئلة أجوبة ٠٠ منها وهو الأولى والأقوى أن يكون موسى غايه السلام لم يسأل الرؤية لنفسه وإنما سألها لقومه فقد روى أنهم طلبوا ذلك منه والنسوة فاجابهم باتها لا تجوز عليه تعالى فلم يقتنعوا بجوابه وآثروا أن يرد الجواب من قبل ربه تعالى فوعدهم ذلك وغلب في ظنه أن الجواب اذا ورد من جهته جل وهن كان أحسن للشبهة وأبلغ في دفعها عنهم فاختر السبعين الذين حضروا الميقات ليكون سؤاله بحضور منهم فيعرفوا ما يرد من الجواب فسأل وأجيب بما يدل على أن الرؤية لا تجوز عليه تعالى ويقوي هذا الجواب أشياء ٠٠ منها قوله تعالى (يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء) الآية ٠٠ ومنها قوله تعالى (واذ قلتم يا موسى ان تؤمن لك حتى ترى الله جهرة) الآية ٠٠ ومنها قوله تعالى (فلما أخذتهم الرجفة قال رب) الآية لأن إضافة ذلك الى السفهاء تدل على أنه كان بسببهم ومن أجابهم ولأنهم سألوا ما لا يجوز عليه تعالى ٠٠ ومنها ذكر الجهرة في الرؤية وهي لا تليق الا برؤية البصر دون العلم وهذا يقوي ان الطالب لم يكن للعلم الضروري على ما سند كره في الجواب الثاني ٠٠ ومنها قوله (انظر اليك) لأننا اذا حملنا الآية على طلب الرؤية لقومه أمكن أن يحمل قوله أنظر اليك على حقيقة واذا حملت الآية على طلب العلم الضروري احتيج الى حذف في الكلام ويصير تقديره أرني أنظر الى الآيات التي عندها أعرفك ضرورة ٠٠ ويمكن في هذا الوجه الاخير خاصة أن يقال اذا كان المذهب الصحيح عنكم هو ان النظر على الحقيقة غير الرؤية فكيف يكون قوله تعالى أنظر اليك حقيقة في جواب من حمل الآية على طالب الرؤية لقومه ٠٠ فان قائم لا يتمتع إن يكونوا التمسوا الرؤية التي يكون معها النظر والتعديق الى الجهة فسأل عليه الصلاة والسلام على حسب ما طابوا ٠٠ قيل لكم هذا ينتقض فرقكم في هذا الجواب بين سؤال الرؤية وبين سؤال جميع ما يستحيل عليه من الصاحبة والولد وما يقتضى الجسمية بان تقولوا الشك في الرؤية لا يمنع من معرفة السمع والشك في جميع ما ذكر يمنع من ذلك لأن الشك الذي لا يمنع من معرفة صحة السمع إنما هو في الرؤية التي لا يكون معها نظر فلا يقتضى التشبيه ٠٠ فان قائم الذي يمنع من معرفة السمع إنما يحمل ذكر النظر

فيه على أن المراد به نفس الرؤية على سبيل المجاز لان من عادة العرب أن يسموا الشيء باسم الطريق اليه وما قاربه ودائه .. قلنا فكأنكم عدلتم من مجاز الى مجاز فلا قوة في هذا الوجه والوجود التي ذكرناها في تقوية هذا الجواب المتقدمة أولى وليس لاحد أن يقول لو كان عليه الصلاة والسلام انما سأل الرؤية لقومه لم يضاف السؤال الى نفسه فيقول أرني أنظر اليك ولا كان الجواب مختصاً به وهو قوله تعالى (لن تراني) وذلك لأنه غير ممنوع وقوع الاضافة على هذا الوجه مع ان المسئلة كانت من أجل الغير إذ كانت هناك دلالة تؤمن من اللبس وتزيل الشبهة .. فلماذا يقول أحدنا اذا شفع في حاجة غيره للمشفوع اليه أسئلك أن تفعل بي كذا وكذا ونحبيبي الى كذا وكذا ويحسن أن يقول المشفوع اليه قد أجبتك وشفعتك وما جرى مجرى ذلك وانما حسن هذا لأن للسائل في المسئلة اغراضاً وان رجعت الى الغير فتحققه بها وتكلفه كتمكلفه اذا اختصه ولم يبعده .. فان قيل كيف يجوز منه عليه الصلاة والسلام مع علمه باستحالة الرؤية عليه تعالى أن يسأل فيها لقومه ولئن جاز ذلك ليجوزن أن يسأل لقومه سائر ما يستحيل عليه تعالى من كونه جسماً وما أشبهه متى شكوا فيه .. قلنا انما صح ما ذكرناه في الرؤية ولم يصح فيما سألت عنه لأن مع الشك في جواز الرؤية التي لا يقتضى كونه جسماً يمكن معرفة السمع وانه تعالى حكيم صادق في اخباره فيصح أن يعرفوا بالجواب الوارد من جهته تعالى استحالة ما شكوا في صحته وجوازه ومع الشك في كونه جسماً لا يصح معرفة السمع فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم .. وقد قال بعض من تكلم في هذه الآية قد كان جائزاً أن يسأل موسى عليه السلام لقومه ما يعلم استحالة عليه وان كانت دلالة السمع لا تثبت قبل معرفته متى كان المعلوم ان في ذلك صلاحاً للكافرين في الدين وان ورود الجواب يكون لطفاً لهم في الغفر في الادلة وإصابة الحق منها غير أن من أجاب بذلك شرط أن يتبين في مسئلة علمه باستحالة ما سأل عنه وان غرضه في السؤال ورود الجواب ليكون لطفاً .. والجواب الثاني في الآية أن يكون موسى عليه السلام انما سأل ربه أن يعلمه نفسه ضرورة باظهار بعض أعلام الآخرة التي تضرطه الى المعرفة فتزول عنه الدواعي والشكوك والشبهات ويستغني عن الاستدلال فتخفف المحنة عليه بذلك كما سأل

ابراهيم عليه السلام ربه تعالى أن بره كيف يحى الموتى طلباً للتخفيف عليه بذلك وان كان قد عرف ذلك قبل أن يراه والسؤال ان وقع بلفظ الرؤية فان الرؤية تفيد العلم كما يفيد الادراك بالبصر وذلك أظهر من أن يستدل عليه أو يستشهد به فقال له جـ ل وعز (لن ترانى) أي لن تعلمنى على هذا الوجه الذى التمسته منى ثم أكد تعالى ذلك بان أظهر في الجبل من آياته وعجائبه ما دلّ به على ان اظهار ما تقوم به المعرفة الضرورية في الدنيا مع التكليف وبيانه لا يجوز وأن الحكمة تمنع منه . . والوجه الأول أوليها ذكرناه من الوجود ولأنه لا يخلو موسى عليه السلام من أن يكون شاكا في أن المعرفة ضرورية لاتصح حصولها في الدنيا أو علما بذلك فان كان شاكا فهذا مما لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم لأن الشك فيما يرجع الى اصول الديانات وقواعد التكليف لا يجوز عليهم سلام الله عليهم لاسيما وقد يجوز أن يعلم ذلك على الحقيقة بعض أمتهم فيزيد عليهم في المعرفة وهذا أباح في التنفير عنهم من كل شئ يمنع منه فيهم وان كان علما فلا وجه لسؤاله الا أن يقال انه سأل لقومه فيعود الى معنى الجواب الاول . . والجواب الثالث في الآية ماحكى عن بعض من تكلم في هذه الآية من أهل التوحيد وهو أن قال يجوز أن يكون موسى عليه السلام في وقت مسئلته ذلك كان شاكا في جواز الرؤية على الله تعالى فسأل ذلك ليعلم هل يجوز عليه أم لا قال وليس شك في ذلك بما منع من أن يعرف الله تعالى بصفاته بل يجري مجرى شك في جواز الرؤية على بعض ما لا يرى من الاعراض في أنه غير مخلّ بما يحتاج اليه في معرفته تعالى . . قال ولا يتمتع أن يكون غلظه في ذلك ذنباً صغيراً وتكون التوبة الواقعة منه لأجل ذلك وهذا الجواب يبعد من قبل أن الشك في جواز الرؤية التي لا تقتضي تشبها وان كان لا يمنع من معرفته تعالى بصفاته فان الشك في ذلك لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام من حيث يجوز من بعض من بعثوا اليه أن يعرف ذلك على الحقيقة فيكون النبي صلى الله عليه وسلم شاكا فيه وغيره عارفا به مع رجوعه الى المعرفة بالله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه وهذا أقوى في التنفير وأزيد على كل ماوجب أن يجنبه الأنبياء عليهم السلام . . فان قيل فعن أى شئ كانت توبة موسى عليه السلام على الجوابين المتقدمين . . قلنا أما من ذهب الى أن

المسئلة كانت لقومه فانه يقول انما تاب لأنه أقدم على أن سأل على لسان قومه مالم يؤذن له فيه وليس الانبياء ذلك لأنه لا يؤمن أن يكون الصلاح في المنع منه فيكون ترك اجابته اليه منفراً عنهم ومن ذهب الى أنه سأل المعرفة الضرورية يقول انه تاب من حيث سأل معرفة لا يقتضيها التكليف وعلى جميع الاحوال تكون التوبة من ذنب صغير لا يستحق عليه العقاب ولا الذم والأولى أن يقال في توبته عليه الصلاة والسلام انه ليس في الآية ما يقتضى أن تكون التوبة وقعت من المسئلة أو من أمر يرجع اليها وقد يجوز أن يكون ذلك منه اما لذنوب صغير تقدم تلك الحال أو تقدم النبوة فلا يرجع الى سؤال الله تعالى الرؤيا أو ما أظهره من التوبة على سبيل الرجوع الى الله تعالى واظهار الانقطاع اليه والتعبد منه وان لم يكن هناك ذنب صغير وقد يجوز أيضاً أن يكون الغرض في ذلك مضافاً الى ما قلناه تعليماً وتوقيفاً على ما استعمله وتدعو به عند الشدائد ونزول الاحوال وتنبية القوم الخطئين خاصة على التوبة مما التمسوه من الرؤية المستحيلة عليه تعالى فان الانبياء عليهم السلام وان لم يقع منهم القبيح عندنا فقد يقع من غيرهم ويحتاج في رفع ذلك عنه الى التوبة من الاستقالة . . فاما قوله تعالى (فلما نجلى ربه للجبل) فان النجلى ههنا هو التعريف والاعلام والاطهار لما يقتضى المعرفة كقوله هذا كلام جلي أي واضح ظاهر وكقول الشاعر

تَجَلَّى لَنَا بِالْمَشْرِ فِيهِ وَالْقَنَا وَقَدْ كَانَ عَنْ وَقَعِ الْأَسْنَةِ نَائِيَا

أراد ان تدبره دل عليه حتى علم انه المدبر له وان كان نائياً عن وقع الاسنة فافهم ما أظهره من دلالة فعله على مقام مشاهدته وعبر عنه بأنه نجلى منه . . وفي قوله تعالى للجبل وجهان . . أحدهما أن يكون المراد لأهل الجبل ومن كان عند الجبل فحذف كما قال تعالى (واسأل القرية . . وما بكت عليهم السماء والارض) وقد علمنا انه بما أظهره من الآيات انما دل من كان عند الجبل على أن رؤيته تعالى غير جائزة . . والوجه الآخر أن يكون المعنى للجبل أي بالجبل فأقام اللام مقام الباء كما قال تعالى (آمنت له قبل أن آذن لكم) أي به وكما يقول أخذتك لجرمك أي بجرمك ولما كانت الآية الدالة على منع ما دل فيه انما حلت الجبل وظهرت فيه جاز أن يضاف النجلى اليه وقد استدل

بهذه الآية كثير من العلماء الموحدين على أنه تعالى لا يرى بالأبصار من حيث نفي الرؤية
نفياً عاماً بقوله تعالى (إن تراني) ثم أكد ذلك بأن علق الرؤية باستقرار الجبل الذي
علينا أنه لم يستقر وهذه طريقة للعرب معروفة في تبعيد الشيء لأنهم يعلقونه بما يعلم
أنه لا يكون كقولهم لا كتبتك مأضاء الفجر وطلعت الشمس وكقول الشاعر

إِذَا شَابَ الْغُرَابُ رَجَوْتُ أَهْلِي وَصَارَ الْفَيْرُ كَالْبَيْنِ الْحَلِيبِ

• • • وما يجري هذا المجرى قوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى باج الجبل في سم الخياط
وليس لأحد أن يقول إذا علق الرؤية باستقرار الجبل وكان ذلك في مقدوره تعالى
فيجب أن تكون الرؤية معلقة به أيضاً في مقدوره تعالى بأنه لو كان الغرض بذلك التبعيد
لعلقه بأمر يستحيل كما علق دخولهم الجنة بأمر يستحيل من ولوج الجبل في سم الخياط
وذلك إن تشبيه الشيء بغيره لا يجب أن يكون من جميع الوجوه ولما علق وقوع الرؤية
باستقرار الجبل وقد علم أنه لا يستقر علم نفي الرؤية وما عدا ذلك من كون الرؤية
مستحيلة وغير مقدورة واستقرار الجبل بخلافها خارج عن ماهو الغرض في التشبيه
على أنه إنما علق تعالى جواز الرؤية باستقرار الجبل في تلك الحال التي جعله فيها دكاً
وذلك محال لما فيه من اجتماع الضدين فجرى جواز الرؤية في الاستحالة وليس
يجب في كل معلق بغيره أن يجري مجراه في سائر وجوهه حتى إذا كان أحدهما مع انتفاء
مستحيلاً كان الآخر بمثابة مستحيلاً لأن تعاقب دخول الكفار الجنة إنما علق بولوج
الجبل في سم الخياط ودخول الكفار الجنة لم يكن مستحيلاً بل معلوم أن الأول في
المقدور وإن كان لا يحسن والثاني ليس فيه المقدور وهذه الجملة كافية في تأويل هذه الآية
وبيان ما فيها والحمد لله وحده

[قال الشريف المرتضى رضي الله عنه واني لاستعجيد قول أبي العاص بن خزام

ابن عبد الله بن قتادة المازني

وَكَمْ مِنْ صَاحِبٍ قَدْ بَانَ عَنِّي رُمِيتُ بِفَقْدِهِ وَهُوَ الْحَبِيبُ
فَلَمْ أَبْدِ الَّذِي تَحْتَوِ ضُلُوعِي عَلَيْهِ وَإِنِّي لَأَنَا الْكَذِيبُ

مَخَافَةَ أَنْ يَرَانِي مُسْتَكِينًا عَدُوٌّ لَا يُشَابِهُهُ قَرِيبُ
فَيَسْتَمِتَ كَاشِحٌ وَيَظُنُّ أَنِّي جَزُوعٌ عِنْدَ نَائِبَةِ تَنُوبِ
فَبِعَدِّكَ شَدَّتِ الْأَعْدَاءُ طَرَفًا إِلَيَّ وَرَأَيْتُ دَهْرَهُ مُرِيبُ
مَعْنَى - شَدَّتِ الْأَعْدَاءُ طَرَفًا - أَيْ نَظَرْتُ إِلَى نَظَرٍ شَدِيدٍ أَفْظَرُ الْغَضَبِ مِنْ عَيُونِهَا
وَأَنْكَرْتُ الزَّمَانَ مِنْ كُلِّ أَهْلِي وَهَرَّتْنِي لِنَيْبَتِكَ الْكَلْبُ

يقال كلبٌ وكليبٌ مثل عبدٍ وعبيدٍ

وَكُنْتُ تُقَطِّعُ الْأَبْصَارُ دُونِي وَإِنْ وَغَرَّتْ مِنَ الْغَيْظِ الْقُلُوبُ
وَيَمْتَعْنِي مِنَ الْأَعْدَاءِ أَنِّي وَإِنْ رَغَمُوا لِمَخْشِي مَهِيبُ
فَلَمْ أَرِ مِثْلَ يَوْمِكَ كَانَ يَوْمًا بَدَتْ فِيهِ النُّجُومُ فَمَا تَغِيبُ
وَلَيْلٌ مَا أُنَامُ بِهِ طَوِيلٌ كَأَنِّي لِلنُّجُومِ بِهِ رَقِيبُ
وَمَا يَكُ جَائِيًا لَا بُدَّ مِنْهُ إِلَيْكَ فَسَوْفَ تَجْلِبُهُ الْجُلُوبُ

—*~*~*~*~*~*~*~*~*~*— مجلس آخر ٧١

[تأويل آية] ٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى (واذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها) الى قوله (تعقلون) ٠٠ فقال كيف ذكر تعالى هذا بعد ذكر البقرة والأمر بذبحها وقد كان ينبغي أن يتقدمه لأنه انما أمر الله تعالى بذبح البقرة لينكشف أمر القاتل فكيف آخر تعالى ذكر السبب عن المسبب وبني الكلام بناء يقتضى انه كان بعده ولم قال تعالى (واذ قتلتم نفساً) والرواية وردت بأن القاتل كان واحداً فكيف يجوز أن يخاطب الجماعة بالقتل والقاتل بينها واحد والى أى شئ وقعت الإشارة بقوله تعالى (كذلك يحيى الله الموتى) ٠٠ الجواب قبله أما قوله تعالى (واذ قتلتم نفساً) ففيه وجهان ٠٠ أولهما أن تكون هذه الآية وان تأخرت فهي مقدمة فى المعنى على الآية التى ذكرت فيها البقرة ويكون التأويل واذا قتلتم نفساً فادّارأتم فيها فسأتم موسى عليه السلام فقال لكم ان الله (١٧ - املى رابع)

يأمرهم أن تذبحوا بقرة فأخر المقدم وقدم المؤخر . . . ومثل هذا في القرآن وكلام العرب كثير . . . ومثله (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً) . . . وقال الشاعر
 إِنَّ الْفَرَزْدَقَ صَخْرَةٌ عَادِيَّةٌ طَالَتْ فَلَيْسَ تَنَالُهَا الْأَوْعَالُ ^(١)
 أراد طالت الاوعال فليس تنالها . . . ومثله

طَافَ الْخِيَالُ وَأَيْنَ مِنْكَ لِمَامَا فَارْجِعْ لِرَؤُوسِكَ بِالسَّلَامِ سَلَامَا
 أراد طاف الخيال لماما وأينه منك . . . والوجه الثاني أن يكون وجه تأخير بقوله تعالى
 (واذ قتلتم نفساً) انه معلق بما هو متأخر في الحقيقة وواقع بعد ذبح البقرة وهو قوله
 (١) قوله - طالت فليس تنالها الاوعال - أى طالت الاوعال بمعنى فاقتها في الطول
 يقال طال فلان فهو طويل وقوله على وزن فعل بضم العين المجيء الوصف منه على فعيل
 وهو لازم . . . وأما قولهم إن بشراً قد طلع اليمن ورجبكم الدخول فانهم ما ضمنا معنى
 باع اليمن ووسعكم الدخول وأما طاله ففعل بالفتح ولا يكون بالضم لأن فعل لا يتعدى
 كما تقدم والبيت من هذا النوع قال سيبويه انما صحت الواو في طويل لأنه لم يجيء
 على الفعل لأنك لو بنيت على الفعل قلت طائل وانما هو كفعيل يعنى به مفعول
 وقد جاء على الأصل فاعتل فعله نحو مخيوط فمذا أجدر . . . قال وانما صحت الواو في
 طوال لصحتها في الواحد فطوال من طويل كخوار من حاورت والبيت لسبيح بن رباح
 الزنجي ويقال رباح بن سبيح قاله حين غضب لما قال جرير في الفرزدق

لا تطلبن خزولة من تغلب فالزنج أكرم منهم أخوالا

فقال سبيح أو رباح

الزنج لو لا قيتهم في صفهم لا قيت ثم جعاجعاً أبطالا

مابال كلب بنى كليب سبنا أن لم يوازن حاجباً وعقالا

* ان الفرزدق صخرة عادية الخ * وبهذه الرواية ينسب للأخطا ويدخله في قصيدته
 التي يهجو بها جريراً ومطلعها

كذبتك عينك أم رأيت بواسط غاس الظلام من الرباب خيالا

وذلك غلط

البقرة انما هو بغد الذبح فكأنه تعالى قال (فذبحوها وما كادوا يفعلون) لانكم (قتلتم
نفساً فاذا رآتم فيها) فامرناكم بأن تضربوه ببعضها لينكشف أمره فاما إخراج الخطاب
تعالى (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى) لأن الامر بضرب المقتول ببعض
مخرج ما يتوجه الى الجميع مع أن القتال واحد فعلى عادة العرب في خطاب الأبناء
بخطاب الآباء والاجداد وخطاب العشيرة بما يكون من أحدها فيقول أحدهم فعلت
بنو نعيم كذا وقتل بنو فلان فلاناً وإن كان القتال والفاعل واحداً من بين الجماعة
ومنه قراءة من قرأ (يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) بتقديم المفعولين على
الفاعلين وهو اختيار الكسائي وأبي العباس نعلب فيقتل بعضهم ويقتلون وهو أبلغ في
وصفهم وأمدح لهم اذا قاتلوا وقتلوا بعد أن يقتل بعضهم كان ذلك أدل على شجاعتهم
وقلة جزعهم وحسن صبرهم . . وقد قيل انه كان القتالان اثنين قتلا ابن عم لها فان
الخطاب جرى عليهما بلفظ الجمع كما قال تعالى (وكنا لحكمهم شاهدين) يريد
داود وسليمان عليهما السلام والوجه الاول أولى وأقوى بشهادة الاستعمال الظاهر له
ولأن أكثر أهل العلم أجمعوا على أن القتال كان واحداً . . ومعنى (فاذا رآتم) فتدأروا
أي تدافعتم وألقى بعضهم القتلى على بعض يقال دارأت فلانا اذا دافعت وداريته اذا
لاينته ودريته اذا ختلته ، يقال أدرأ القوم اذا تدافعوا والهاء في قوله فاذا رآتم فيها تعود
الى النفس . . وقيل انها تعود على القتلة أي اختلفتم في القتلة لأن قتلتم تدل على
المصدر والقتلة من المصادر تدل عليها الافعال ورجوع الهاء الى النفس أولى وأشبهه
بالظاهر . . فاما قوله تعالى (كذلك يحيي الله الموتى) فالإشارة وقعت الى قيام المقتول
عند ضربه ببعض أعضائه البقرة لأنه روى أنه قام حياً وأوداجه تشخب دما فقال قتلتني
فلان ونبه الله تعالى بهذا الكلام وبذكر هذه القصة على جواز ما أنكروه مشركو
قريش واستبعدوه من البعث وقيام الاموات لانهم قالوا اذا كنا عظاما ورفانا الآية
فاخبرهم الله تعالى بان الذي أنكروه واستبعدوه هين عليه غير متعذر في إتساع قدرته
وكان مما ضرب تعالى لهم من الامثال ونبههم عليه من الادلة ذكر المقتول الذي ضرب
بعض البقرة فقام حياً وأراد تعالى اني اذا كنت قد أحيت هذا المقتول بعد خروجه
عن الحياة ويأس قومه من عوده وانطواء خبر كيفية قتله عنهم وردده حياً مخاطباً

باسم قاتله فكذلك فاعلموا ان إحياء جميع الاموات عند البعث لا يعجزني ولا يتعذر على وهذا بين لمن تأمله ٠٠ [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه ومن الشعر المشهور بالجلودة في ذم الدنيا والتذكير بمصائبها قول نيشل بن جري يرثي أخاه مالكا

ذُكِرْتُ أَخِي الْمَخُولَ بَعْدَ يَأْسٍ فَهَاجَ عَلَيَّ ذِكْرَاهُ أَشْتِيَا قِي
فَلَا أَنْسَى أَخِي مَا دُمْتُ حَيًّا وَإِخْوَانِي بِأَقْرَبَةِ الْعِتَاقِ
يَجُرُّونَ الْفِصَالِ عَلَى النَّدَايِ بُرُوقَ الْحُزْنِ مِنْ كَنَفِي إِبَاقِ
وَيَغْلُونَ السَّبَاءَ إِذَا أَتَوْهُ بِضُمْرِ الْخَيْلِ وَالشَّوْلِ الْخِنَاقِ
إِذَا اتَّصَلُوا وَقَالُوا يَا آلَ غَوْتٍ وَرَاحُوا فِي الْمُجَبَّرَةِ الرَّقَاقِ
أَجَابَكَ كُلُّ أَرْوَغٍ شَمْرِيٍّ رَخِي الْبَالُ مِنْطِقَ الْخِنَاقِ
أَنَاسُ صَالِحُونَ نَشَأَتْ فِيهِمْ فَأَدَاوَا بَعْدَ الْإِفِّ وَاتِّسَاقِ
مَضُوءَا السَّبِيلِ لِمَ وَلَبِثَتْ عَنْهُمْ وَلَكِنْ لَا مَحَالَةَ مِنْ لِعَاقِ
كَذَا الْإِلْفُ الَّذِي أَذْلَجَنَ عَنْهُ فَجُنُّ وَلَا يَتَوَقُّ إِلَى مَتَاقِ
أَرَى الدُّنْيَا وَمَنْ نَعِمَتْ فِيهَا مُؤَلَّةٌ تَهَيَّأُ لِلْإِنْطِلَاقِ
أَعَاذِلُ قَدْ بَقِيَتْ بَقَاءُ قَيْسٍ وَمَا حَيٌّ عَلَى الدُّنْيَا بِيَاقِ
كَأَنَّ الشَّيْبَ وَالْأَحْدَاثَ تَجْرِي إِلَى نَفْسِ الْفَتَى فَرَسًا سَبَاقِ
فَإِمَّا الشَّيْبُ يُذَرِّكُهُ وَإِمَّا يُلَاقِي حَتْفَهُ فِيمَا يِلَاقِي
فَإِنْ تَكُ لِمَتِي بِالشَّيْبِ أُمْسَتْ شَمِيطَ اللَّوْنِ وَاضِحَةَ الْمَسَاقِ
فَقَدْ أَغْدُوْا بِدَاجِيَةٍ أَرَايَ بِهَا الْمُتَطَاعَاتِ مِنَ الرُّوَاقِ
إِلَيَّ كَأَنَّهُمْ ظُبَاءُ قَهْرٍ بَرُّهُنِي أَوْ يِبَاعِجَتِي فِتَاقِ^(١)

يُرَامِقْنَ الْجِبَالَ بِغَيْرِ وَصْلٍ وَلَيْسَ حِبَالُ وَصْلِي بِالرِّمَاقِ
وَعَهْدُ الْمَانِيَاتِ كَمَهْدِ قَيْنٍ وَفَتَ عَنْهُ الْجَمَاعُ ثُلُ مُسْتَدَاقِ
كَجَلْبِ السَّوءِ يُغِيبُ مَنْ رَأَاهُ وَلَا يَشْفِي الْحَوَائِمَ مِنْ لَمَاقِ
فَلَا يَبْعُدُ مُصَابِي فِي الْمَوَاسِي وَإِشْرَافُ الْمَلَائِكَةِ وَأَنْصِفَاقِ
وَعَبْرَاءُ الْقَتَامِ جَلَوْتُ عَنِّي بِعَجَلِي الطَّرْفِ سَالِمَةَ الْمَاقِ
وَقَدْ طَوَّفْتُ فِي الْآفَاقِ حَتَّى سَنِمْتُ النَّصْبَ بِالْقُلُوصِ الْعِتَاقِ
وَكَمْ فَاسَيْتُ مِنْ سَنَةِ جَمَادٍ تَمَضُّ الْأَحْجَمَ مَا دُونَ الْعِرَاقِ
إِذَا أَفْنَيْتُهَا بَدَلْتُ أُخْرَى أَعْدْتُ شُهُورَهَا عَدَّ الْأَوَاقِ
وَأَفْنَيْتَنِي الشُّهُورُ وَلَيْسَ تَعْنِي وَتَمَدَّادُ الْأَهْلَةِ وَالْمُحَاقِ
وَمَا سَبَقَ الْحَوَادِثُ لَيْثُ غَابِ يَجُرُّ لِعِزِّهِ جُزُرَ الرِّفَاقِ
وَلَا يَبْطُلُ تَعَادِي الْخَيْلُ مِنْهُ فِرَارَ الطَّيْرِ مِنْ بَرْدِ يَمَاقِ

وأحسن حارثة بن بدر الغداني في قوله

يَا بَكْرُ مَا رَاحَ مِنْ قَوْمٍ وَلَا أَتَشْكُرُوا
يَا كَعْبُ مَا طَلَمْتَ شَمْسُ وَلَا غُرُبْتُ

ولأبي العتاهية في هذا المعنى

إِذَا انْقَطَعَتْ عَنِّي مِنَ الْعَيْشِ مُدَّتِي
سَيَعْرُضُ عَنْ ذِكْرِي وَتُنْسَى مَوَدَّتِي
أَجَاكَ قَوْمٌ حِينَ صُرْتُ إِلَى الْفِنَاءِ

إِلَّا وَلِلدَّوْتِ فِي آثَارِهِمْ حَادِي
إِلَّا تُقَرَّبُ أَجَالًا لِمِعَادِ

فَإِنْ بُسِكَاءَ الْبَاكِياتِ قَلِيلُ
وَيَحْدُثُ بِعَدِي لِلْخَالِيلِ خَلِيلُ
وَكُلُّ غَنَى فِي الْعِيُونِ جَلِيلُ

وليس الغنا إلا غني زبن الفتي عشيّة يقرى أو غداة يُنيلُ
ولم يفتقر يوماً وإن كان معدياً جوادٌ ولم يستغن قطُّ بجيلُ
إذا مالت الدنيا إلى المرء رَغِبَتْ إليه ومال الناسُ حيثُ يميلُ
أرى عللَ الدنيا على كثيرة وصاحبها حتى المماتِ عليلُ
وإنِّي وإن أصبحتُ بالموتِ موقناً فلي أملٌ دون اليقينِ طويلُ

وقد أحسن البحترى في قوله في هذا المعنى

أخي متى خاصمتَ نفسك فاحتشد لها ومتى حدثتَ نفسك فأصدق
أرى عللَ الأشياءِ شتى ولا أرى السَّجَمَ إلا علةً للتعرفِ
أرى العيشَ ظلاً توشك الشمسُ تَقْلُهُ

فكس في ابتغاء العيش كَيْسَكَ أَوْمِي أرى الذَّهْرَ غولاً للنُّفوسِ وإنما
يقي الله في بعضِ المَواطِنِ مَنْ يقي وعرج على الباقي نساؤه لِمَ يقي
مُحِبٌّ متى مُحْسِنٌ بِعَيْنَيْهِ تَطْلُقُ ولم أَرَ كالدُّنيا خَليلةً صَاحِبِ
فَتَحْسِبُهَا صُنْعاً لَطِيفٌ وَأَخْرَقَ نَرَاهَا عَنَانِياً وَهِيَ صَنْعَةٌ وَاحِدِ

• • وقد قيل إن السبب في خروج البحترى من بغداد في آخر أيامه كان هذه الأبيات لأن بعض أعدائه شنَّع عليه بأنه ثنوى من حيث قال فتحسبها صنعا لطيف وأخرق وكانت العامة حينئذ غالباً على البلد تخاف على نفسه فقال لابنه أبى الفوت قم ياني حتى نطفي عنا هذه النائرة بخرجة نلم فيها ببلدنا واهود نخرج ولم يعد • • وأحسن أيضاً غاية الاحسان في قوله

أَغْشَى الْخُطُوبَ فإِذَا جِئْتُ مَارِئِي فيما أَسِيرُ أَوْ أَحْكَمَنَ تَأْدِيبِي

إِنْ تَلْتَمِسِ ثَمَرَ أَخْلَافِ الْخُطُوبِ وَإِنْ

تَلْتَمِثَ مَعَ الدَّهْرِ تَسْمَعِ بِالْأَعَاجِبِ ^(١)

(١) الابيات من قصيدة يمدح بها أحمد بن محمد الطائي ومطلعها

أَتَارِكِي أَنْتِ أُمُّ مَغْرَى بَتَعْزِيجِي وَلَا تَمْنِي فِي الْهَوَى إِنْ كَانَ يَزْدِي بِي
عمر الغواني لقد بين من كذب هضيمة في حب غير محبوب
إذا مددنا إلى أصراره سيباً وقين من كرهه الشبان بالشيب
أملت بك من زهد الماهرب من مرهق بيوادي الشيب مقروب
يخنو به من أعاليه على أود حنو الثقاف جرى فوق الانايب
أهل مع الحب حلم لا تسفه صباية أوعزاه غير مغلوب
قضيت من طلبي للغايات وقد شأوتني حاجة في نفس يعقوب
لم أركلنر الاغفال سائمة من الحبايق لم تحفظ من الذيب
وأريد القطر يلقاك السراب به بعد التربض مبيض الجلايب

أغني الخطوب ٠٠ البيتان وبعدهما

ومنها إلى أبي جعفر خاضت ركائبنا
خطار كل مهول الخرق مرهوب ننوط آمالنا منه على ملك
مردد في صريح الجحد ملسوب مُحْتَضِرُ الباب أما آذن التقري
أو فانت لعيون الوفد محجوب خلائق كسوار المزن موفية
ومنها يتنهض بالثقل لا تعطي النهوض به
أعناق بحفرة الهوج المراجيب في كل أرض وقوم من سحائبه
أسكوب عارفة من بعد أسكوب كم بث في حاضر النهرين من نفل
ماقي على حاضر النهرين مصبوب يملأ أفواه مداحيه من حسب على السماكين والسريرين مسحوب
كالبيت يقصد أوجهها تاتي إليه المعالي قصد أوجهها
يجري علي سنن منه وأسلوب معطي من المجد مزداداً برغبته

وفي قوله

مَتَى تَسْتَزِدُّ فَضْلًا مِنَ الْعُمْرِ تَعْتَرِفْ بِسَجَلِيكَ مِنْ شَهْدِ الْخُطُوبِ وَصَابِهَا
تَشِدُّ بِنَا الدُّنْيَا بِأَخْفَضِ سَعِيهَا وَغَوْلُ الْأَفَاعِي لَهُ مِنْ لُعَابِهَا
يَسِرُّ بِعُمُرَانِ الدِّيَارِ مُضَلَّلٌ وَعُمُرَانُهَا مُسْتَأْنَفٌ مِنْ خَرَابِهَا
وَلَمْ أَرْتَضِ الدُّنْيَا أَوْ أَنْ مَجِئَهَا وَكَيْفَ أَرْتَضَائِهَا أَوْ أَنْ ذَهَابِهَا
أَقُولُ لِمَكْذُوبٍ عَنِ الدَّهْرِ زَاغٌ عَنْ تَحْيَرِ آرَاءِ الْحِجِيِّ وَانْتِخَابِهَا
سَيَرْدِيكَ أَوْ يَثُوبُكَ أَنَّكَ مَحْلَسٌ إِلَى شَقَّةٍ يُنْكِيكَ مِنْ بَعْدِ مَا بِهَا
وَهَلْ أَنْتَ مِنْ مَرْمُوسَةٍ طَالَ أَخْذُهَا مِنَ الْأَرْضِ الْأَخْفَنَةِ مِنْ ثَرَابِهَا^(١)

كالمعين منهومة بالحسن تتبعه والأنف يتبع أعلى منتهى العليب
ما أنك منتعياً سيفي قرى ووغى على الكواهل لذي والعرقيب
قد سرفني برعجل من عداوته بعد الذي اختبطت من سخطه الموب
سار واعم الناس حيث الناس أزفلة في جوده بين مرؤوس ومحبوب
ولو تناهت بنو شيدان عنه إذا لم يحشموا وقع ذي حدين مذروب
ما زادها النفر عنه غير تعرية وبعدها من رضاه غير تتيب
(١) الأبيات من قصيدة يمدح بها صاعدا ومطلعا

معاد من الأيام تعذبننا بها وابعادها بالائف بعد اقترابها
وما تملأ الآفاق من قبض غبرة وليس الهوى البادى لفيض السكابها
غوى رأى نفس لا ترى أن وجدها بتلك الغواني شقة من عذابها
وحظك من ليلى ولا حظ عندنا سوي صدها من غادة واجتماعها
بفاوت من تأليف شعبي وشعبها تنامي شباني وابتداء شبابها
هي الشمس الا ان أن شمساً انكشفت لمبصرها وانما في ثيابها

•• وجدت الآمدى يروى هذا البيت انك محبس بالبهاء •• وتفسير ذلك ان المعنى انك موقوف الى أن تصير الى هذا من قولك أحببت فرساً في سبيل الله وأحببت دارى أى وقفتهما والرواية المشهورة انك محبس باللام^(١) •• والمعنى انك متهم بالرحيل ومتخذ حلساً يوضع تحت الرجل وهذا أشبه بالمعنى الذى قصده البعترى وأولى بأن يختاره مع دقة طبعه وسلامة ألفاظه

— ❦ — مجلس آخر ٧٢ ❦ —

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منهن أزواجهن ليكن اليها الى قوله) تعالى الله عما يشركون •• فقال أليس ظاهر هذه الآية يقتضى جواز الشرك بالله على الأنبياء عليهم السلام لأنه لم يتقدم الا ذكر آدم وحواء عليهما السلام فيجب أن يكون قوله تعالى (جعل لهما شركاء فيما آتاها) يرجع اليهما •• الجواب قلنا كما ان ذكر آدم وحواء عليهما السلام قد تقدم فقد تقدم أيضاً ذكر غيرهما في قوله تعالى (هو الذى خلقكم) ومعلوم ان المراد بذلك جميع ولد آدم عليه السلام في قوله (فلما آتاها صالحاً) وأراد بالصلاح الاستواء في الاعضاء والمعنى فلما آتاها ولد صالح والمراد بهذا المجلس دون الواحد وان كان اللفظ لفظ وحدة والمعنى فلما آتاها جنساً من الاولاد صالحين •• واذا كان الامر على ما ذكرناه جاز أن يرجع قوله تعالى (جعل لهما شركاء) الى ولدهما وقد تقدم ذكرهم •• فان قيل انما وجب رده الى آدم وحواء عليهما السلام لأجل التثنية في الكلام ولم يتقدم ذكر اثنين الا ذكرهما عليهما السلام •• قلنا ان جعل هذا ترجيحاً في رجوعه اليهما جاز أيضاً أن يحمل قوله تعالى في آخر الآية (تعالى الله عما يشركون)

[١] — قالت والبيت في ديوان شعره

سيردبك أو ينوبك أنك غلاس الى شقة يبلبك بعد ما بها

(١٨ — امالى رابع)

وجهاً مقرباً لرجوع الكلام الى جملة الاولاد ويجوز أيضاً أن يكون أشار في التثنية الى الذكور والاناث من ولد آدم عليه السلام والى جلسين منهم فحسبت التثنية لذلك على أنه اذا تقدم في الكلام أمران ثم تلاهما حكم من الاحكام وعلم بالدليل استعالة تعلقه باحد الامرين وجب رده الى الآخر . . واذا علمنا أن آدم عليه السلام لا يجوز عليه الشرك لم يجوز عود الكلام اليه فوجب عوده الى المذكورين من ولد آدم عليه السلام . . وذكر أبو على الجبائي في هذا مانحن نورده على وجهه . . قال انما عني بهذا ان الله تعالى خلق بني آدم من نفس واحدة لأن الاضمار في قوله تعالى خلقكم انما عني به بني آدم عليه السلام والنفس الواحدة التي خلقهم منها هي آدم لأنه خلق حواء من آدم ويقال انه تعالى خلقها من ضلع من أضلاعه ويقال من طيبته فرجموا جميعاً الى أنهم خلقوا من آدم عليه السلام . . وبين ذلك بقوله تعالى (وخلق منها زوجها) لأنه عني به انه خلق من هذا النفس زوجها وزوجها هي حواء عليهما السلام . . وعني بقوله تعالى (فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً) وحملها هو حبلاها منه في ابتداء الحمل لأنه في ذلك الوقت خفيف عليها . . ومعنى قوله تعالى (فمرت به) ان مرورها بهذا الحمل في ذلك الوقت وتصرفها به كان عليها سهلاً خفيفاً فلما كبر الولد في بطنها ثقل ذلك عليها فهو معنى قوله تعالى (أثقلت دعوا الله) فثقل عليها عند ذلك المشي والحركة . . وعني بقوله تعالى (دعوا الله ربهما) انهما دعوا عند كبر الولد في بطنها فقالا لئن آتيناهن بغير نسل صالحا لنكونن من الشاكرين لنعمتكم علينا لأنهما أرادا أن يكون لهما أولاد تؤسسهما في الموضع الذي كانا فيه لأنهما كانا فردين مستوحشين اذا غاب أحدهما بقي الآخر مستوحشاً بلا مؤنس فلما آتاها نسل صالحا معافي وهم الأولاد الذين كانوا يولدون لها لأن حواء عليها السلام كانت تلد في كل بطن ذكر وأنثى فقال انها ولدت في خمسمائة بطن ألف ولد . . وعني بقوله تعالى (فلما آتاها صالحا جعلاله شركاء فيما آتاها) أي إن هذا النسل الصالح الذي هم ذكر وأنثى جعلاله شركاء فيما آتاها من نعمة وأضاف بعد تلك التسمية الى الذين اتخذوهم آلهة مع الله تعالى من الأصنام والاولئان ولم يعم بقوله تعالى جعل آدم وحواء عليهما السلام لأن آدم لا يجوز عليه

الشرك لأنه نبيٌّ من أنبيائه ولو جاز الشرك والكفر على الأنبياء لما جاز أن يشق أحدنا بما يؤديه النبي عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى عز وجل لأن من جاز عليه الكفر جاز عليه الكذب ومن جاز عليه الكذب لا يؤخذ بأخباره فصح بهذا ان الاخبار في قوله تعالى (جملاله شركاء) انما يعنى به النسل وانما ذكر ذلك على سبيل التنبيه لأنهم كانوا ذكراً وأنثى فلما كانوا صنفين جاز أن يجعل تعالى الاخبار عنهما كالأخبار عن الاثنين اذ كانا صنفين .. وقد دل على صحة تأويلنا هذا قوله تعالى في آخر الآية (تعالى الله عما يشركون) فبين عز وجل ان الذين جعلوا الله شركاءهم جماعة فلمذا جعل إضمارهم إضمار الجماعة فقال تعالى يشركون مضي كلام أبي على .. وقد قيل في قوله تعالى (فلما آتاها صالحا) مضافا الى الوجه المتقدم الذي هو انه أراد بالصلاح الاستواء في الخلقة والاعتدال في الاعضاء وجه آخر وهو انه لو أراد بالصلاح في الدين لكان الكلام أيضاً مستقيماً لأن الصالح في الدين قد يجوز أن يكفر بعد صلاحه فيكون في حال صالحا وفي أخرى مشركا وهذا لا يتنافى .. وقد استشهد في جواز الانتقال من خطاب الى غيره ومن كناية عن مذكور الى مذكور سواء ليصح ما قلناه من الانتقال من الكناية عن آدم عليه السلام وحواء عليها السلام الى ولدهما بقوله تعالى (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله) فالصرف عن مخاطبة الرسول الى مخاطبة المرسل اليهم ثم قال (وتعزروه وتوقروه) يعنى الرسول عليه الصلاة والسلام ثم قال (وتسبعوه) وهو يعنى مرسل الرسول فالكلام واحد متصل ببعضه ببعض والخطاب منتقل من واحد الى غيره ويقول الهذلي

يَالْهَيْفَ نَفْسِي كَانَ جِدَّةُ خَالِدٍ وَيَا بَاضُ وَجْهِكَ لِلتُّرَابِ الْأَعْفَرِ

ولم يقل وبياض وجهه .. وقال كثير

أَسِيثِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لِمَلُومَةٍ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَةً إِنْ تَقَلَّتْ^(١)

(١) قوله - أسىء بنا أو أحسنى - أورده صاحب الكشف عند قوله تعالى (أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم) على تساوى الانفاقين في عدم القبول كما

نخاطب ثم ترك الخطاب .. وقال آخر
فَدَيْ لِكَ يَافَتِيَّ وَجَمِيعُ أَهْلِي وَمَا لِي إِنَّهُ مِنْهُ أَتَانِي

ساوى كثير بين الاحسان والاساءة في عدم اللوم والنكسة في مثل ذلك اظهار نفى تفاوت الحال بتفاوت فعل الخطاب كأنه يأمرها بذلك لتحقيق أنه على العهد ومقلية بمعنى مبغضة من التلى وهو البغض .. والبيت من قصيدته المشهورة .. روي أن عبد الملك سأله عن أعجب خبر له مع عزة فقال يأبى المؤمنين حججت سنة وحج زوج عزة معها ولم يعلم أحدنا بصاحبه فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بإبتاع سمن تصلح به طعاما لرفقته فجعلت تدور الخيام خيمة خيمة حتى دخلت الى وهي لاتعلم أنها خيمتي وكنت أبرى سهماً فلما رأيتهما جعلت أبرى لحمى وأنظر اليها حتى برئت ذراعى وأنا لا أعلم به والدن يجرى فلما علمت ذلك دخلت الى فامسكت يدي وجعلت تمسح الدم بنوبها وكان عندى نحرى سمن خافت لتأخذه فأخذته وجاء زوجها فلما رأى الدم سألها عن خبره فكأتمته حتى خاف عليها لتصدقته فصدقته فضررها وخاف عليها لتشتفى فى وجهى فووقت على وقالت لى وهى تبكى يابن الزانية ومطلع القصيدة

خايل هذا ربع عزة فاعقلا	قلوص يكما ثم ابكيا حيث حلت
ومساربا كان قد من جلدها	ويئنا وظلا حيث باتت وظلت
ولا تياسا أن يحـو الله عنكما	ذنوبا اذا صليتما حيث صات
وما كنت أدري قبل عزة ما البكي	ولا موجعات القلب حتى تولت
وقد حلفت جهدا بما نحررت له	قريش غداة المأزمين وصدت
أناديك ما حج الحجاج وكبرت	بفيفا غزال رفقة وأهلت
وكانت لقطع العهد بينى وبينها	كناذرة نذراً فأوفت وحلت
فقلت لها يا عز كل مصيبة	اذا وطنت يوما لها النفس ذات
ولم يلق انسان من الحب ميمة	لعم ولا عمية الا تجلت *
كأنى أنادي صغرة حين أعرضت	من الصم لو تمشي بها العصم زلت

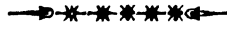
ولم يقل منك أناني .. ووجدت أبا مسلم محمد بن بحر يحمل هذه الآية على أن الخطاب في جميعها غير متعلق بجواء وآدم عليها السلام ويجعل الهاء في تغشاها والكناية في دعوا

صفوحا فما تلقاك إلا بخيلة
فمن مل منها ذلك الوصل ملت
أباحث حتى لم يرعه الناس قبلها
وحلت تلاعا لم تكن قبل حلت
فليت قلوصي عند غزة قيدت
بجبل ضعيف غر منها فضات
وغودر في الحى المقيمين رحلها
وكان لها باغ سواي فبات
وكنت كذرى رجلين رجل صحيحه
ورجل رمى فيها الزمان فشلت
وكنت كذات الظالم لما تحاملت
على ظلمها بعد العنار استقلت
أريد الثواء عندها وأظنها
إذا ما أطنا عندها الميك ملت
فما أنصفت أما النساء فبغضت
الينا وأما بالنوال فضات *
يكلفها الغيران شتى وما بها
هنيئاً مريئاً غير داء مخامر
هواني ولكن للمليك استذلت
ووالله ما قاربت إلا تباعدت
لعزة من أعراضنا ما استعجلت
فان تكن العتي فاهلا ومرحبا
بصرم ولا أكرث إلا أقلت
وان تكن الاخرى فان وراءنا
وحقت لها العتي لدينا وقلت
خليل ان الحاجبية لمحت
فلا يبعدن وصل لعزة أصبحت
وان تولى العتي فاهلا ومرحبا
أسية بنا أو أحسنى لاملومة
ولكن أميل واذا كري من مودة
واني وان صدت لئن وصادق
فما أنا بالداعى لعزة بالجوى
فلا يحسب الراشون ان صبابتي
فأصبحت قد أبليت من دق بها
ووالله ثم الله ما حل قبها
بعاقة أسبابه قد نوات *
لدينا ولا مقالية ان تقات *
لناخلة كانت لديك فضلت
عليها بما كانت الينا أزلت
ولا شامت ان نعل عزة زلت
بعزة كانت غمرة فتجلت
كما أدنفت هباء ثم استنبت
ولا بعدها من خلة حيث حلت

الله ربهما وآتاهما صالحا راجعتين الى من أشرك ولم يتعلق بآدم وحواء عليهما السلام من الخطاب الا قوله (خلقكم من نفس واحدة) لأن الاشارة في قوله (خلقكم من نفس واحدة) الى الخلق عامة .. وكذلك قوله تعالى (وجعل منها زوجها) .. ثم خص منها بعضهم كما قال تعالى (هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة) فخطب الجماعة بالتسمير في البر والبحر ثم خص راكب البحر بقوله تعالى (وجرين بهم بريح طيبة) كذلك هذه الآية أخذت عن جملة أمر البشر فانهم مخلوقون من نفس واحدة وزوجها آدم وحواء عليهما السلام .. ثم دعى الذكر اي الذي سأل الله تعالى ما سأل فلما أعطاه اياه ادعى الشركاء في عطيته .. وقال جائز أن يكون عنى بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة المشركون خصوصاً اذ كان كل بني آدم مخلوقاً من نفس واحدة .. ويموز أن يكون المعنى في قوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة) خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وهذا يحكى كثيراً في القرآن وفي كلام العرب قال الله تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) والمعنى فاجلدوا كل واحد ثمانين جلدة وقال (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها) فذلك نفس زوج وهو منها أى من جلسها فلما تفشي كل نفس زوجها حملت حملاً خفيفاً وهو ماء الحمل فرتبه أي مارت والور التردد والمراد تردد هذا الماء في رحم هذه الحامل فلما أثقلت

وما سر من يوم على كيومها	وان عظمت أيام أخرى وجلت
فاضحت بأعلى شاقق من فؤاده	فلا القلب يسلاها ولا العين ملت
فيا عجباً للقلب كيف اعترافه	وللنفس لما وطنت كيف ذات
واني وتيسامي بهزة بعدما	تحابت عما بيننا وتخلت *
لكالمترجى ظل الغمامة كلما	تبوأ منها للمقيل اضمحلت
كأنني واياها سحابة محمل	رجاها فلما جاوزته استهلكت
فان سأل الواشون فيها هجرتها	فقل نفس حر سليت فتسلت

أى نقل حملها أى بمصير ذلك الماء لحماً ودماً وعظماً دعوا الله أى الرجل والمرأة لما استبان حمل المرأة فقالا لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين فلما آتاها أى اعطاها ماسألاً من الولد الصالح نسباً ذلك الى شركاء معه فتعالى الله عما يشركون • • وقال قوم معنى جعلنا له شركاء أى طلبنا من الله أمثلاً للولد الصالح فشركا بين العاليتين وتكون الهاء فى قوله تعالى له راجعة الى الصالح لا الى الله تعالى ويجرى مجرى قول القائل طلبت مني درهماً فلما أعطيتك أشركته بأخر أى طلبت آخر مضافاً اليه وعلى هذا الوجه لا يمتنع أن يكون قوله تعالى جعلنا له شركاء كل متوجهاً الى آدم وحواء عليهما السلام



—*~*~*~*~— مجلس آخر ٧٣ —*~*~*~*~—

[تأويل آية] • • ان سأل سائل عن قوله تعالى (قال تعبدون والله خلقكم وما تعملون) • • فقال أليس ظاهر هذا القول يقتضى انه خالق لأعمال العباد لان ما همنا بمعنى الذى فكأنه قال خلقكم وخلق أعمالكم • • الجواب قلنا قد حمل أهل الحق هذه الآية على ان المراد بقوله تعالى وما تعملون أى وما تعملون فيه من الحجارة والخشب وغيرهما مما كانوا يتخذونه أصناماً ويعبدونها • • قالوا وغير منكر ان يريد بقوله تعالى وما تعملون ذلك كما انه قد أراد ما ذكرناه بقوله تعالى وتعبدون ما تخشون لانه لم يرد تعالى انكم تعبدون تحتكم الذى هو لعلمكم بل أراد ما تفعلون فيه النحت وكما قال تعالى فى عصى موسى عليه السلام تلتف ما يافكون وتلتف ما صنعوا وانما أراد تعالى ان العمى تلتف الحبال التى أظفروا سحرهم فيها وهى التى حملها صنعتهم وافكهم فقال تعالى ما صنعوا وما يافكون وأراد تعالى ما صنعوا فيه وما يافكون فيه ومثله قوله تعالى (يعملون له ما يشاء من محاريب) وانما أراد المعمول فيه دون العمل وهذا فى الاستعمال أيضاً سائغ شائع لانهم يقولون هذا الباب عمل البجار وفي الخلل هذا عمل الصائغ وان كانت الاجسام التى أشير اليها ليست أعمالاً لهم وانما عملوا فيها فحسن اجراء هذه العبارة • • فان قيل كل الذى ذكرتموه وان استعمل فعلي وجه المجاز والاتساع لان العمل فى الحقيقة لا يجرى الا على فعل الفاعل

دون ما يفعل فيه وان استعير في بعض المواضع .. قلنا ليس نسلم لكم ان الاستعمال الذي ذكرناه على سبيل المجاز بل نقول هو المفهوم الذي لا يستفاد سواء لان القائل اذا قال هذا الثوب عمل فلان لم يفهم منه الا انه عمل فيه وما رأينا أحداً أقط يقول في الثوب بدلا من قوله هذا من عمل فلان هذا مما حله عمل فلان فالاول أولى بأن يكون حقيقة وليس ينكر أن يكون الاصل في الحقيقة ما ذكره ثم انتقل ذلك بعرف الاستعمال الى ما ذكرناه وصار أخص به ومما لا يستفاد من الكلام سواء كما انتقلت ألفاظ كثيرة على هذا الحدة والاعتبار في المفهوم من الالفاظ الا بما يستقر عليه استعمالها دون ما كانت عليه في الاصل فوجب أن يكون المفهوم .. والظاهر من الآية ما ذكرناه على أننا لو سلمنا ان ذلك مجاز لوجب المصير اليه من وجوه .. منها ما يشهد به ظاهر الآية ويقضيه ولا يسوغ سواء .. ومنها ما يقتضيه الأدلة القاطعة الخارجة عن الآية .. فن ذلك انه تعالى أخرج الكلام مخرج التمجين لهم والتوبيخ لافعالهم والازراء على مذاهبهم .. فقال (أتعبدون ما تختون والله خلقكم وما تعملون) ومتي لم يكن قوله تعالى (وما تعملون) المراد به ما يعملون فيه ليصير تقدير الكلام أتعبدون الاصنام التي تختونها والله خلقكم وخلق هذه الاصنام التي تعملون بها التخطيط والتصوير لم يكن للكلام معنى ولا مدخل في باب التوبيخ ويصير على ما ذكره المخالف كأنه قال أتعبدون ما تختون والله خلقكم وخلق عبادتكم فأني وجه للتقريع وهذا الى أن يكون عذراً أقرب من يكون لو ما وتوبخاً اذا خلق عبادتهم للاصنام فأني وجه لاوهمها وتقريرهم بها على أن قوله تعالى (خلقكم وما تعملون) بمد قوله تعالى (أتعبدون ما تختون) انما خرج مخرج التعليل للامتنع من عبادة غيره فلا أن يكون متعلقاً بما تقدم من قوله (أتعبدون ما تختون) ووثراً في المنع من عبادة غيره فلو أفاد غير قوله ما تعملون نفس العمل الذي هو النعت دون المعمول فيه لكان له فائدة في الكلام لأن القوم لم يكونوا يعبدون النعت وانما كانوا يعبدون محل النعت ولأنه كان لاحظ في الكلام للامتنع من عبادة الاصنام فكذلك لو حمل قوله تعالى ما تعملون من أعمال أخر ليست نحتهم ولا هي ما عملوا فيه لكان أظهر في باب اللغو والعيب والبعد عن التعاقب بما تقدم فلم يبق الا أنه أراد تعالى به خلقكم

وما تعملون فيه التبع فكيف تعبدون مخلوقاً مثلكم . . فان قيل لهم زعمتم انه لو كان الامر على ما ذكرناه لم يكن للقول الثاني حظ في باب المنع من عبادة الاصنام وماتشكرون أن يكون لما ذكرناه وجه في المنع من ذلك وان كان ما ذكرتموه أيضاً لو أريد لكان وجهاً وهو ان من خلقنا وخلق الافعال فينا لا يكون الا الاله القديم الذي يحق له العبادة وغير القديم تعالى كما يستحيل أن يخلقنا يستحيل أن يخلق فينا الافعال على الوجه الذي يخلقها القديم عليه تعالى فصار لما ذكرناه تأثير . . قلنا معلوم ان الثاني اذا كان كالتعليل الاول والمؤثر في المنع من العبادة فلأن يتضمن انكم مخلوقون وما تعبدونه أولي من أن ينصرف الى ما ذكرتموه مما لا يقتضى أكثر من خلقهم دون خلق ما عبدوه فانه لاشئ أدل على المنع من عبادة الاصنام من كونها مخلوقة كما ان عابدها مخلوق ويشهد لما ذكرناه أيضاً قوله تعالى في موضع آخر (أيسركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون) فاحتج تعالى عليهم في المنع من عبادة الآلهة دونه بانها مخلوقة لا تخلق شيئاً ولا تدفع عن أنفسها ضرراً ولا عنهم وهذا واضح على أنه لو ساوى ما ذكره ما ذكرناه في التعلق بالأول لم يسغ حمله على ما دعوه لأن فيه عندي لهم في الفعل الذي عنفوا وقرعوا من أجله وقبيح أن يوبخهم بما عذرهم ويذمهم مما يبرئهم على ما تقدم على أنا لانسلم ان من يفعل أفعال العباد ويخلقها يستحق العبادة لأن من جملة أفعالهم القبايح ومن فعل القبايح لا يكون إلهاً ولا تحق له العبادة نخرج ما ذكره من أن يكون مؤثراً بانفراده في العبادة على أن إضافة العمل اليهم لقوله تعالى يبطل تأويلهم هذه الآية لأنه لو كان تعالى خالقاً لها لم يكن عملاً لهم لأن العمل انما يكون لمن يحدته ويوجده فكيف يكون عملاً لهم والله خلقهم وهذه مناقضة فثبت بهذا ان الظاهر شاهد لنا أيضاً على ان قوله تعالى (وما تعملون) يقتضي الاستقبال وكل فعل لم يوجد فهو معدوم ومحل أن يقول تعالى اني خالق للمعدوم . . فان قالوا اللفظ وان كان للاستقبال فالمراد به الماضي كأنه تعالى قال والله خلقكم وما علمتم . . قلنا هذا عدول منكم عن الظاهر الذي ادعين انكم متمسكون به وليس أنتم بأن تعدلوا عنه بأولي منا بل نحن أحق لأننا نعدل عنه بدلالة وأنتم تعدلون بغير حجة . . فان قيل فأنتم

أيضاً تعدلون عن هذا الظاهر بعينه على تأويلكم وتحملون لفظ الاستقبال على لفظ الماضي . . قلنا لا نحتاج نحن في تأويلنا الى ذلك لأننا اذا حملنا قوله تعالى (وما تعملون) على الاصنام المعمول فيها . . ومعلوم ان الأصنام موجودة قبل عملهم فيها فجاز أن يقول تعالى إني خلقتها ولا يجوز أن يقول إني خلقت ماسيق من العمل في المستقبل على أنه تعالى لو أراد بذلك أعمالهم لأمعلوا فيه على ما دعوه لم يكن في الظاهر حجة على ما يريدون لأن الخلق هو التقدير والتقدير وليس يمتنع في اللغة أن يكون الخالق خالقاً لفعل غيره اذا قدره ودبره ألا ترى أنهم يقولون خلقت الأديم وان لم يكن الأديم فعلاً لمن يقول ذلك فيه ويكون معنى خلقه لأفعال العباد انه مقدر لها ومعرف لنا مقاديرها ومسابقتها وما به نستحق عليها من الجزاء وليس يمتنع أن يقال انه خالق الأعمال على هذا المعنى اذا ارتفع الابهام وفهم المراد فهذا كله تقتضيه الآية ولو لم يكن في الآية شيء كما ذكرناه مما يوجب العدول عن حمل قوله تعالى (وما تعملون) على خلق نفس الاعمال لوجب أن نعدل بها عن ذلك ونحملها على ما ذكرناه بالدالة العقلية الدالة على أنه تعالى لا يجوز أن يكون خالقاً لأعمالنا وان تصرفنا محدث منا ولا فاعل له سوانا وكل هذا واضح والحمد لله تعالى والمنة . . [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه واني لأستحسن لبعض لساء بني أسد قولها

أَلَمْ تَرَنَا غَبْنَا مَاؤُنَا	زَمَانًا فَظَلْنَا نَكْثُ الْبِشَارَا
فَلَمَّا عَدَا الْمَاءُ أَوْطَانُهُ	وَجَفَّ الثَّمَادُ فَصَارَتْ حَرَارَا
وَضَجَّتْ إِلَى رَبِّهَا فِي السَّمَاءِ	رُؤُسُ الْمُصَاةِ تُنَاجِي السَّرَارَا
وَفَتَحَتْ الْأَرْضُ أَفْوَاهَهَا	عَجِيجَ الْجِبَالِ وَرَذْنَ الْجِفَارَا
لَبِسْنَا لَدَى عَطَنِ لَيْلَةٍ	عَلَى الْيَاسِ أَثْيَابَنَا وَالْخِمَارَا
وَقُلْنَا أَعِيزُوا النَّدَى حَقْمَةً	وَسِيرُوا الْحِفَاظَ وَمُوتُوا حَرَارَا

فَإِنَّ النَّدَى لَمَي مَرَّةً يَرُدُّ إِلَى أَهْلِهِ مَا اسْتَعَارَا
فَبَنَيْنَا نُوْطَنُ أَحْشَاءَنَا أَضَاءَ لَنَا عَارِضٌ فَاسْتَطَارَا
فَأَقْبَلَ يَزْحَفُ زَحْفَ الْكَسِيرِ سِيَّاقَ الرِّعَاءِ الْبَطَاءِ الْعِشَارَا
تُغْنِي وَتَضْحَكُ حَافَاتُهُ خِلَالَ النِّعَامِ وَتَبْكِي مَرَارَا
كَأَنَّا تُضِي لَنَا حُرَّةٌ تَشُدُّ إِزَارَا وَتُلْقِي إِزَارَا
فَلَمَّا خَشِينَا بَأْنَ لَا نَجِيَّ وَأَنْ لَا يَكُونُ فِرَارٌ فِرَارَا
أَشَارَ إِلَيْهِ أَمْرُو فَوْقَهُ هَلُمَّ فَأَمَّ إِلَى مَا أَشَارَا

وَأَنشَدَ أَبُو هِنَانٍ لَوْلَادَةَ الْمَرْمِيَّةِ

لَوْلَا أَتَقَاهُ اللَّهُ فُتِمْتُ بِمَفْخَرٍ لَا يَبْلُغُ الثَّقَلَانِ فِيهِ مَقَامِي
بَأْبُوَّةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ سَادَةٍ بَدُّوا الْعِلَاءُ أَمْرَاهُ فِي الْإِسْلَامِ
جَادُوا فَسَادُوا بِمَا نَعَيْنَ أَذَاهُمْ لَنَدَاهُمْ فَضْلٌ عَلَى الْأَفْوَامِ
فَدَانَجَبُوا فِي السُّودِ دِينٍ وَانْجَبُوا بِنَجَابَةِ الْأَخْوَالِ وَالْأَنْعَامِ
قَوْمٌ إِذَا سَكَنُوا تَكَلَّمُوا بِمَجْدِهِمْ عَنْهُمْ فَأَخْرَسَ دُونَ كُلِّ كَلَامِ

وَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ

أَيَا أَخَوَيَّ الْمَازِيَّ مَلَامَةً أَعِنْدَكَ كَمَا بِاللَّهِ مِنْ مِثْلِ مَا بِنَا
سَأَلْتُكَمَّا بِاللَّهِ الْآ جَعَلْتُمَا مَكَانَ الْأَذَى وَاللَّوْمِ أَنْ تَاوِيَا لِيَا
أَيَا أَمْتًا حُبُّ الْهَلَالِيِّ قَاتِلِي شَطُونُ النُّوْمِيِّ يَحْتَلُّ عَرْضَا يَمَانِيَا
أَشْمُ كَغُصْنِ الْبَانِ جَعَلْتُ مُرْجَلُ شَغِفْتُ بِهِ لَوْ كَانَ شَيْئًا مَدَانِيَا
فَإِنْ لَمْ أَوْسِدْ سَاعِدِي بِمَدْهَجَةٍ غُلَامًا هَلَالِيَا فَشَلْتُ بَنَانِيَا

تَكَلَّتْ أُبَيُّ أَنْ كُنْتُ ذُقْتُ كَرِيْقِهِ سَلَاَفًا وَلَا مَاءَ النَّمَامَةِ غَادِيَا
 أَلَمْ كَثِيرًا لَمَّةً ثُمَّ شَمَرْتُ بِهِ خَلَّةً يَطْلُبُنْ بَرْقًا يَمَانِيَا
 وَلصاحبة الملالبة أيضاً

وَأَنِّي لِأَهْوَى الْقَصْدَ ثُمَّ يَرُدُّنِي عَنْ الْقَصْدِ مَيْلَاةُ الْهَوَى فَا مِيلُ
 فَمَا وَجَدْتُ مَسْجُونٍ بِصَنَعَاءِ مُوثِقٍ بِسَاقِيهِ مِنْ حَبْسِ الْأَمِيرِ كَبُولُ
 وَمَا لَيْلُ مَوْلَى مُسْلَمٍ بِجَرِيرَةٍ لَهُ بَعْدَ مَا نَامَ الْعُيُونُ عَوِيلُ
 بِأَكْثَرِ مِنِّي لَوْعَةً يَوْمَ رَاعَنِي فَرِيقُ حَبِيبٍ مَالِيهِ سَبِيلُ

ولعمرة بنت العجلان أخت عمرو ذي الكلب بن عجلان الكاهلي ترى أخاها عمرا وقد كان في بعض غزواته نائما فوثب اليه نمران فأكلاه فوجدت قبيـلة فهم سلاحه فادعت قتله هي

سَأَلْتُ بَعْمَرُو أَخِي صَحْبَهُ فَأَنظَعَنِي حِينَ رَدُّوا السُّؤَالَ
 وَقَالُوا أَتَيْحَ لَهُ نَائِمًا أَعَرُّ السَّبَاعِ عَلَيْهِ أَحَالًا^(١)

- [١] قوله - ولعمرة بنت العجلان الخ - قلت نسبها غيره لاخته جنوب - - وقوله فوثب اليه نمران فأكلاه - - قال صاحب زهر الآداب قال عمر بن شبة كان عمرو هذا يغزو فهما فيصيب منهم فوضعوا له رسداً على الماء فأخذوه فقتلوه ثم مروا باختمه جنوب فقالوا طاب لنا أخاك فقاتلن طلبتموه لتجدهن منيعاً ولئن وصفتموه لتجدهن مريعاتاً ولئن دعوتنهم لتجدهن سريعاً والله لئن سلبتموه لتجدين نبيته دامية ولا حجزته حامية ولرب ندى منكم قد افترشه ونهب قد احتوشه وضب قد احترشه - - ثم قالت هذه الابيات انتهى
- [٢] قولها - سألت بعمر - - الباء بمعنى عن وأخي عطف بيان - وصحبه - مفعول سألت وهو مضاف الى ضمير عمرو وصحب جمع صاحب - وأفظعني - هـ دني قبجه وشده - - يقال أفظع الامر افظاعاً وفظع فظاعة اذا جاوز الحد في القبح
- [٣] قولها - أتيج له الخ - أتيج مجهول أتاح الله له بالثناء والحاء المهملة بمعنى

- أَتَيْحَ لَهُ نَمْرًا أُجْبِلَ فَنَالَا لَعْمَرُكَ مِنْهُ مَنَالًا^(١)
 فَأَقْسَمْتُ يَا عَمْرُو لَوْ نَبَّاهُكَ إِذَا نَبَّاهُ مِنْكَ أَمْرًا عُضَالًا^(٢)
 إِذَا نَبَّاهُ لَيْثَ عَرِيْسَةٍ مُفَيْتًا مُفَيْدًا نَفُوسًا وَمَالًا^(٣)
 هَزَبَرًا فَرُوسًا لِأَعْدَائِهِ هَمُورًا إِذَا لَقِيَ الْقِرْنَ صَالًا^(٤)
 هُمَا مَعَ تَصَرُّفِ رَبِّبِ الْمَنُونِ مِنْ الْأَرْضِ رُكْنَانِيَّتَانِ أَمَالًا^(٥)

قضى وقدر والهاء فيه لعمر و - ونالما حال منها - وأمر السباع - نائب فاعل أتيج وهو من
 الحرارة بالعين والراء المهملتين وهو سوء الخلق - وأحال - بالحاء المهملة - قال السكري
 أى وكب عليه فقتله وأكله

[١] قولها - أتيج له نمرا أجبل - أى قدر له ونمرا منى نمر مضاف الى أجبل
 جمع جبل وتصحفت هذه الكلمة على العبنى فقال قولها نمرا جيئل - أى نمران من
 جيئل أى سبعان من جيئل والنمر السبع والجيئل بفتح الجيم وسكون الياء وفتح الهمزة
 وهو الضبع هذا كلامه وهو تحريف قطعاً

[٢] قولها - فأقسمت يا عمرو الخ - هذا التثنية من النية الى الحضور وضـمير
 المثنى في نبهاك للتمرين - وروى - داه عضالا - أى شديداً أعيا الاطباء

[٣] قولها - ليث عريسة - قال الجوهرى العريس والعريسة مأوى الأسد
 - والمفيد - معناه معطى الفائدة كذا ورد بالمعنيين - ومفيت - بالغاء - قال السكري أى
 مهلك النفوس والمال وتصحفت هذه الكلمة على العبنى فرواها بالقاف - وقال مقيتاً
 أى مقتندراً كالذى يعطى كل رجل قوته - ويقال المقيت الحافظ لاشئ والشاهد له
 وانبفوس يرجع الى المقيت والمال يرجع الى المفيد هذا كلامه

[٤] وقولها - هزبراً فروساً الخ - الهزبر الاسد الضخم الشديد - والفروس -
 الكثير الافتراس للمصيد - وهصوراً - من المحصر وهو الجذب والأخذ بقوة -
 والقرن - بالكسر كفؤك فى الشجاعة أو عام - وصال على قرنه سطا

(٥) قولها - هما مع تصرف ربيب المنون الخ - ربيب المنون حوادث الدهر - قال

هُمَا يَوْمَ حُمٍّ لَهُ يَوْمُهُ وَقَالَ أَخَوْفُهُمْ بَطَلًا وَقَالَ^(١)
 وَقَالُوا قَتَلْنَاهُ فِي غَارَةٍ بَأَيَّةٍ مَا إِنِ وَرَثَتَا النَّبَالَا^(٢)
 فَهَلَا وَمَنْ قَبْلَ رَيْبِ الْمُنُونِ فَقَدْ كَانَ رَجُلًا وَكُنْتُمْ رِجَالًا
 وَقَدْ عَلِمْتَ فَنَّهُمْ يَوْمَ اللَّقَاءِ بِأَنَّهُمْ لَكَ كَانُوا نِفَالًا
 كَأَنَّهُمْ لَمْ يَحْسُوا بِهِ فَيُخَلُّوا النِّسَاءَ لَهُ وَالْحِجَالَا^(٣)
 وَلَمْ يَنْزِلُوا بِمُحُولِ السِّنِينَ بِهِ فَيَكُونُوا عَلَيْهِ عِيَالًا
 وَقَدْ عَلِمَ الضَّيْفُ وَالْمُجْتَدُونَ إِذَا غَبَرَ أَفْقُهُ وَهَبَّتْ شِمَالَا^(٤)

السكري ثبت ثابت ٠٠ وروى غيره بدله شديداً

[١] قولها - هم - ا يوم حم له يومه - الخ ٠٠ قال السكري هما تعنى النمرين - وحم -
 قضى وقدر - وقال - بالفاء أى أخطأ رجله فائل الرأى وقيل أى ضعيف الرأى - وفهم -
 قبيلة ولهذا منعه الصرف كذا قال عبد القادر ٠٠ والبيت لا يخفى أنه مكسور وهو
 ساقط من العيني

[٢] قولها - وقالوا قتلناه - روى نوح بن بدل قالوا ٠٠ قال السكري تهزأ بهم - والآية -
 العلامة - والنبال - السهام - ورجل - قال السكري هو الرجل يقال رجل ورجل أى
 يسكون الجيم وضمها ٠٠ وروى غيره فذاً بدل رجلا - والفذ - بالفاء والذال المعجمة هو
 الفرد - والنفال - الغنائم جمع نفل بنتمتين وهي الغنيمة

[٣] وقولها - كأنهم لم يحسوا به - الخ من حسست بالخبر من باب تعب أى علمته
 وشعرت به - ويخلوا - من أخيلته أى جعلته خالياً - والحجال - جمع خجلة بالتحريك
 وهو بيت يزين بالثياب والاسرة والستور

[٤] قولها - وقد علم الضيف والمجندون - الخ المجندون - هم الطالبون الجرا وهم
 العطية ٠٠ وروى المرملون بدل قولها المجندون - والمرملون - من أرمل القوم اذا نفد
 زادهم وفاعل هبت ضمير الريح وان لم يجر لها ذكر لفهمها من قولها اذا غبر أفق فان

وَحَلَّتْ عَنْ أَوْلَادِهَا الْمُرْضِعَاتُ وَلَمْ تَرَ عَيْنٌ لِمَزْنٍ بِلَالًا^(١)
بَأَنَّكَ كُنْتَ الرَّبِيعَ الْمُغِيثَ لِمَنْ يَعْثُرِيكَ وَكُنْتَ الشِّمَالَا^(٢)

اغبراره انما يكون في الشتاء لكثرة الامطار واختلاف الرياح - والسمان - بالفتح ويكسر
ريج نهب من ناحية القطب وهو حال وانما خست هذا الوقت بالذكر لانه وقت تغل
فيه الأرزق وتنقطع السبل ويتغل فيه الضيف فالجود فيه غاية لا تدرك

[١] قولها - وحلت عن أولادها المرضعات الخ .. قال أبو حنيفة انما حلت
أولادها من الاعواز لم يجدن قوتا واغبرار الأفق من الجذب وأراد هبت الريح شمالا وهي
تضمر وان لم تذكر لكثرة ما تذكر اشهي - والمزن - السحاب - والبال - بالكسر البلل
[٢] قولها - بأنك كنت الربيع - الخ الربيع هنا ربيع الزمان .. قال ابن قتيبة في باب

ما يضعه الناس غير موضعه وهو أول كتابه أدب الكاتب ومن ذلك الربيع يذهب الناس
الي أنه الفصل الذي يتبع الشتاء ويأتي فيه النور والتوز ولا يعرفون الربيع غيره
والعرب تختلف في ذلك فمنهم من يجعل الربيع الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو
الخريف وفصل الشتاء بعده ثم فصل الصيف بعد الشتاء وهو الوقت الذي تدعوه
العامة الربيع ثم فصل القيظ الذي بعده وهو الذي تدعوه العامة الصيف ومن العرب
من يسمى الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو الخريف الربيع الاول .. ويسمى الفصل
الذي يتلو الشتاء ويأتي فيه الكمأة والنور الربيع الثاني وكلهم مجمعون على أن الخريف
هو الربيع اه .. قال شارحه ابن السيد مذهب العامة في الربيع هو مذهب المتقدمين
لأنهم كانوا يجمعون حلول الشمس برأس الحمل أول الزمان وشبابه وأما العرب فانهم
جعلوا حلول الشمس برأس الميزان أول فصول السنة الاربعة وسموه الربيع .. وأما
حلول الشمس برأس الحمل فكان منهم من يجعله ربيعاً ثانياً فيكون في السنة على مذهبهم
ربيعان وكان منهم من لا يجعله ربيعاً ثانياً فيكون في السنة على مذهبهم ربيع واحد وأما
الربيعان من المشهور فلا خلاف بينهم انهما اثنان ربيع الاول وربيع الآخر انتهى
- والغيث - المطر والكلأ يثبت بماء السماء والمراد به هذا لوصفه بالربيع وهو الخصب فتح

وَحَرَقَ تَجَاوَزَتْ مَجْهُولُهُ بَوَجْنَاءِ حَرْفٍ تَشْكِي الْكَلَالَا ^(١)
 فَكَنْتُ النَّهَارَ بِهِ شَمْسُهُ وَكُنْتُ دُجَيَّ اللَّيْلِ فِيهِ الْهَلَالَا
 وَخَيْلٍ سَمَتْ لَكَ فُرْسَانُهَا فَوَلَّوْا وَلَمْ يَسْتَقِلُّوا قَبَالَا
 وَكُلُّ قَبِيلٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ أَرَدْتَهُمْ مِنْكَ بَاتُوا وَجَالَا ^(٢)

الميم وضمها في القاموس مرع الوادى مثله الراء مراعة أكلأ كأمرع - والنال - بكسر
 المثانة • قال الدينوري هو الذخر وقال غيره هو الغيث - والمغيث - من الاغاثة - ومن
 يعتريك - أي من يقصدك • • وروى

بانك ربيع وغيث مرئ وأنت هناك تكون النبالا

والبيت يستشهد به النحويون في باب أن الخففة من اثنائية وهو من الضرورة لأن اسم
 ان الخففة شرطه أن يكون ضميراً محذوفاً • • قال ابن هشام وربما ثبت وأنشد البيت
 وهو مختص بالضرورة علي الأصح وشرط خبرها أن يكون جملة ولا يجوز افراده الا
 اذا ذكر الاسم فيجوز الامران وقد اجتمعا في البيت • • وقال في التصريح ان البيت
 ضرورة من وجهين عند ابن الحاجب كونه غير ضمير الشأن وكونه مذكوراً وعند
 ابن مالك من وجه واحد وهو كونه مذكوراً اه • • قلت وروى عن ابن مالك أنه
 قال اذا أمكن جعل الضمير المحذوف ضمير حاضر أو غائب غير الشأن فهو أولي • •
 وعن أبي حيان أنه قال لا يلزم أن يكون ضمير الشأن كما زعم بعض أصحابنا بل اذا أمكن
 تقديره بغيره قدر

[١] قولها - وخرق - الواو فيه واو رب وهو بفتح الخاء المعجمة الفلاة الواسعة
 تخرق فيها الرياح وهو مجرور رب المضمر أو الواو المعوضة منها - ومجهوله - الذي لا يسلك
 - والوجناء - بالجم الناقصة الشديدة - والحرف - الضامرة الصلبة - وتشكى - مضارع أصله
 تشكى بتمامين - والكلال - الاعياء

[٢] قولها - وكل قبيل وان لم تكن الخ • • روي كم بدل كل والنبيلا هنا جمع قبيلة
 - والوجل - جمع وجل بفتح فكسر وهو الخائف من الوجل بنفحين وهو الخوف

— مجلس آخر ٧٤ —

[تأويل آية] ٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم) ^(١) ٠٠ فقال أوليس ظاهراً

[١] قوله - تعالى (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم) الآية ٠٠ في هذه الآية خلاف فن النحويين من جعل الشرط الثاني معترضاً بين الشرط الاول وجوابه المقدر ومنهم من قل ليست من هذا الباب ٠٠ قالوا وحجتنا على ذلك انا نقدر جواب الشرط الاول تالياً له مدلولاً عليه بما تقدم عليه وجواب الثاني كذلك مدلولاً عليه بالشرط الاول وجوابه المتقدمين عليه فيكون التقدير ان أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي ان كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي ٠٠ واعلم ان الشرط اذا دخل على شرط فتارة يكون بمعطوف وتارة يكون بغيره فاذا كان بمعطوف فاطلق ابن مالك ان الجواب لأولهما لسبقه وفصل غيره فقال ان كان المعطوف بأو او فالجواب لها لأن أو او للجمع نحو ان تأتي وان تحسن الى أحسن اليك وان كان المعطوف بأو فالجواب لأحدهما لأن أو واحد الشيئين نحو ان جاء زيد أو إن جاءت هند فأكرمه أو فأكرمها وان كان المعطوف بالفاء فالجواب للثاني والثاني وجوابه جواب للأول وان كان بغير عطف فالجواب لأولهما والشرط الثاني مقيّد للأول كتمقيده بحال واقعة موقعه كقوله

ان تستغيثوا بنا ان تذرنا ونجذبوا منا معاقل عز زانها ككرم
فتجدوا جواب ان تستغيثوا وان تذرنا بالبناء للمفعول مقيّد للأول على معنى ان تستغيثوا بنا مذعورين نجذبوا ٠٠ ومن فروع المسئلة وهي اعتراض شرط في شرط ما اذا قال لاسرائه ان أكلت إن شربت فأنت طالق فلا تطلق على الاصح الا اذا شربت ثم أكلت لأن التقدير عليه ان شربت فان أكلت فأنت طالق فالثاني أول والاو ثان وعلى مقابله لا تطلق الا اذا أكلت ثم شربت لان التقدير عليه ان أكلت فان شربت فأنت طالق فالاول أول والثاني ثان ٠٠ واعلم ان تصحيح الاول هو على مذهب

هذه الآية يقتضي ان نصح النبي صلى الله عليه وسلم لا ينفع الكفار الذين أراد الله تعالى بهم الكفر والغواية وهذا بخلاف مذهبكم .. قلنا ليس في ظاهر الآية ما يقتضيه خلاف مذهبنا لأنه تعالى انه لم يقل انه فعل الغواية وأرادها وانما أخبر أن نصح النبي عليه الصلاة والسلام لا ينفع ان كان الله يريد غوايتهم ووقوع الارادة لذلك أو جواز وقوعها لادلالة عليه في الظاهر على أن الغواية ههنا الخفية وحرمان الثواب ويشهد بصحة ما ذكرناه في هذه الالفة قول الشاعر

فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ
وَمَنْ يَنْوَلَا يَنْدَمْ عَلَى النَّيِّ لَا ثِمًا^(١)

الشافعية والحنفية ووجهه ابن الحاجب بأنه لا يصح أن يكون الجواب للشرطين معاً والا توارد معمولان على معمول واحد ولا تغيرها والا لزم ذكر ما دخل له في ربط الجزاء وترك ماله دخل ولا لثاني لأنه يلزم حينئذ أن يكون الثاني وجوابه جواباً للأول فتجب الفاء ولا فاء وحذفها شاذ أو ضرورة فتعين أن يكون جواباً للأول والأول وجوابه دليل جواب اثنائي .. قال الدماميني ومذهب مالك الطلاق سواء أتت بالشرطين مرتين كماها في اللفظ أو عكست الترتيب .. قال وبعض أصحابنا بوجه ذلك بأنه على حذف واو المعطف كما في قول الشاعر

كَيْفَ أَصْبَحْتَ كَيْفَ أُمْسَيْتَ مِمَّا
يَفْرَسُ الْوَدَّ فِي فَوْادِ اللَّيْلِ

.. ثم قال ولا أدري وجه اشتراط أهل المذهبين يعني مذهبي الشافعية والمالكية في وقوع الطلاق فعلها لجموع الأمرين مع أنه يمكن أن يكون جواب الأول محذوفاً لدلالة جواب الثاني ولا محذور في حذف الجواب بل هو أسهل من تقديرهم لما فيه من الحذف والفصل بين الشرط الاول وجوابه بالشرط اثنائي

(١) البيت - من قصيدة للمرقش الاسفر واسمه ربيعة بن سفيان والمرقش الأكبر عمه وهو عم طرفة بن العبد وهذه القصيدة بقولها في قصة جرت له مع معشوقته فاطمة بنت المنذر ووليدتها بنت العجلان ومطلعها

أَلَا يَا سَلَمِي لَا صَبْرِي عَنْكَ قَاطِمَا
وَلَا أَبَدًا مَا دَامَ وَمَلَكَ دَائِمًا

فكأنه تعالى قال ان كان الله يريد أن يعاقبكم بسوء أعمالكم وكفركم ويحرمكم ثوابه
فليس ينفعكم نصحي مادمتم مقيمين على ما أنتم عليه الا أن تطيعوا وتوبوا وقد سمى
الله تعالى العقاب غياً ٠٠ فقال تعالى (فسوف يلقون غياً) وما قبل هذه الآية يشهد

رمتك أبنه البكري عن فرع سالة	ومن بنا خوص يخلن ناعماً
ترأت لنا يوم الرحيل بوارد	وعذب الثنايا لم يكن متراكماً
سقاء حبي المزن من مهال	من الشمس رواءه ربابا سواجاً
أرتك بذات الضال منها معاصم	وخداً أسيلاً كالوذيلة ناعماً
صحا قلبه عنها على أن ذكرة	إذا خملت دارت به الأرض قائماً
تبصر خيلى هل ترى من ظهائن	خرجن سراعا واقعدن للمقام
تحملن من جو الوردية بعدما	تعالى النهار واجتزعن الصراخاً
تحلين ياقوتاً وشندراً وصيفة	وجزعا ظفاريا ودرأ تواءماً
سلكن القرى والجزع تحدى جاهلم	ووركن قوفاً واجتزعن الحارماً
ألا حبذا وجهاً ترينا بياضه	ومنسدلات كاللثاني فواحماً
واني لاسنحي فطيمة جائعاً	خيمصاً وأسنحي فطيمة طاعماً
واني لاسنحيك والخرق بيننا	مخافة أن تاتي أخالي صارماً
واني وان كلت قلوصى لراجم	بها وبنفسى يافطيم المراجم
ألا يأسه بالكوكب الطلق فاطما	وان لم يكن صرف الذوى متلائماً
ألا يأسه ثم أسلمى إن حاجق	إليك فردى من نواك فاطما
أفاطم لو أن النساء ببيلدة	وأنت باخرى لاتبعنك هائماً
مق ما يشأ ذو الود يصرم خليله	ويعبد عليه لاعمالة ظالماً
وآلى جناب حلفة فاطمته	ففسك ول اللوم ان كنت لائماً
فمن يلحق خيراً بحمد الناس أمره	ومن يغو لا يعدم على النى لائماً
ألم تر أن المرء يجذم كفه	ويجشم من لوم الصديق الجاشم
أمن حلم أصبعت تنكت واجباً	وقد تعترى الاحلام من كان نائماً

عما ذكرناه وان القوم استعجلوا عقاب الله تعالى { فقالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا } الى قوله (ولا ينفعكم نصحي) فاخبر ان نصحه لا ينفع من يريد الله تعالى أن ينزل به العذاب ولا يغني عنه شيئاً . . . وقال جعفر بن حرب ان الآية تتعاقب بانه كان في قوم نوح عليه السلام طائفة تقول بالجبر فذهبهم الله تعالى بهذا القول على فساد مذهبهم وقال لهم على طريق الإنكار والنعجب من قولهم ان كان القول كما تقولون من أن الله يفعل فيكم الكفر والفساد فما ينفعكم نصحي فلا تطلبوا . في نصحا وأنتم على ذلك لا تنفعون به وهذا جيد . . . وروى عن الحسن البصري في هذه الآية وجه صالح وهو أنه قال المعنى فيها ان الله يريد أن يعذبكم فليس ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم وان قبلتموه وآمنتم به لأن من حكم الله تعالى أن لا يقبل الايمان عند نزول العذاب وهذا كله واضح في زوال الشبهة بالآية . . . [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه ومن مستحسن ما قيل في صفة المصلوب قول أبي تمام في قصيدة يمدح بها المتصم ويذكر قتل الافشين وحرقه وصلبه

ما زال سرُّ الكفر بين ضلوعه	حتى اضطلَّ سرُّ الزناد الواري
ناراً يساورُ جسمه من حرِّها	لهبٌ كما عصفت شقُّ إزار
طارَتْ لها شعلٌ يهدمُ لفحها	أزكاهُ هذماً بنغير غبار
فصلن منه كلَّ تجمع مفصل	وفعلن فارقة بكلِّ فقار
مشبوبة رُفعت لأعظم مشرك	ما كان يرفع ضوءها للساري
صلي لها حياً وكان وفودها	مينا ويدخلها مع الكفار
وكذلك أهل النار في الدنيا هم	يوم القيامة جلُّ أهل النار
يا مشهداً صدرت بفرحتي إلي	أمصارها القصوي بنو الأمصار
رَمَوْا أعالي جذعه فكأنما	رمقوا الهلال عشيّة الإفطار

وَأَسْتَنْشَقُوا مِنْهُ قَتَارًا نَشَرُهُ
وَتَحَدَّثُوا عَنْ هَالِكِهِ كَحَدِيثٍ مِنْ
قَدْ كَانَ بَوَّاهُ الْخَلِيفَةُ جَانِبًا
فَسَقَاهُ مَاءَ الْخَفَضِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ
وَلَقَدْ شَفَى الْأَحْشَاءَ مِنْ تَرْحَاتِهَا
ثَانِيهِ فِي كِبَدِ السَّمَاءِ وَلَمْ يَكُنْ
فَكَأَنَّمَا انْتَبَذَا لِكَيْمَا يَطْوِيَا
سُودُ اللَّبَاسِ كَأَنَّمَا نَسَجَتْ لَهُمْ
بَكَرُوا وَأَسْرَوَا فِي مَتُونِ ضَوَامِرٍ
لَا يَبْرَحُونَ وَمَنْ رَأَاهُمْ خَالَهُمْ
كَادُوا النُّبُوَّةَ وَالْهُدَى فَتَقَطَّعَتْ

مِنْ عَنَبٍ دَفِيرٍ وَمِسْكٍ دَارِي
بَالْبَدْوِ عَنْ مُتَابِعِ الْأَمْطَارِ
مِنْ قَلْبِهِ حَرَمًا عَلَى الْأَقْدَارِ
وَأَنَامَهُ فِي الْأَمْنِ غَيْرَ غَرَارٍ
أَنْ صَارَ بَابُكَ جَارِمًا زِيَارٍ
كَاثْنَيْنِ ثَانٍ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ^(١)
عَنْ بَاطِسٍ خَبَرًا مِنَ الْأَخْبَارِ
أَيْدِي السَّوْمِ مَدَارِعًا مِنْ قَارٍ
فَبَدَتْ لَهُمْ مِنْ مَرَبِطِ النَّجَارِ
أَبْدًا عَلَى سَفَرٍ مِنَ الْأَسْفَارِ
أَغْنَاهُمْ فِي ذَلِكَ الْمَضَامِرِ

(١) قوله - ولم يكن كاثنين ثَانٍ الخ - قد غلط بعض الفضلاء أبا تمام في هذا التركيب قال لأنه إنما يقال ثَانِي اثْنَيْنِ وثَلَاثِ ثَلَاثَةٍ ورَابِعِ أَرْبَعَةٍ ولا يقال اثْنَيْنِ ثَانٍ ولا ثَلَاثَةٍ ثَالٍ ولا أَرْبَعَةٍ رَابِعٍ .. وأجاب بعضهم بأن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا وتأنيلاً للتركيب وتفسيرًا وهو أن التقدير ولم يكن كاثنين إذ هما في الغار ثَانٍ والمراد أنه لم يكن كهذه القضية قضية أخرى .. وقال بعضهم إن ثَانِيهِ خبر ثَانٍ لصار ولكن جعل من قبله اعطى القوس باريها في ترك النصب إذ هو خبر لمبتدأ محذوف ولم يكن بمعنى لم يصبر لقربنة سباق إن صار وثَانٍ اسمه وتوحيده عوض عن الضمير المضاف إليه وكاثنين خبره وفيه مضاف محذوف والمآل ولم يصبر ثَانِيهِ كَثَانِي اثْنَيْنِ إذ هما في الغار لأنهما تجاورا في العلو لاني الغور والغرض أن يصف مصلوبه بالارتفاع لكن في المصطب وهو من التحكم المبيح

وله يذ كر صلب بابك

لَمَّا قَضَى رَمَضَانُ مِنْهُ قَضَاءَهُ
مَازَالَ مَغْلُولَ الْعَرِيْمَةِ سَادِرًا
لَمَّا اسْتَبَانَ فَظَاظَةَ الْخُلْخَالِ
مُسْتَبْسِلًا لِلْمَوْتِ طَوْقًا مِنْ دَمٍ
مَنْ عَافَ مَتَنَ الْأَسْمَرِ الْعَسَالِ
أَهْدَى لِمَتَنِ الْجَذَعِ مَتْنِيَهُ كَذَا
مَعَ أَنَّهُ مِنْ كُلِّ كَعْبٍ عَالِ
لَا كَعْبُ أَسْفَلَ مُوضَعًا مِنْ كَعْبِهِ
سَامٍ كَأَنَّ الْعِزَّ يَجْذِبُ ضَبْعَهُ
وَسُمُوهُ مِنْ ذِلَّةٍ وَسِفَالِ
مُتَفَرِّغٌ أَبَدًا وَلَيْسَ بِفَارِغٍ
مَنْ لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى الْأَشْغَالِ

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه . . . ومن عجيب الأمور ان أبا العباس أحمد ابن عبد الله بن عمار ينشد هذه الأبيات المفرطة في الحسن في جملة مقابح أبي تمام وما خرجه بزعمه من سقطه وغلطه ويقول في عقبها ولم لسمع في شعر وصف فيه مصلوب باغت من هذا الوصف وأين كان عن مثل إبراهيم بن المهدي يصف صلب بابك في قصيدة يمدح بها المعتصم

مَازَالَ يَعْغِفُ بِالنَّعْمَى فَنَفَرَهَا
عِنْدَ الْعُمُوطِ وَوَاقَتَهُ الْأَرَاصِيدُ
حَتَّى عَلَى حَيْثُ لَا يَنْحَطُّ مُجْتَمِعًا
كَمَا عَلَا أَبَدًا مَا أَوْرَقَ الْعُودُ
يَابِقَعَةً ضُرِبَتْ فِيهَا عَلَاوَتُهُ
وَعُنُقُهُ وَذَوَتْ أَغْصَانُهُ الْمِيدُ
بُورِكْتَ أَرْضًا وَأَوْطَانًا مَبَارَكَةً
مَاعْنَكَ فِي الْأَرْضِ لِلتَّقْدِيسِ تَعْمِيدُ
لَوْ تَقْدَرُ الْأَرْضُ حُبَّتَكَ الْبِلَادُ فَلَا
يَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا حَجَّ جَلْمُودُ
لَمْ يَبِكْ إِبْلِيسُ إِلَّا حِينَ أَبْصَرَهُ
فِي زِيهِ وَهُوَ فَوْقَ النَّيْلِ مَصْفُودُ
كَنَافَةِ النَّحْرِ تُزْهِى تَحْتَ زِينَتِهَا
وَحَدُّ شَفَرَتِهَا لِلنَّحْرِ عَدُودُ

مَا كَانَ أَحْسَنَ قَوْلِ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ أَيُّومُ بَابِكَ هَذَا أَمْ هُوَ الْعِيدُ
صَبَّرْتَ جِثَّتَهُ جِيدًا لِبَاسِقَةٍ جَرْدَاءُ وَالرَّأْسُ مِنْهُ مَالُهُ جِيدُ
فَاضٍ يَلْبَبُ هُوجُ الْعَاصِفَاتِ بِهِ عَلَى الطَّرِيقِ صَلِيبًا طَرْفُهُ عُوْدُ
كَأَنَّهُ شَلُوكِبَشٍ وَالْهَوِيُّ لَهُ نُورُ شَاوِيَةٍ وَالْجَذْعُ سَفُودُ

.. وكان لا ينبغي أن يطمعن على أبيات أبي تمام من يستجيد هذه الأبيات ويفرط في
تقريبها وليت من جهل شيئاً عدل عن الخوض فيه والكلام عليه فكان ذلك أستر
عليه وأولى به وأبيات أبي تمام في نهاية القوة وجودة المعاني والالفاظ وسلامة السبك
واطراد اللسج .. وأبيات ابن المهدي مضطربة الالفاظ مختلفة اللسج متفاوتة الكلام
وما فيها شيء يحوز أن يوضع اليد عليه الا قوله

حَتَّى عَلَا حَيْثُ لَا يَنْحَطُّ مُجْتَمِعًا كَمَا عَلَا أَبَدًا مَا أَوْرَقَ الْعُوْدُ

وبعد البيت الأخير وان كان بارد الالفاظ فقد أحسن مسلم بن الوليد في قوله

مَا زَالَ يَعْنفُ بِالنُّعْمَى وَيَغْمِطُهَا حَتَّى اسْتَقَلَّ بِهِ عُوْدُ عَلَى عُوْدِ
نَصَبَتْهُ حَيْثُ تَرْتَابُ الظُّنُونُ بِهِ وَيَحْسُدُ الطَّيْرُ فِيهِ أَضْبُعُ الْبَيْدِ

وللبحري في هذا المعنى من قصيدة يمدح بها أبا سعيد أولها

لَا دِمْنَةً بِلَوَى خَبَتْ وَلَا طَلَّلُ يَرُدُّ قَوْلًا عَلَى ذِي لَوْعَةٍ يَسْلُ
إِنْ عَزَدَ مَعَكَ فِي آيِ الرُّسُومِ فَلَمْ يَصُبْ عَلَيْهَا فَمَنْدِي أَدْمَعُ بُلُّ
هَلْ أَنْتَ يَوْمًا مُعِيرِي نَظْرَةَ فَتْرَى فِي رَمْلِ يَبْرِينَ عَيْرَ اسِيرِ هَارَمَلُ
حَثُوا النَّوَى بِجُدَاةٍ مَالَهَا وَطَنُ غَيْرِ النَّوَى وَجَمَالُ مَالَهَا عَقْلُ

بقول فيها

أَمْسَى يَرُدُّ حَرِيقَ الشَّمْسِ جَانِبُهُ عَنْ بَابِكَ وَهِيَ فِي الْبَاقِينَ تَشْتَعِلُ

بِجُمْلَةِ الْبُرْدِ مِنْ أَقْصَى الثُّغُورِ إِلَى
بَسْرَ مَنْ رَأَى مِنْكَ وَسًا تَجَاذِبُهُ
أَذْنِي الْعِرَاقِ سِرَاعًا بِثُهَا عَجَلُ
أَيْدِي الشَّمَالِ فُضُولًا كُلُّهَا فُضْلُ
عَلَى مَرَاتِبِ مَا قَالُوا وَمَا فَعَلُوا
سُودًا فَعَادُوا شَبَابًا بِأَمْدٍ مَا كُتِبَلُوا
مِنْ الْمَنَايَا فَأَمْنِي وَهُوَ مُحْتَبَلُ
لَهُ الْمُنَى لَتَمْنَى أَنَّهَا عَطْلُ
أَسْرَى يُودُّونَ وَدًّا أَنَّهُمْ قِيلُوا
فِيهَا فَلا فَصْلَ إِلَّا الْكُتُبُ وَالرُّسُلُ
سَمَا لَهُ حَابِلُ الْآسَادِ فِي لَمَةٍ
حَالِي الذَّرَاعَيْنِ وَالسَّاقَيْنِ لَوْصَدَقَتْ
مِنْ تَحْتِ مَطْبَقِ أَرْضِ الشَّامِ فِي تَقَرٍّ
غَابُوا عَنِ الْأَرْضِ أَنَايَ غَيْبَهُ وَهُمْ

وله في هذا المعنى

مَازِلَتْ تَقَرُّعُ بَابَ بَابِكَ بِالْفَنَى
حَتَّى أَخَذَتْ بِنَصْلِ سَيْفِكَ عَنُودَ
أَخْلَيْتَ مِنْهُ النَّدَى وَهِيَ قَرَارُهُ
لَمْ يَبْقَ فِيهِ خَوْفٌ بِأَسْكَ مَطْمَعَا
قَرَّاهُ مُطَرِّدًا عَلَى أَعْوَادِهِ
مُسْتَشْرِفًا لِلشَّمْسِ مُتَنَصِّبًا لَهَا
وَتَزَوُّرُهُ فِي غَارَةٍ شَعْوَاءَ
مِنْهُ الَّذِي أَعْيَى عَلَى الْأَمْرَاءِ
وَلَصَبْتَهُ عَلَمًا بِسَامِرَاءَ
لِلطَّيْرِ فِي عَوْدٍ وَلَا إِبْدَاءَ
مِثْلَ أَطْرَادِ كَوَاكِبِ الْجَوَزَاءِ
فِي أَخْرِيَاتِ الْجَذَعِ كَالْحِرْبَاءِ



﴿ مجلس آخر ٧٥ ﴾

[تأويل آية] ٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) الآية ٠٠ فقال كيف أخبر تعالى بأنه أنزل فيه القرآن وقد أنزله في غيره من الشهور على ما جاءت به الرواية ٠٠ والظاهر يقتضى أنه أنزل الجميع فيه ٠٠ وما المعنى في قوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وهل أراد الإقامة والحضور الذين هما ضد الغيبة أو أراد المشاهدة والادراك ٠٠ الجواب أما قوله تعالى (أنزل فيه القرآن) فقد قال قوم المراد به أنه تعالى أنزل القرآن جملة واحدة الى السماء الدنيا في شهر رمضان ثم فرق أنزاله على نبيه عليه الصلاة والسلام بحسب ما تدعو الحاجة اليه ٠٠ وقال آخرون المراد بقوله تعالى (أنزل فيه القرآن) أنه أنزل في فرضه وإيجاب صومه على الخلق القرآن فيكون فيه بمعنى في فرضه كما يقول القائل أنزل الله في الزكاة كذا وكذا ويريد في فرضها وأنزل الله في الحمر كذا وكذا يريد في تحريمها ٠٠ وهذا الجواب انما هرب متكلفه من شيء وظن أنه قد اعتصم بجوابه عنه وهو بعد ثابت على ما كان عليه لأن قوله تعالى القرآن اذا كان يقتضى ظاهره انزال جميع القرآن فيجب على هذا الجواب أن يكون قد أنزل في فرض الصيام جميع القرآن ونحن نعلم أن قبلا من القرآن يخص إيجاب الصوم لشهر رمضان وان أكثره خال من ذلك ٠٠ فان قيل المراد بذلك انه أنزل في فرضه شيئا من القرآن وبمضا منه ٠٠ قيل فملا اقتصر على هذا وحمل الكلام على أنه تعالى أنزل شيء من القرآن في شهر رمضان ولم يحتج الى أن يحمل لفظة في بمعنى في فرضه وإيجاب صومه ٠٠ والجواب الصحيح أن قوله تعالى القرآن في هذا الموضع لا يفيد العموم والاستغراق وانما يفيد المجلس من غير معنى الاستغراق فكأنه قال تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه) هذا المجلس من الكلام فأى شيء نزل منه في الشهر فقد طابق الظاهر وليس لأحد أن يقول ان الالف واللام ههنا لا يكونان الا للعموم والاستغراق لانا لو سلمنا ان الالف واللام صيغة العموم والصورة المعينة لاستغراق المجلس لم يجب أن يكون ههنا بهذه الصفة لأن هذه اللفظة قد تستعمل في مواضع كثيرة

(٢١ - امالى رابع)

من الكلام ولا يراد بها أكثر من الإشارة إلى الجنس والطبقة من غير استغراق وعموم حتى يكون حمل كلام المتكلم بها على خصوص أو عموم كالتناقض لغرضه والمنافي لمراعاة ألا ترى أن القائل إذا قال فلان يأكل اللحم ويشرب الخمر وضرب الأمير اليوم للصوص وخاطب الجنند لم يفهم من كلامه إلا محض الجنس والطبقة من غير خصوص ولا عموم حتى لو قيل له فلان يأكل جميع اللحم ويشرب جميع الخمر أو بعضها لكان جوابه أنني لم أرد عمومًا ولا خصوصًا وإنما أريد أنه يأكل هذا الجنس من الطعام ويشرب هذا الجنس من الشراب فن فهم من كلامي العموم والخصوص فهو بعيد من فهم مرادي . . . وأرى كثيرًا من الناس يغلطون في هذا الموضع فيظنون أن الإشارة إلى الجنس من غير إرادة العموم والاستغراق ليست مفهومة حتى يحملوا قول من قال أردت الجنس في كل موضع وهذا بعيد ممن يظنه لأنه كما أن العموم والخصوص مفهومان في بعض بهذه الالفاظ فكذلك الإشارة إلى الجنس والطبقة من غير إرادة عموم ولا خصوص مفهومة مميزة وقد ذكرنا أمثلة ذلك . . . فأما قوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فأكثر المفسرين حملوه على أن المراد من شهد منكم الشهر من كان مقبًا في بلد غير مسافر وأبو على حمله على أن المراد به فمن أدرك الشهر وشاهده وبلغ إليه وهو متكامل الشروط فليصمه ذهب في معنى شهد إلى معنى الإدراك والمشاهدة . . . وقد طعن قوم على تأويل أبي على وقالوا ليس يحتمل الكلام إلا الوجه الأول وليس الأمر على ما ظنوه لأن الكلام يحتمل الوجهين معًا فإن كان للقول الأول ترجيح ومزية على الثاني من حيث يحتاج في الثاني من الإضمار إلى أكثر مما يحتاج إليه في الأول لأن قول الأول لا يحتاج إلى إضمار الإقامة وارتفاع السفر لأن قوله تعالى شهد يقتضى الإقامة وإنما يحتاج إلى إضمار باقي الشروط من الامكان والبلوغ وغير ذلك . . . وفي القول الثاني يحتاج مع كل ما ضمرناه في القول الأول إلى إضمار الإقامة ويكون التقدير فمن شهد الشهر وهو مقيم مطابق بالبلغ إلى سائر الشروط فمن هذا الوجه كان الأول أقوى وليس لاحد أن يقول أن شهد بنفسه من غير محذوف لا يدل على إقامة وذلك أن الظاهر من قولهم في اللغة فلان شاهد إذا أطلق ولم يضاف أفاد الإقامة في البلد وهو عندهم ضد الغائب

والمسافر وإن كانوا ربما أضافوا فقالوا فلان شاهد لكذا وشهد فلان كذا ولا يريدون هذا المعنى ففي إطلاق شهد دلالة على الإقامة من غير تقدير محذوف وهذه جملة كافية بحمد الله ٥٥ [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وجدت أبا العباس بن عمار يعيب على أبي تمام في قوله

لَمَّا اسْتَحَرَّ الْوَدَاعُ الْمَحْضُ وَأَنْصَرَمَتْ أَوَاخِرُ الصَّبْرِ وَلِي كَاطِمًا وَجَمًا
رَأَيْتَ أَحْسَنَ مَرَّتِي وَأَقْبَحَهُ مُسْتَجْمِعِينَ لِي التَّوْدِيعَ وَالْعَنَمَا^(١)

قال أبو العباس وهذا قد ذم مثله على شاعر متقدم وهو ان جمع بين كلمين إحداهما لا تناسب الأخرى وهو قول الكهيت

وَقَدْ رَأَيْنَا بِهَا حُورًا مُنْعَمَةً رُودَاتٍ كَامِلَةٍ فِيهَا الدَّلُّ وَالشَّنْبُ

[١] الأبيات من قصيدته بمدح بها اسحاق بن ابراهيم المصري ومطلعها
أَصْفَى إِلَى الْبَيْنِ مَفْتَرًا فَلَا جَرَمَا إِنْ النُّوْيِ أَسَارَتْ فِي عَقْلِهِ لَمَّا
أَصْبَحَ سِرْهَمَ أَيْلَمٍ فَرَقْتَهُمْ هَلْ كُنْتُ تَعْرِفُ سِرَّ أَبِورَثِ الصَّمَا
نَاوَا فَظَلَّتْ لَوْ شَكَ الْبَيْنِ مَقْلَتَهُ تَنْدِي نَجِيحًا وَيَنْدِي جِسْمَهُ سَقْمَا
أَطْلَهَ الْبَيْنِ حَتَّى أَنَّهُ رَجُلٌ لَوَمَاتٍ مِنْ شَفْلِهِ بِالْبَيْنِ مَا عِلْمَا
أَمَّا وَقَدْ كُنْتُمْ مِنَ الْخُدُورِ ضَجِي فَابْعَدِ اللَّهُ دَعْمَاءَ بَعْدَهَا أَكْتَمَا

لما استحضر الوداع البيتين ٥٥ ومنها

لَمْ يَطْعُ قَوْمٌ وَأَنْ كَانُوا ذَوِي رَحِمٍ إِلَّا رَأَى السَّيْفَ أَدْنَى مِنْهُمْ رَحِمَا
مَشَتْ قُلُوبُ أَنْاسٍ فِي صُدُورِهِمْ لَمَّا رَأَوْكَ تَمْشِي نَحْوَهُمْ قَدَمَا
أَمْطَرْتَهُمْ عِزْمَاتٍ لَوْ رَمِيتَ بِهَا يَوْمَ الْكُرْبَةِ رُكْنَ الدَّهْرِ لَانْدَمَا
إِذَا هُمْ نَكَبُوا كَانَتْ لَهُمْ عُقُلًا وَأَنْ هُمْ جَعَلُوا كَانَتْ لَهُمْ جُلُمَا
حَتَّى انْتَهَكَتْ بِحَدِّ السَّيْفِ أَنْفُسَهُمْ جِزَاءَ مَا انْتَهَكُوا مِنْ قَبْلِكَ الْحُرْمَا
زَالَتْ جِبَالُ شُرُورِي مِنْ كُنَائِبِهِمْ خَوْفًا وَمَا زَلَتْ أَقْدَامًا وَلَا قَدَمَا
لَمَّا مَحَضَتْ الْأَمَانِي الَّتِي احْتَلَبُوا عَادَتْ هُمُومًا وَكَانَتْ قَبْلَهُمْ هَمَا

• • فقيل له أخطأت وباعدت بقولك - الدل والشاب - أوقات كقول ذى الرمة

يَبْضَاءُ فِي شَفَتَيْهَا حَوْءٌ لَعَسُ وَفِي اللَّثَاتِ وَفِي أَنْيَابِهَا شَنْبٌ^(١)

قال فقال الطائي

• مُسْتَجْمِعِينَ لِي التَّوْدِيْعَ وَالْعِنْمَا •

فجعل المنظر القبيح للتوديع والتوديع لا يستقبح وإنما يستقبح عاقبته وهي الفراق وجعل المنظر الحسن أصابعه عند الإشارة وشبهه بالعم ولم يذكر الانامل المختضبة قال وإنما سمع قول المجنون

وَيُبْدِي الْحَصِي مِنْهَا إِذَا قَذَفَتْ بِهِ مِنَ الْبُرْدِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمُخَضَّبِ^(٢)

[١] قوله - يَبْضَاءُ يروي لمياء في شفتيها الخ - ولمياء فعلاء من اللمى وهو سمره في باطن الشفة وهو مستحسن يقال امرأة لمياء وظل المي كثيف أسود • • وقوله - حوة - بضم الحاء المهملة وتشديد الواو وهي أيضاً حمرة في الشفتين تضرب الى السواد • • وقوله - لَعَسُ - بفتح اللام والعين المهملة وفي آخره سين مهملة وهو أيضاً سمره في باطن الشفة يقال امرأة لعساء • • وقوله - وَفِي اللَّثَاتِ - بكسر اللام وتخفيف اللثاء الثلاثة جمع لثة وهي معروفة • • وقوله - شَنْبٌ - بفتح الشين المعجمة والنون • • قال الاصمعي الشذب برد وعذوبة في الاسنان ويقال هو تحديد الاسنان ودقتها والبيت يستشهد به النحويون على أن لعساً بدل غلط من حوة وهو حجة على المبرد حيث يدعي أنه لا يوجد في كلام العرب بدل الغلط لافي النظم ولا في النثر وإنما يقع في لفظ الغلط • • وأجاب بعضهم عن هذا بأن قوله لعس مصدر وصفت به الحوة تقديره حوة لعساء كما يقال حكم عدل وقول فصل أى عادل وفاصل ويقال ان في البيت تقديمًا وتأخيرًا التقدير لمياء في شفتيها حوة وفي اللثات لعس وفي أنيابها شذب • • والبيت من قصيدته المشهورة التي أولها

ما بال عينك منها المَاء ينسكب كأنه من كل مفرقة سرب

وقد استشهد به هشام بن عبد الملك فأنشده إياها فأمر بسحبه لأنه كان بعينه رمص

[٢] قوله - وَيُبْدِي الْحَصِي مِنْهَا الخ • • وقوله

قال وهذا الأصل استعاره الناس من بعد .. قال الشاعر

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوَجُوهُ دَنَا
يَبْرُؤُ أَطْرَافُ الْأُكْفِ عَنَّمِ^(١)

ولم أر لبي غير موقف ساعة
وبعد .. ألا ان ما ترمين يأم مالك
بخيف متى ترمي جمار المحصب
صدى أينان ذهب به الريح يذهب

[١] قوله - النشر مسك الخ .. البيت من قصيدة للمرقش الأكبر وتقدمت منها أبيات .. ومنها

* بهلك والد ويخاف، و
والوالدات يستفدن غنى
لود وكل ذى أب يتم
ثم على المقدار من تعقم
ماذبنا في أن غزا ملك
من آل جفنة حازم مرغم
مقابل بين العواتك وال
غاف لانكس ولا توأم
حارب واستعوى قراضبة
ليس لهم مما يجاز نعم *

ليست مياه بحارهم بعهم
جيش كفلان الشريف لهم
ينسل من خرشائه الأرقم
فبيض مصاليت وجوههم
فانقض مثل الصقر يقدمه
ل له معاضم وحرم *

كسب الخنا ونهكة المحرم
أو يجسدوا فهم به الأم
بيوتهم معهم ترم *

ركلون الكودن الاحم
ت وجن روضها وأكم
بان لم يوجد له عاقم
في قومنا عفاة وكرم
من كل ما يذني اليه الذم

بهلك والد ويخاف، و
والوالدات يستفدن غنى
ماذبنا في أن غزا ملك
مقابل بين العواتك وال
حارب واستعوى قراضبة
بيض مصاليت وجوههم
فانقض مثل الصقر يقدمه
إن يفضبوا يفضب لذلك
فدجن أخوالك عمرك والخطا
لسنا كأكوام مطاعمهم
إن يخلصوا يعبوا بخلصهم
عام ترى الطير دواخل في
ويخرج الدخان من خال السنة
حتى إذا ما الأرض زينها النبد
ذاقوا ندامة فلو أكلوا الخطا
لكننا قوم أهاب بنا
أموالنا اتى النفوس بها

قال وأغرب أبو نواس في قوله

تَبَسَّكِي فَتَذَرِي الدَّرَمَ مِنْ طَرَفِهَا وَتَلْطَمُ الْوَرْدَ بِمَنْسَابِ

قال فلم يحسن هذا العليج أن يستعير شيئاً من محاسن الفاتلين ٠٠ [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وهذا غلط من ابن عمار وسفه على أبي تمام لأن الكمية جمع بين شيئين متباعدين وهما الدل وهو الشكل والحلاوة وحسن الهيئة والشلب وهو برد الاسنان فيطاق عليه بذلك بعض العيب وأبو تمام جمع بين شيئين غير متفرقين لان التوديع انما أشار به الى ما أشارت اليه بأصبعها من وداعه عند الفراق وشبه مع ذلك أصابعها بالعم والعم نبت أغصانه غضة دقاق شبه الاصابع ٠٠ وقيل ان العم واحده غضة وهي العصاة الصغيرة البيضاء وهي أشبه شئ بالاصابع البيضاء الغضة وهذا حكاة صاحب كتاب العين ٠٠ وقيل إن العم نبت له نور أحمر تشبه به الاصابع المحضوبة فوجه حسن قوله التوديع والعم ان التوديع كان بالاصابع التي تشبه العم فجمع بينهما بذلك ولا حاجة به الى شكر الانامل المحضبة على ما ظن أبو العباس بل ذكر المشبه به أحسن وأفصح من أن يقول التوديع والانامل التي تشبه العم ٠٠ فأما قوله ان التوديع لا يستقبح وانما يستقبح عاقبته خطأ ومطالبة الشاعر بما لا يطالب بمثله الشعراء لان التوديع اذا كان منذراً بالفراق وبعد الدار وغيبة المحبوب لا محالة انه مكروه مستقبح ٠٠ وقوله مستقبح عاقبته صحيح إلا أن ما يعقبه ويخرمه لما كان عند حضوره متيقناً مذكوراً عاد الاكراه والاستقباح اليه ونحن نعلم ان الناس يتكروهون ويستقبحون تناول الاشياء الملمذة من الاغذية وغيرها اذا علموا ما في عواقبها من المكروه فان من قدم اليه طعام مسموم وأعلم بذلك يتكروهه ويستقبح تناوله لما يتوقعه من سوء عاقبته وان كان ملذاً في الحال ولم تزل الشعراء تذكر كراهتها للوداع وهرها منه لما يتصور فيه من ألم الفارقة وغصص الوحشة وهذا

لا يبعد الله التلبس والغا رات إذ قال الحميس نعم
والعدوبين المجلسين إذا ولي العشى وقد نسادى الم
يأتي الشباب الاقورين ولا تغبط أخاك أن يقال حكم

معروف مشهور .. وقد قال فيه أبو تمام

ءَالْفَةِ النَّجِيبِ كَمْ افْتَرَاقُ أَظَلَّ فَكَانَ دَاعِيَةً أَجْتِمَاعُ
وَلَيْسَتْ فَرَحُهُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا لِمَوْفُوفٍ عَلَى تَرَحِّ الْوَدَاعِ

فجعل للوداع ترحا يقابل فرح الایاب وهذا صحيح .. فأما قول جرير

أَتَدْسِي إِذْ تُودِعُنَا سُلَيْمِي بَفَرْعٍ بِشَامَةٍ سَقِيٍّ الْبِشَامِ^(١)

وانه دما للبشام وهو شجر بالسقي لانها ودعته عنده فسر بتوديعها .. وقول الشاعر

مَنْ يَكُنْ يَكُنْ يَكْرَهُ الْوَدَاعَ فَاتِي أَشْتَهِيهِ لِمَوْضِعِ التَّسْلِيمِ
إِنَّ فِيهِ إِعْتِنَاةً لَوَدَاعِ وَانْتِظَارَ اعْتِنَاةٍ لِقُدُومِ

فن شأن الشعراء أن يتصرفوا في المعاني بحسب أغراضهم وقصودهم اذا رأى أحدهم

[١] قوله - أتدسي الخ - هو من قصيدة طويلة يذم فيها تغلب ويهجو الاخطل

.. وأولها قوله

مَنْ كَانَ الْخِيَامُ بِذِي طُلُوحٍ	سَقِيتَ الْغَيْثَ أَيْتَهَا الْخِيَامُ
وَمِنْهَا	بَنَفْسِي مِنْ نَجْبِهِ عَزِيزُ
وَمَنْ أَمْسَى وَأَصْبَحَ لَا أَرَاهُ	وَيَعَارِقُنِي إِذَا جَمَعَ النِّيَامُ
وَمِنْهَا	عَوِي الشُّعْرَاءُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ
كَأَنَّهُمْ التَّمَالِبُ حِينَ تَأْتِي	عَلَى فَقْدِ أَصَابِهِمْ - انْتِقَامُ
إِذَا أَقْلَعَتْ صَاعِقَةٌ عَلَيْهِمْ	هَزَبَ رَأْيِي فِي الْعَرَبِينَ لَهُ اتِّحَامُ
فَصَطَلُمُ الْمَسَامِعُ أَوْ خَعِي	رَأَوْا الْآخِرَى تَحْرِقُ فَاسْتَهَامُوا
إِذَا شَاؤُوا مَدَدَتْ لَهُمْ حُضَارًا	وَأَخْرَ عَظَامَ هَامَتِهِ حِطَامُ
قَضَى لِي أَنْ أَصِلَ خَنْدَقِي	وَتَقَرَّبًا مَخَالِطُهُ عَذَامُ
وَمِنْهَا	وَغَضِبَ فِي عَوَاقِبِهِ السَّمَاءُ
إِذَا مَا خَنْدَقَ زَحْرَتِ وَقَيْسٍ	فَإِنْ جَبَالَ عَزَى لَأَتْرَامُ
هَمَّ حُدُبُوا عَلَى وَمَكْنُونِي	بِأَفِيحٍ لَا يَزَالُ بِهِ الْمَقَامُ

مدح شيء قصد الى أحسن أوصافه فذكرها وأشار بها حتى كأنه لا وصف له الا ذلك الوصف الحسن فإذا أراد ذمه قصد الى أقبح أحواله فذكرها حتى كأنه لا شيء فيه غير ذلك وكل مصيب بحسب قصده ولهذا ترى أحدهم يقصد الى مدح الشيء فيذكر مافيه من وقار وخشوع وان العمر منه أطول وما أشبه ذلك ويقصد الى ذمه فيصف مافيه من الادناء الى الاجل وانه أدخل الانوان وأبغضها الى النساء وما أشبه ذلك وهذه سبيلهم في كل شيء وصفوه ولمدحهم موضعه ولذمهم موضعه فن ذمّ الوداع لما فيه من الانذار بالفراق وبعد الدار قد ذهب مذهباً صحيحاً كما إن من مدحه لما فيه من القرب من المحبوب والسرور بالنظر اليه وان كان يسيراً قد ذهب أيضاً مذهباً صحيحاً . . ومن غلط ابن عمار التبيين قوله بعد أن أنشد شعر المجنون وهذا هو الاصل ثم استعاره الناس من بعده . . فقال الشاعر

الذَّشْرُ مِسْكٌ وَالْجَوْهُ دَنَّا نَيْرُ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَدَنَمْ

وهذا الشعر للمرقش الاكبر وهو والمرقش الاصغر كانا جميعاً على عهد ربيعة وشهدا
حرب بكر بن وائل فكيف يكون قول المرقش الاكبر بعد قول المجنون لولا الغفلة



— مجلس آخر ۷۶ —

[تأويل آية] ۰۰ إن سأل سائل عن قوله تعالى (وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان) الآية ۰۰ فقال كيف يكون ذلك والفرقان هو القرآن ولم يؤت موسى القرآن وإنما اختص به محمد عليه الصلاة والسلام ۰۰ الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه ۰۰ أولها أن يكون الفرقان بمعنى الكتاب المتقدم ذكره وهو الثوراء ولا يكون إسماء هنا للقرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ويحسن نسقه على الكتاب لمخالفته لافظه كما قال تعالى (الكتاب والحكمة) وإن كانت الحكمة مما يتضمنها الكتاب وكتب الله تعالى كلها فرقان تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام ۰۰ ويستشهد على هذا

الوجه بقول طرفه

فَمَالِي أَرَانِي وَأَبْنَى عَمِّي مَا لَكَ مَا مَتَى أُذْنُ مِنْهُ يَنَّا عَنِّي وَيَبْعُدُ

فاسق يبعد على يَنَّا وهو بعينه وحسن ذلك اختلاف اللفظين .. وقال عدي بن زيد

وَقَدَّمَتِ الْأَدِيمَ لِزَاهِشِيهِ وَالْفَا قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنَا

والمين الكذب .. وثانها أن يراد بالفرقان الفرق بين الحلال والحرام والفرق بين موسى عليه السلام وأصحابه المؤمنين وبين فرعون وأصحابه الكافرين لأن الله تعالى قد فرق بينهم في أمور كثيرة منها أنه نجي هؤلاء وغرق أولئك .. وثانها أن يكون الكتاب عبارة عن التوراة والانجيل والفرقان انفراق البحر الذي أوتيته موسى عليه السلام .. ورابعها أن يكون الفرقان القرآن المنزل على نبينا عليه الصلاة والسلام، يكون المعنى في ذلك وآتينا موسى التوراة والتصديق والايمان بالفرقان الذي هو القرآن لأن موسى عليه السلام كان مؤمناً بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به وبإشرا ببعثته وساغ حذف التوراة والايمان والتصديق وما جرى مجراه وإقامة الفرقان مقامه كما ساغ في قوله تعالى (واسأل القرية) وهو يريد أهل القرية .. وخامسها أن يكون المراد الفرقان ويكون تقدير الكلام (واذ آتينا موسى الكتاب) الذي هو التوراة وآتينا محمد صلى الله عليه وسلم الفرقان لحذف ما يتضمنه الكلام كما حذف الشاعر في قوله

تَرَاهُ كَأَنَّ اللَّهَ يَجْدَعُ أَنْفَهُ وَعَيْنِيهِ إِنْ وَلَاهُ كَانَ لَهُ وَفَرٌ^(١)

[١] قوله - ترام كأن الله يجدع أنفه الخ - يجدع أنفه - أي يقطعه - والمولى - هنا المراد به الجار أو الصاحب - وكان - بروي بدله وثاب بالثلاثة أي رجوع من بعد ذهابه - والوفر - بفتح الواو وسكون الفاء وفي آخره راء مهملة وهو المال الكثير .. وروي دثر وهو بلام المعنى الاول وهذا في ذم شخص حاسد يحسد جاره إذا رجع من سفره بمال كثير فيصير من شدة حسده كأن الله يجدع أنفه ويقلع عينيه .. والبيت يستشهد به النحاة على حذف العالم المعطوف وإبقاء معموله إذ التقدير ويقفأ عليه كما في قوله تعالى (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم) أي واعتقدوا الايمان والبيت لاز برقان بن بدر (٢٢ ... المالى رابع)

أراد ويفقأ عينيه لأن الجذع لا يكون بالعين واكتفى بجذع عن يفقأ .. وقال الشاعر
 تَسْمَعُ لِلْأَحْشَاءِ مِنْهُ لَغَطًا وَلِلْيَدَيْنِ حَشَاءً وَبَدَا
 أي وتري لليدين لان الحشاة والبدد لا يسمعان وانما يريان .. وقال الآخر
 عَلَفَتْهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا حَتَّى شَتَّتْ هَمَالَةً عَيْنَاهَا^(١)
 أراد وسقيتها ماء بارداً فدل علفت على سقيت .. وقال الآخر

يَأْلَيْتَ بِعَمَلِكِ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّداً سَيْفًا وَرَحَاً

أراد حامل الرمحاً .. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وجدت أبا بكر بن الانباري
 يقول إن الاستشهاد بهذه الايات لا يجوز على هذا الوجه لأن الايات اكتفى فيها بذكر
 فدل عن ذكر فعل غيره والآية اكتفى فيها باسم دون اسم .. والأشهر وان كان على منقاه
 رضى الله عنه ونسبه الجاحظ لخالد بن الصليقان وقبلة

ومولى كولى الزبرقان دميته كما دمت ساق يهاض بها كسر
 إذا ما أحالت والجبار فوقها مضى الحول لابرء ميين ولا جبر
 البيت .. وبعده ترى الشر قد أفنى دوائر وجهه كضرب الكدى أفنى برائته الجفر

[١] قوله - علفها تبناً الح .. هذا الرجز يستشهد به النحاة في باب المفعول معه
 ويقولون ان الماء معطوف على اللبن فلا يصح أن الواو في قوله وماء للعية والمصاحبة
 لانعدام معنى المصاحبة ولا يشارك قوله وماء فيما قبله فتعين أن ينصب بفعل مضمر يدل
 عليه سياق الكلام وهو أن يقال التقدير علفها تبناً وسقيتها ماء .. وقال ابن عصفور
 أنهم ذهبوا إلى أن الاسم الذى بعد الواو معطوف على الاسم الذى قبلها ويكون العامل
 فى الاسم الذى قبل الواو قد ضمن فى ذلك معنى يتسلط على الاسمين فيضمن علفها
 معنى أطعمتها لأنه إذا علفها فقد أطعمها فكأنه قال أطعمتها تبناً وماء ويقال أطعمته ماء
 .. قل الله تعالى (ومن لم يطعمه فإنه منى) .. وروى

لم حططت الرحل عنها واردا علفتها تبناً ومنه باردا

ورواية الاصل أشهر ولا يعرف قائله ونسبه بعضهم لذي الرمة وليس فى ديوانه

في الاسم والفعل فان موضع الاستشهاد صحيح لأن الاكتفاء في الايات بفعل عن فعل
انما حسن من حيث دل الكلام على المحذوف والمضمر فانتضاء حذف تمويلا على أن
المراد مفهوم غير ملتبس ولا مشتبه وهذا المعنى قائم في الآية وان كان المحذوف إسمها لأن
اللبس قد زال والشبهة قد أمنت في المراد بهذا الحذف فحسن لأن الفرقان إذا كان إسمها
للقرآن وكان من المعلوم ان القرآن انما أنزل على نبينا عليه الصلاة والسلام دون موسى عليه
السلام استغنى عن أن يقال وآينما محمداً صلى الله عليه وسلم القرآن كما استغنى الشاعر أن
يقول وبفقاً عيبيه وترى للبيدين حشاة وبددا وما شا كل ذلك ٠٠ الا أنه يمكن أن يقال
فيما استشهد به في جميع الأبيات ممسا لا يمكن أن يقال مثله في الآية وهو أن يقال انه
محذوف ولا تقدير لفعل مضمر بل الكلام في كل بيت منها محمول على المعنى ومعطوف
عليه لانه لما قال - تراء كأن الله يجرد أنفه - وكان معنى الجرد هو الافساد للعضو والتشويه
به عطف على المعنى فقال وعيبيه فكأنه قال كأن الله يجرد أنفه أى يفسده ويشوهه ثم
قال وعيبيه وكذلك لما كان السامع للفظ الاحشاء عالماً به عطف على المعنى فقال
ولليدين حشاة وبددا أي انه يعلم هذا وذلك ممأ وكذلك لما كان في قوله علفت معنى
غذيت عطف عليه الماء لأنه مما يقتضى به وكذلك لما كان المتقصد للسيف حاملاً له ^(١) جاز
[١] قوله - لما كان المتقصد للسيف حاملاً له الخ ٠٠ عبارة بعض العلماء لأن التقيد نوع
من الحمل قال ولأجل هذا الذي ذكرناه من حكم العطف بالواو قلنا في قوله تعالى
(وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين) في قراءة من خفض الأرجل إذا الرجل
تغسل والرؤس تمسح ولم يوجب عطفها على الرؤس أن تكون ممدوحة كحج الرؤس
لأن الدرب تستعمل المسح على معنيين أحدهما التضع والآخر الغسل حق روى
أبو زيد تمسحت للصلاة أي توضأت ٠٠ وقال الراجز * أشليت عنزي ومسحت قعي *
أراد انه غسله ليحارب فيه فلما كان المسح نوعين أوجبنا لكل عضو ما يليق به إذا كانت
واو العطف كما قلنا إنما توجب الاشتراك في نوع الفعل وجلسه لافي كميته ولا في كميته
فالتضع والمسح جميعهما جنس الطهارة كما جمع تغل السيف وحمل الرمح جنس التأهب
لالحرب والتسلح

أن يعطف عليه الرح المحمول وهذا أولى في الطعن على الاستشهاد بهذه الآيات مما ذكره ابن الأنباري ٥٥ [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه أخبرنا أبو الحسن على بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى العلولى قال أخبرنا يحيى بن على بن يحيى المنجم قال أخبرنا أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري عن الهيثم بن عدى قال لما دخل خالد بن صفوان الأهمي على هشام بن عبد الملك وذلك بعد عزله خالد بن عبد الله القسري قال فالفيتة جالسا على كرسي في بركة ماؤها الى الكهين فدعالي بكرسي فجلست عليه فقال يا خالد رب خالد جلس بحاسك كان الوط بياي وأحب الى فقلت يا أمير المؤمنين ان حاكم لا يضييق عنه فلو صفحت عن جرمه فقال يا خالد ان خلدأ أدل فأمل وأوجف فأحجف ولم يدع لراجع مرجما ولا لعوده موضعاً ثم قال ألا أخبرك عنه يا بن صفوان قلت نعم قال انه ما بدأني بسؤال حاجة منذ قدم العراق حتى أكون أنا الذي أبدأ بها قال خالد فذاك أخرى أن ترجع اليه ٥٥ فقال متمثلا

إِذَا انْصَرَفْتَ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكُنْ إِلَيْهِ بِوَجْهِ آخِرِ الدَّهْرِ تُقْبَلُ
ثم قال حاجتك يا بن صفوان قلت تزيدني في عطائي عشرة دنانير فاطرق ثم قال ولم وفيه العبادة أحدثها فنعينك عليها أم لبلاء حسن أبليت عند أمير المؤمنين أم لماذا يا بن صفوان إذا بكثرة السؤال ولا يحتمل ذلك بيت المال قال فقلت يا أمير المؤمنين وفقك الله وسددك أنت والله كما قال أخو خزاعة

إِذَا الْمَالُ لَمْ يُوجِبْ عَلَيْكَ عَطَاءَهُ قَرَابَةُ قُرْبَى أَوْ صَدِيقٌ تُؤَافِقُهُ

وَنَعْتٌ وَبَعْضُ الْمَنْعِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ وَلَمْ يُفْتَلِتْكَ الْمَالُ إِلَّا حَتَمَاتُهُ

فما قدم خالد البصرة فبذل له ماله الذي حمله على تزيين الامساك له قال أحببت أن يمنع غيري كما منعني فيكثر من يلومه ٥٥ [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه وكان خالد مشهوراً بالبلاغة وحسن العبارة ٥٥ وبالسناد المتقدم عن المدائني قال قال حفص ابن معاوية بن عمرو بن العلاء قلت لخالد يا أبا صفوان اني لا كره أن تموت وأنت من أيسر أهل البصرة فلا يهلكك الا الامناء قال فابغى امرأة فأت صفها لي أطبها لك قال بكرأ

— — — — —

○ مجلس آخر ۷۷ ○

[تأويل آية ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (انه ليحزنك الذي تقولون فانهم لا يكذبونك والى العالمين بآيات الله يجحدون) ٠٠ فقال كيف يخبر تعالى أنهم لا يكذبون

نبه عليه الصلاة والسلام ومعلوم منهم إظهار التكذيب والعدول عن الاستجابة
 والتصديق وكيف ينفي عنهم التكذيب ثم يقول انهم بآيات الله يحدون وهل الجحد
 بآيات الله الا تكذيب نبه عليه الصلاة والسلام .. الجواب قلنا قد ذكر في هذه
 الآية وجوه .. أولا أن يكون انما لفي تكذيبهم بقلوبهم تديناً واعتقاداً وان كانوا
 مظهرين بافواههم التكذيب لأننا نعلم انه كان في المخالفين له عليه الصلاة والسلام من علم
 صدقه ولا ينكر بقلبه حتمه وهو مع ذلك معاند فيظهر بخلاف ما يبطن .. وقال تعالى
 (وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) .. وما يشهد لهذه الوجوه من طريق
 الرواية مارواه سلام بن مسكين عن أبي يزيد المدني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لقي أبا جهل فصاحه أبو جهل فقبل له ياباً الحكم أنصافح هذا الصابي فقال
 والله اني لا علم أنه نبي ولكن متى كننا تبعاً لنبى عبد منصف فانزل الله الآية ..
 وفي خبر آخر ان الاخضر بن شريق خلا بأبي جهل فقال له يا أبا الحكم أخبرني عن
 محمد صلى الله عليه وسلم أصادق هو أم كاذب فانه ليس ههنا من قريش أحد غيبي وغيرك
 يسمع كلامنا فقال له أبو جهل ويحك والله ان محمداً صادق وما كذب محمد قط ولكن
 إذا ذهب بنو قصى بالولوى والحجابة والسقاية والندوة والتبوة ماذا يكون لسائر قريش
 .. وعلى الوجه الاول يكون معنى فانهم لا يكذبونك أي لا يفعلون ذلك بحجة ولا
 يتمكنون من إبطال ما جئت به ببرهان وانما يقتصرون على الدعوى الباطلة وهذا في
 الاستعمال معروف لأن القائل يقول فلان لا يستطيع أن يكذبني ولا يدفع قولي وانما
 يريد أنه لا يتمكن من إقامة دليل على كذبه ومن حجة على دفع قوله وان كان يتمكن من
 التكذيب بلسانه وقلبه فيصير ما يقع من التكذيب من غير حجة ولا برهان غير معتد به
 .. وروى عن أمير المؤمنين على عليه السلام أنه قرأ هذه الآية بالتحريف فانهم
 لا يكذبونك على أن المراد بها انهم لا يأتون بحق هو أحق من حتمك .. وقال محمد بن
 كعب القرظي معناها لا يبطلون ما في يدك وكل ذلك يقوي هذا الوجه وسلبين ان معنى
 هذه اللفظة مشددة ترجع الى معناها مخففة .. واوجه الثاني أن يكون معنى الآية
 انهم لا يصدقونك ولا يلفونك متقولا كما يقولون قاتلته فما أجبتته أي لم أجده جباناً

وحدثته فما أكَذِبَتْهُ أَي لم أَلْفَه كاذباً ٠٠ وقال الاعشى

أَنْوِي وَقَصَّرَ لَيْلَهُ لِيَبْزُودَا فَمَضَى وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةٍ وَوَعْدَا

أى صادف منها خلف المواعيد ٠٠ ومثله قولهم أصممت القوم إذا صادفهم صماً وأخليت
الموضع إذا صادفته خالياً ٠٠ وقال الشاعر

أَيِّتُ مَعَ الْحَدَّاثِ أَيْلِي فَلَمْ أُبْنِ فَأَخْلَيْتُ فَاسْتَجَمَعْتُ عِنْدَ خَلَاثِيَا

أى أصبت مكاناً خالياً ٠٠ ومثله لهميان بن أبي خفافة

لَيْسَ أَنْيَاباً لَهُ لَوَاجِحَا أَوْسَعْنَ مِنْ أَشْدَّ وَهِ الْمَضَارِجَا

يعنى - بأوسعن - أصبن منابت واسعة فنبتن فيها ٠٠ وقال عمرو بن براق

تَحَالَفَ أَقْوَامٌ عَلَيَّ لَيْسَنِمُوا وَجَرُّوا عَلَيَّ الْحَرْبَ إِذْ أَنَا سَانِمٌ^(١)

[١] قوله - إذ أنا سانم - الرواية المشهورة سالم بدل سانم ٠٠ والبيت من قصيدة يقولها
عمرو بن براق أو براقه المذكور وكل أغار عليه رجل من مراد فأخذ خيله وأبله فذهب
بها فأتى عمرو سلمى وكانت بنت سيدهم وعن رأيها كانوا يصدرون فأخبرها أن حريماً
المرادى أغار على أبله وخيله فقالت والخمور والوبيض والشفق كالاحريض والقلة
والحضيض إن حريماً لمنيع الحيز سيد مزبذ ذو معقل حريز غير أنى أرى الجملة ستظفر
منه بعثرة بطيئة الجبرة فاعز ولا تشك فاعز عمرو واستاق كل شئ له فأتى حريم بعد ذلك
يطلب إلى عمره أن يرد عليه بعض ما أخذ منه فامتنع ورجع حريم انتهى ٠٠ وروي
من غير هذا الوجه أن الذى أغار عليه حريم الهمداني وإن عمرأ أنى امرأة كان يحدث
إليها بقل لها سلمى فأخبرها بالقصة وأنه يريد الغارة عليه فقال له ويحك لا تعرض لتلفات
حريم فأتى أخافه عليك نخالها وأغار عليه وهذا القول الأخير أصوب ومطلع القصيدة

تقول سلمى لا تعرض لتنفه وليالك عن ليل الصعاليك نائم

وكيف ينام الليل من جل ناله حسام كلون الملح أبيض صارم

غموض إذا غاض الكربة لم بدع لها طمعاً طوع العين ملازم

يقال - أسمن - بنو فلان اذا رعت ابلهم فصادفوا فيها سمناً • • وقال أبو النجم * يقان
لرائد أعشبت أنزل أى أصبت مكاناً معشياً • • وقال ذو الرمة

تُرِيكَ بَيَاضَ لَبْتِهَا وَوَجْهَهَا كَقَرْنِ الشَّمْسِ افْتَقَّ ثُمَّ زَالَ^(١)

ألم تعلمي أن الصعاليك نومهم	قليل اذا نام اخلى المسالم
إذا الليل أدجى واكفر ظلامه	وصاح من الافراط يوم جوامم
ومال بأصحاب الكرى غالباته	فاني على أمر الغواية حازم
كذبتهم وبیت الله لا تأخذونها	مراغمة مادام للسيف قائم
تحالف أقوام على ليسلموا	وجروا على الحرب اذا أنا سالم
أفا اليوم أدمى للموادة بعدما	أجبل على الحى المذاكى الصلادم
فان حريماً إذ رجاً أن أردّها	ويذهب مالى يابنة القيد حالم
متى تجمع القلب الذكى وصارما	وأنفاً حياً تجتلبك المظالم
متى تطلب المال الممنوع بالقنا	تعش ماجداً أو تخترمك المخارم
وكنت اذا قوم غزوني غزوتهم	فهل أنا في ذايك هممدان ظالم
فلا صاح حتى تقدع الخيل بالننا	وتضرب بالبيض الرقاق الجحام
ولاً من حتى تفشم الحرب جهرة	عبيدة يوماً والحروب غواشم
أستبطئ عمرو بن نعمان غارنى	وما يشبه اليقظان من هو نائم
إذا جر مولانا علينا جريرة	صبرنا لها إنا كرام دحائم
* ونصر • • ولانا ونعلم أنه	كما الناس مجروم عليه وجارم

[١] - أفق قرن الشمس - أصاب فتقاً من الدحباب فبدامنه • • والبيت من قصيدة

يمدح بها بلال بن أبى بردة وبعده

أصاب خصاصة فبدالكيل

كلا وأنفلى جانبه انفلالا

نبي لك أهل بيتك يا بن قيس

وأنت تزيدهم شرفاً جلالا

ومنها

أى وجد فتناً من السحاب وليس لاحد أن يجعل هذا الوجه مخفياً بالفراة بالتخفيف دون التشديد لأن في الوجهين معاً يمكن هذا الجواب لأن أفعلت وفعلت يجوزان في هذا الموضع وأفعلت هو الأصل ثم شددتاً كيداً وإفادة لمعنى التكرار وهذا مثل أكرمت وكرمت وأعظمت وعظمت وأوصيت ووصيت وأبغت وبغت وهو كثير ٥٥ وقال الله تعالى (فمهل الكافرين أمهرهم رويداً) إلا أن التخفيف أشبه بهذا الوجه لأن استعمال هذه اللفظة مخففة في هذا المعنى أكثر ٥٥ والوجه الثالث ما حكى الكسائي من قوله ان المراد انهم لا ينسبونك الى الكذب فيما أثبت به لأنه كان أميناً صادقاً لم يجربوا عليه كذبا وانما كانوا يدفعون ما أتى به وبدعوا انه في نفسه كذب وفي الناس من يقوي هذا الوجه وان التزم كانوا يكذبون ما أتى به وان كانوا يصدقونه في نفسه بقوله تعالى (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وقوله تعالى (وكذب به قومك وهو الحق) ولم يقل وكذبك قومك وكان الكسائي يقرأ فانهم لا يكذبونك بالتخفيف ونافع من بين سائر السبعة السابقون بالتشديد ويزعم ان ابن أ كذبه وكذبه فرقا وان معنى أ كذب الرجل انه جاء بكذب ومعنى كذبه انه كذاب في حديثه وهذا غلط وليس بين فعلت وأفعلت في هذه الكلمة فرق من طريق المعنى أكثر مما ذكرناه من أن التشديد يقتضى التكرار والتأكيّد ومع هذا لا يجوز أن يصدقوه في نفسه ويكذبوا بما أتى به لأن من المعلوم أنه عليه الصلاة والسلام كان يستشهد بمسحة مأتى به وصدقوه وانه الدين القيم والحق الذي لا يجوز العدول عنه وكيف يجوز أن يكون صادقاً في خبره

مكارم ليس يحصين مدح ولا كذبا أقول ولا اتحالا

أبو موسي لحسبك نعم جداً وشيخ الركب خالك نعم خلا

كأن الناس حين تمر حتى عوانق لم تكن تدع الحجالا

أيما يغارون إلى بلال رفاق الحج أبصرت الهلالا

فقد رفع الاله بكل أفق لصوئت يابلل سناً طوالا

كنزه الشمس ليس به خفاء وأعطيت المسابة والجبالا

سمعت الناس يتجمعون غيثاً فقات لصيدح أنجي بلالا

ومنها

وان كان الذى أنى به فاسداً بل إن كان صادقاً فالذى أنى به حق صحيح وان كان الذى أنى به فاسداً فلا بد من أن يكون فى شيء من ذلك وهو تأويل من لا يفتق المغاى ٠٠ والوجه الرابع أن يكون المعنى فى قوله تعالى فانهم لا يكذبونك أن تكذيبك واجمع المي وعائد على ولست الخنص به لأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فن كذبه فهو فى فى الحقيقة مكذب لله تعالى وراذ عليه وهذا كما يقول أحدنا لرسوله امض فى كذا فن كذبك فقد كذبتى ومن دفعك فقد دفعنى وذلك من الله على سبيل التسلية لنبيه عليه الصلاة والسلام والنعظيم والتعظيم لتكذيبه ٠٠ والوجه الخامس أن يريد فانهم لا يكذبونك فى الأمر الذى يوافق فيه تكذيبهم وان كذبوك فى غيره ٠٠ ويمكن فى الآية وجه سادس وهو أن يريد تعالى ان جميعهم لا يكذبونك وان كذبك بعضهم فهم الظالمون الذين ذكروا فى آخر الآية بأنهم يحسدون آيات الله وانما سلى نبيه عليه الصلاة والسلام بهذا القول وعزاء فلا يشكر أن يكون عليه الصلاة والسلام للاستوحش من تكذيبهم له وتلقبهم إياه بالرد عليه وظن أنه لا متبوع له عليه الصلاة والسلام منهم ولا ناصر لدينه فهم أخبره الله تعالى بان البعض وان كذبك فان فيهم من يصدقك، يتبعك وينتفع بأرشادك وهديتك وكل هذا واضح والمنة لله ٠٠ [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه من جيد الشعر قول مطرود بن كعب الخزاعي

يَأْيُهَا الرَّجُلُ الْمُجَوَّلُ رَحْلُهُ أَلَا نَزَلَتْ بِآلِ عَبْدِ مَنَافٍ (١)

هَبْلَتِكَ أَمْكُ لَوْ نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ ضَمِنُوكَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ إِقْرَافٍ

[١] قوله - يَأْيُهَا الرَّجُلُ الْمُجَوَّلُ الخ ٠٠ روى عن المطالب بن أبي وداعة عن جده قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله تعالى عنه عند باب بني شيبه فر رجل وهو يقول

يَأْيُهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلُهُ أَلَا نَزَلَتْ بِآلِ عَبْدِ الدَّارِ

هَبْلَتِكَ أَمْكُ لَوْ نَزَلَتْ بِرَحْلِهِمْ مَنَعُوكَ مِنْ عَدَمٍ وَمِنْ إِقْنَارِ

٠٠ قال فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابى بكر فقال هكذا قال الشاعر قال لاوالذي بعثك بالحق لكنه قال

الْآخِذُونَ الْعَهْدَ مِنْ آفَاقِهَا وَالرَّاحِلُونَ لِرَحَلَةِ الْإِيْلَافِ
وَالْمُطْعِمُونَ إِذَا الرِّيحُ تَنَاحَتْ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنُونَ عِجَافُ
وَالْمُفْضِلُونَ إِذَا الْمُحُولُ تَرَادَفَتْ وَالْقَائِلُونَ هَلُمَّ لِلْأَضْيَافِ
وَالْخَالِطُونَ غَنِيَهُمْ بِفَقِيرِهِمْ حَتَّى يَكُونَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِي
كَانَتْ قُرَيْشٌ بَيْضَةً فَتَمَثَّلَتْ فَالْمَحُ خَالِصَةٌ لِعَبْدٍ مَنَافٍ^(١)

•• أما قوله - والراحلون لرحلة الإيلاف - فكان هاشم صاحب إيلاف قريش الرحلتين وأول من سنها قاله الرحلتين^(٢) في الشتاء الى اليمن والحبشة والعراق وفي الصيف الى الشام •• وفي ذلك يقول ابن الزبير

يأبها الرجل المحول رحله ألا نزلت بال عبد مناف

النج كما في الاصل •• قال فقبس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هكذا سمعت الرواة ينشدونه

[١] وقوله - فالح خالصة لعبد مناف - النج والحمة صفرة البيض •• قال ابن سيدة انما يربدون فص البيضة لأن المح جوهر والصفرة عرض ولا يعبرون بالعرض عن الجوهر اللهم الا أن تكون العرب سمت مح البيضة صفرة قل وهذا مالا أعرفه وان كانت العامة قد أولعت بذلك وقوله - خالصة - روي أيضاً خالصها وخالصه ولا إشكال في الروايتين الأخيرتين •• قال ابن بري من قال خالصة بالثاء فهو في الاصل مصدر كالعافية

[٢] قوله - هالم الرحلتين - النج كان هاشم وعبد شمس والمطاب ونوفل إخوة وأكبرهم عبد شمس وأصغرهم المطاب والثلاثة السابقون لأب وأم ونوفل أخوهم لأبيهم وهم أول من أخذ لقريش العصم فالتشروا من الحرم أخذهم هاشم حبلا من ملوك الشام الروم وغسان وأخذ لهم عبد شمس حبلا من النجاشي الاكبر فاختلفوا بذلك السبب الى أرض الحبشة وأخذهم نوفل حبلا من الاكاسرة فاختلفوا بذلك السبب الى اليمن فحجر الله بهم قريشاً فسموا المجبرين واختلف في قائل هذه الابيات ف قيل هي لمطرود بن كعب الخزاعي وقيل لابن الزبير وهذا أصح ولم نر من فرقها

عَمْرُ الْعَلَاءِ هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنْتُونَ عِجَافُ
وَهُوَ الَّذِي سَنَّ الرَّحِيلَ لِقَوْمِهِ رَحَلَ الشِّتَاءَ وَرَحَلَةَ الْأَصْيَافِ

•• فأما قوله - مسـنتون - فهم الذين أصابهم السفة المجذبة الشديدة •• وقوله -
والخالطون غنيهم بفقيرهم- من أحسن الكلام وأخصره إنما أراد أنهم يفضلون على الفقير
حق يعود غنياً ذا ثروة •• ولأحمد بن يوسف أبيات على هذا الوزن يمزج بها مع ولد
سعيد بن مسلم الباهلي وكان لهم صديقاً

أَبْنَاءُ سَعْدٍ إِنْكُمْ مِنْ مَعْشَرٍ لَا يَمْرِفُونَ كَرَامَةَ الْأَصْيَافِ
قَوْمٌ لِبَاهِلَةٍ بَنٍ يَعْصُرُ إِنْهُمْ تُسَبُّوا حَسْبَتْهُمْ لِعَبْدٍ مَنَافٍ
قَرَأُوا الْقَدَاءَ إِلَى الْعِشَاءِ وَقَرَّبُوا زَادَا لَعَمْرُ أَيْبِكَ لَيْسَ بِكَافِي
وَكَأَنَّنِي لَمَّا حَطَطْتُ إِلَيْهِمْ رَحَلِي نَزَاتُ بِأَبْرِقِ الْعِزَافِ

غير السيد المرتضى وسبب قول ابن الزبيري لها فيما قيل ان الناس أصـبحوا يوماً بمكة
وعلى باب الندوة مكتوب

أُلْهِ قَصِيصاً عَنِ الْمَجْدِ الْأَسَاطِيرِ وَرُشُوةً مِثْلَ مَا تُرْشَى السِّفَاسِيرِ
وَأَكْلَهَا الْأَحْمَ بِحُفَاً لِأَخْلَاطِهِ وَقَوْلَهَا رَحَلَتْ عَيْرَ أَنْتَ عَيْرِ

فأنكر الناس ذلك وقالوا ما قلها إلا ابن الزبيري وأجمع على ذلك رأيهم فمشوا الي بني
سهم وكان مما تنكر قريش وتعاتب عليه أن يهجو بعضها بعضاً فقالوا لبني سهم ادفعوه
الينا نحكم فيه بحكمنا قالوا وما الحكم فيه قالوا قطع لسانه قالوا فشانكم واعلموا والله
انه لا يهجوننا رجل منكم الا فاعلمنا به مثل ذلك والزبير بن عبد المطلب يومئذ غائب نحو
العين فاتحت بنو قصي بينهم فقالوا لا نأمن الزبير اذا بلغه ما قال ابن الزبيري أن يقول
شيئاً فيؤتي اليه مثل ما نأني الى هذا وكانوا أهل تناصف فاجمعوا على تخليته نخلوه وقيل
إنهم أسلموه اليهم فضر به وحلقوا شعره وربطوه الى صخرة بالحجون فاستغاث قومه
فلم يغيثوه فجعل يمدح قصياً ويسترضيهم فاطلقه بنو عبد مناف منهم وأكرموه فمدحهم
بهذا الشعر

بَيْنَا كَذَلِكَ إِذْ أَتَى كُبْرَاهُمْ يَبْحَوْنَ فِي التَّبْذِيرِ وَالْإِسْرَافِ

أراد - قرنوا الغداء الى العشاء - من بحلهم واختصارهم في المأكل . . . ويقول ان هذا الشعر حفظ وصار من أكثر ما يسيرون به ويدب به قومهم ولرب مزح جر جداً وعثرة الشعر لا تستقال والشعر يسير بحسب جودته . . . ولقد أحسن دعبل بن علي في قوله

نَعُوْى وَلَمَّا يَنْغْنَى غَيْرُ شَاوِتٍ وَغَيْرُ عَدُوٍّ قَدْ أَصْبَحَتْ مَقَاتِلُهُ

يَقُولُونَ إِنْ ذَاقَ الرَّدَى مَاتَ شِعْرُهُ وَهَيْهَاتَ عُمُرُ الشَّعْرِ طَالَتْ طَوَائِلُهُ

سَأَفْضِي بَيْتَ يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ وَيَكْثُرُ مِنْ أَهْلِ الرَّوَايَةِ حَامِلُهُ

يَمُوتُ رَدَى الشَّعْرِ مِنْ قَبْلِ رَبِّهِ وَجَيِّدُهُ يَبْقَى وَإِنْ مَاتَ قَائِلُهُ

.. ولاخر في هذا المعنى ^(١)

(١) قوله - ولاخر في هذا المعنى . . . الأبيات من قصيدة لدعبل أيضاً وه طاعها

إذا غزونا فغزانا بأنقرة وأهل سلمي بسيف البحر من حرت

هيات هيات بين المنزلين لقد أنصبت شوقي وقد طوت الدماء بيني

أحببت أهلى ولم أنظم بحبهم قالوا تعصبت جهلاً قول ذي بهن

لهم لسانى بتمريضى وممتدحي نعم وقاي وما تعجوبه مقدرني

دعني أصل رحمى إن كنت قاطعها لا بد للرحم الدنيا من الصلة

فاحفظ عشيرتك الأدين إيلهم حتماً يفرق بين الزوج - المرات

قومي بنو حمير والأزد إخوتهم وآل كندة والأحياء من عات

ثبت الحنوم فإن ساء حالهم سلوا الله يوفى فاردوا كل ذى منت

نفسى تنافسى فى كل مكرمة إلى المعالى ولو خالفها أبت

وكم زحمت طريق الموت معتزلاً بالسيف خيقاً فاداني إلى السعة

قل العواذل أودى المال قتلتهم ما بين أجر ونخر لي ومحمدة

أفسدت مالك قتلت المال بفسدني إذا بختت به والجود مصاحبي

لَا تَعْرِضَنَّ بِمَرْحٍ لِمَرْيِ نَظْنٍ مَارَاضَهُ قَلْبُهُ أَجْرَاهُ فِي الشَّفَةِ
قَرُبٌ قَافِيَةٌ بِالْمَرْحِ جَارِيَةٌ مَشْوُومَةٌ لَمْ يَرُدْ إِيمَاؤُهَا نَمَتْ
إِنِّي إِذَا قُلْتُ بَيْتًا مَاتَ قَائِلُهُ وَمَنْ يُقَالُ لَهُ وَالْبَيْتُ لَمْ يَمُتْ

﴿ مجلس آخر ٧٨ ﴾

[تأويل آية أخرى] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) الآية ٠٠ وعن قوله تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب) الآية ٠ فقال كيف يقع من أهل الآخرة أنى الشرك عن أنفسهم والقسم بالله تعالى عليه وهم كاذبون في ذلك مع أنهم عندكم في تلك الحال لا يقع منهم شيء من القبيح لمعرفتهم بالله تعالى في ضرورة ولا منهم ما يجوز هناك إلى ترك جميع القبايح وكيف قال من بعد (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وأنهم لكاذبون) فشهد عليهم بالكذب ثم علقه بما لا يصح فيه معنى الكذب وهو التفتي لأنهم تمنوا ولم يخشوا ٠٠ الجواب قلنا أول ما نقوله أنه ليس في ظاهر الآية ما يقتضي أن قولهم ما كنا مشركين إنما وقع في الآخرة دون الدنيا وإذا لم يكن ذلك في الظاهر جاز أن يكون الإخبار بتناول حال الدنيا وسقطت المسئلة وليس لأحد أن يتعلق في وقوع ذلك في الآخرة بقوله تعالى قبل الآية (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) وأنه عقب ذلك بقوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم) فيجب أن يكون الجميع مختصاً بحال الآخرة لأنه لا يمنع أن يكون الآية تتناول ما يجري في الآخرة ثم

لَا تَعْرِضَنَّ بِمَرْحٍ لِمَرْيِ نَظْنٍ مَارَاضَهُ قَلْبُهُ أَجْرَاهُ فِي الشَّفَةِ
قَرُبٌ قَافِيَةٌ بِالْمَرْحِ جَارِيَةٌ مَشْوُومَةٌ لَمْ يَرُدْ إِيمَاؤُهَا نَمَتْ
رَدَ السُّلَى مَسْنَمًا بَعْدَ قَطْعَتِهِ كَرَدَ قَافِيَةٌ مِنْ بَعْدِ مَا مَضَتْ
إِنِّي إِذَا قُلْتُ بَيْتًا مَاتَ قَائِلُهُ وَمَنْ يُقَالُ لَهُ وَالْبَيْتُ لَمْ يَمُتْ

تتلوها آية تتناول ما يجري في الدنيا لأن مطابقة كل آية لما قبلها في مثل هذا غير واجبة . . وقوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم) لا تدل أيضاً على أن ذلك يكون واقعاً بعد ما خبر تعالى عنه في الآية الأولى فكانه تعالى قال على هذا الوجه انا نحشرهم في الآخرة ونقول أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم ما كان فتنتهم وسبب ضلالهم في الدنيا الا قولهم والله ربنا ما كنا مشركين) . . وقد قيل في الآية على تسليم ان هذا القول يقع منهم في الآخرة ان المراد به انما كنا عند نفوسنا وفي اعتقادنا مشركين بل كنا نعتقد أنا على الحق والهدى . . وقوله تعالى من بعد (انظر كيف كذبوا على أنفسهم) لم يرد هذا الخبر الذي وقع منهم في الآخرة بل انه لم يذنبوا على أنفسهم في دار الدنيا باخبارهم انهم مصيبيون محققون غير مشركين وليس في الظاهر الا انهم كذبوا على أنفسهم من غير تخصيص بوقت فلم يحد على آخرة دون دنيا ولو كان للآية ظاهر يقتضى وقوع ذلك في الآخرة لحناه على الدنيا بدلالة ان أهل الآخرة لا يجزأ أن يكذبوا لانهم ماجئون الى ترك القبيح . . فأما قوله تعالى حاكياً عنهم (ياليتنا نرد) . . وقوله تعالى (فانهم لكاذبون) فمن الناس من حمل الكلام كله على وجه التخييل فصرف قوله تعالى وانهم كاذبون الى غير الامر الذي تنمونه لأن التمني لا يصح فيه معنى الصدق والكذب لانهما انما يدخلان في الاخبار المحضة لأن قول القائل ليت الله رزقني كذا وليت فلانا أعطاني مالا أهمل به كذا وكذا لا يكون كذباً ولا صدقاً وقع ما تنمونه أو لم يقع فيجوز على هذا أن يكون قوله تعالى (وانهم لكاذبون) مصروفاً الى حال الدنيا كأنه تعالى قال وهم كاذبون فيما يخبرون به عن أنفسهم في الدنيا من الاضافة واعتقاد الحق أو يريدهم كاذبون ان خبروا عن أنفسهم انهم متى ردوا آمنوا ولم يكذبوا وان كان ما كان مما حكى عنهم من التمني ليس بخبر وقد يجوز أن يحمل قوله تعالى (وانهم لكاذبون) على غير الكذب الحقيقي بل يكون المراد والمعنى انهم تمسوا مالا سبيلاً اليه فكذب أهلهم وتمنيهم وهذا مشهور في الكلام لانهم يقولون لمن تمنى مالا يدرك كذب الملك وأكسدى رجأوك وما جرى مجرى ذلك . . وقال الشاعر

كَذَبْتُمْ وَيَتَّ اللَّهُ لَا تَأْخُذُونَهَا مُرَاغِمَةً مَا دَامَ لِلسَّيْفِ قَائِمٌ

.. وقال آخر

كَذَبْتُمْ وَيَا تِ اللَّهِ لَا تَنْكِحُونَهَا بَنِي شَابَ قَرْنَاهَا تُصَرُّ وَتُخْبَرُ

ولم يرد الكذب في الاقوال بل في التفتي والأمل .. وليس لأحد أن يقول كيف يجوز من أهل الآخرة مع أن معارفهم ضرورية وانهم عارفون ان الرجوع لاسبيل اليه أن يتجنوه وذلك أنه غير ممنوع أن يفتي المتنبي ما يعلم أنه لا يحصل ولا يقع ولهذا يتعلق التفتي بما لا يكون وبما قد كان . لقوة اختصاص التفتي بما يعلم أنه لا يكون غلط قوم فجعلوا إرادة ما علم المريد أن لا يكون تنبيهاً فهذا الذي ذكرناه وجه في تأويل الآية .. وفي الماس من جعل بعض الكلام تنبيهاً وبمضه إخباراً وعلق تكذيبهم بالخبر دون ليتنا فكان تقدير الآية ياليتنا نرد وهذا هو التفتي ثم قال من بعده فانا لانكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين فاخبروا بما علم الله تعالى أنهم فيا كاذبون وان لم يعلموا من أنفسهم مثل ذلك فلمنا كذبهم تعالى وكل هذا واضح بحمد الله .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني أحمد بن عبد الله وعبد الله بن يحيى العسكريان قالا حدثنا الحسن بن عيسى العنبري قال حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله العبدى قال حدثنا أبو مسهر رجز منا من بنى غنم بن عبيد الله الفيس قال : د منصور بن سلمة التميمي على البرامكة وهو شيخ كبير وكان مهوان بن أبي حنيفة صديقاً له على انه كنت أبغضه وأمقته في الله فشكا اليّ وقال دخل علينا اليوم رجل ظننه شامياً وقد تقدمته البرامكة في الذكرك عند الرشيد فأذن له الرشيد فدخل فسام وأجاد فأذن له الرشيد فجلس قال فلو جئت منه خوفاً فقلت يانفس أنا حجازي نجدى شافيت العرب وشافيتي وهذا شامي افتراء أشعر . في قال فجعلت أرقو نفسي الى أن استشهد هارون فاذا هو والله أفصح الناس فدخلني له حسد فأشده قسيدة تمنيت أنها لي وان عني غمراً فقلت له ما هي قال أحفظ منها أبياتاً وهي

أَيِّرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ خُضْنَا غَمَارَ الْمَوْتِ مِنْ بَلَدِ شَطِيرِ
مُخَوِّصِ كَالْأَهْلَةِ خَائِفَاتِ حَمَلْنَ عَلَى الشَّرِيِّ وَعَلَى الْهَجِيرِ
حَمَلْنَ إِلَيْكَ آمَالاً عِظَامًا وَمِثْلَ الصَّبْحِ وَالْبَدْرِ الْمُنِيرِ

وَقَدْ وَقَفَ الْمَدِيحُ بِمُنْتَهَاهُ وَغَايَتِهِ وَصَارَ إِلَى الْمَصِيرِ

إِلَى مَنْ لَا يُشِيرُ إِلَى سِوَاهُ إِذَا ذُكِرَ النَّدَى كَفَّ الْمُسِيرِ

قال مروان فوددت انه قد أخذ جازتي وسكت وعجبت من نخلصه الى تلك القوافي ثم ذكر ولد أمير المؤمنين علي عليه السلام فأحسن التخلّص . . ورأيت هارون يعجب بذلك فقال

يَدُّكَ فِي رِقَابِ بَنِي عَلِيٍّ وَمَنْ لَيْسَ بِالْمَنْ يَلْسِرِ

فَإِنْ شَكَرُوا فَقَدْ أَنْعَمْتَ فِيهِمْ وَإِلَّا فَالْندامةُ لِلْكَفُورِ^(١)

مَنْنْتَ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَحْيَى وَكَانَ مِنَ الْحُثُوفِ عَلَى شَفِيرِ

وَقَدْ سَخَطْتَ لِسَخَطِكَ الْمَنَايَا عَلَيْهِ فَهِيَ خَاتِمَةُ النُّشُورِ

وَلَوْ كَافَأَتْ مَا اجْتَرَحَتْ يَدَاهُ دَأَفَتْ لَهُ بِقَاصِمَةِ الظُّهُورِ

وَلَكِنْ جَلَّ حِلْمُكَ فَاجْتَبَاهُ عَلَى الْهَفَوَاتِ عَفْوٌ مِنْ قَدِيرِ

فَعَادَ كَأَنَّهُ لَمْ يَجْنِ ذَنْبًا وَقَدْ كَانَ اجْتَنَى حَسَكَ الصُّدُورِ

وَإِنَّكَ حِينَ تَبْلُغُهُ أَذَاهُ وَإِنْ ظَلَمُوا الْمُحْتَرِقُ الضَّمِيرِ

وإن الرشيد قال لما سمع هذا البيت هذا والله معنى كان في نفسي وأدخله بيت المال وحكما فيه . . عدنا إلى الخبر قال مروان وكان هارون يتبسم ويكاد يضحك للعطف ما سمع ثم أرمأ الى أن أنشد فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها

[١] وزيد فيها

وإن قالوا بنو بنت خفي ورددوا ما يناسب للذكور

وما لبني بنات من تراث مع الأعمام في ورق الزبور

بني حسن ورهط بني حسين عليكم بالسداد من الأمور

فقد ذقتم قراع بني أبيكم غداة الروح بالبيض الذكور

(٢٤ - أمالي رابع)

خَلُّوا الطَّرِيقَ لِمَعَشَرٍ عَادَتْهُمْ حَطْمُ الْمَنَاكِبِ كُلِّ يَوْمٍ زِحَامٌ^(١)
 حتى أتيت على آخرها فوالله ما عاج ذلك الرجل يعني النعميري بشعري ولا حنل به ٠٠ ثم
 أنشده منصور يومئذ

إِنَّ لِهَارُونَ إِمَامَ الْهُدَى كَنَزَيْنِ مِنْ أَجْزِوَةٍ مِنْ بَرٍّ
 يَرِيشُ مَا تَبْرِي اللَّيَالِي وَلَا تَرِيشُ أَيْدِيَهُنَّ مَا يَبْرِي
 كَأَنَّمَا الْبَدْرُ عَلَى رَحْلِهِ تَزْمِيكَ مِنْهُ مَقْلَتَا صَقَرٍ

وأنشده أيضاً

وَلَمَنْ أَضَاعَ لَقَدْ عَدْتُكَ حَافِظًا لَوْصِيَّةِ الْعَبَّاسِ بِالْأَخْوَالِ
 ٠٠ قال مهروان وأخلق به أن يغلبني وأن يعلو على عنده فاني مارأيت أحسن من تخلصه
 الى ذكر الطالبين ٠٠ وأخبرنا المرزباني قال حدثنا أبو عبد الله الحليكي قال حدثني
 يموت بن المزرع قال حدثني أبو عثمان الجاحظ قال كان منصور النعميري ينافق الرشيد
 ويذكر هارون في شعره ويريه أنه من وجوه شيعة وباطنه ومراذه بذلك على بن أبي
 طالب عليه السلام لقول النبي عليه الصلاة والسلام أنت من بمنزلة هارون من موسى
 إذ وشى به عنده بعض أعدائه وهو العنابي فقال يأمر المؤمنين هو الله الذي يقول
 مَتَى يَشْفِيكَ دَمْعُكَ مِنْ هُمُولٍ وَيَبْرُدُ مَا بَقِيَكَ مِنْ غَلِيلٍ

وأنشده أيضاً

شَاءَ مِنَ النَّاسِ رَاتِعَ هَامِلٍ يُعْلِلُونَ النَّفُوسَ بِالْبَاطِلِ
 ومنصور يصرح في هذه القصيدة بالعجائب فوجه الرشيد برجل من فزارة وأسمه أن
 يضرب عنق منصور حيث تقع عينه عليه فقدم الرجل رأس عين من بعد موت منصور
 بأيام قلائل ٠٠ قال المرزباني ويصدق قول الجاحظ ان النعميري كان يذكر هارون في

[١] ٠٠ وبعده وأرضوا بما قسم الإله لكم به ودعوا ورائة كل أصيد حام
 أني يكون وليس ذلك بكأن لبني البنسات ورائة الاعمام

شعره وهو يعنى به أمير المؤمنين علياً عليه السلام ما أنشدناه محمد بن الحسن بن دريد النخري

آلُ الرَّسُولِ خِيَارُ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَخَيْرُ آلِ رَسُولِ اللَّهِ هَارُونُ

رَضِيتُ حُكْمَكَ لَا أَبْغِي بِهِ بَدَلًا لِأَنَّ حُكْمَكَ بِالتَّوْفِيقِ مَقْرُونُ

•• وروى أن أبا عتيمة الشيعي لما أوقع بأهل ديار ربيعة أوفدت ربيعة وفداً إلى الرشيد

فيهم منصور النخري فلما صاروا بباب الرشيد أمرهم باختيار من يدخل عليه منهم

فاختاروا عدداً بعد عدد إلى أن اخناروا رجلين أحدهما النخري ليدخلا ويسألاهما ما أتجهما

وكان النخري مؤدباً لم يسمع منه شعر قط قبل ذلك ولا عرف به فلما مثل هو وصاحبه

بين يدي الرشيد قال لهما قولاً ما ريدان فأنشد النخري

مَا تَنْقُضِي حَسْرَةً مِنِّي وَلَا جَزَعُ

قال له الرشيد قل حاجتك وعد عن هذا •• فقال

إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ يُرْتَجَعُ

وأنشد القصيدة حتى أتى إلى قوله

رَكِبْتُ مِنَ النَّيْرِ عَادُوا بِابْنِ عَمِّهِمْ مِنْ هَاشِمٍ إِذْ أَلَجَّ الْأَزْلَمُ الْجَدْعُ

مَتَّوْا إِلَيْكَ بِقُرْبِي أَنْتَ تَعْرِفُهَا لَهُمْ بِهَا فِي سَنَامِ الْمَجْدِ مُطْلَعُ

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةٌ أَحْلَكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تُنْتَجِعُ

إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَاللَّهُ رَافِعُهُ وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ مِثْضَعُ

نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَالْأَبْطَالُ مُعْلِمَةٌ يَوْمَ الْوُغَى وَالْمَنَابِيَا بَيْنَهُمْ قُرْعُ

حتى أتى إلى آخرها فقال له ويحك ما حاجتك فقال يا أمير المؤمنين أخبرت الديار وأخذت

الأموال وهتك الحرم فقال اكسبوا له بكل ما يريد وأمر له بثلاثين ألف درهم واحتبس به

عنده وشخص أصحابه بالكاتب ولم يزل عنده يقول الشعر فيه حتى استأذنه في الانصراف

فأذن له ثم اتصل بالرشيد قوله

شَاءَ مِنَ النَّاسِ رَاتِعُ هَامِلٌ يُمْلَلُونَ النُّفُوسَ بِالْبَاطِلِ
تُقْتَلُ ذُرِّيَّةُ النَّبِيِّ وَتَرْجُونَ خُودَ الْجَنَانِ لِلْقَاتِلِ
مَا الشُّكُّ عِنْدِي فِي كُفْرِ قَاتِلِهِ لَكِنِّي قَدْ أَشْكُ فِي الْخَاذِلِ

فامتعض الرشيد وأخذ من يقتله فوجده في بعض الروايات ميتاً وفي أخرى عليلاً لما به
فسئل الرسول أن لا يأنم به وأن ينتظر موته ففعل ولم يبرح حتى توفي فعاد بخبر موته . . . ولانميري
لو كنت أخشي معادي حق خشيتِهِ لَمْ تَسْمُ عَيْنِي إِلَى الدُّنْيَا وَلَمْ تَنْمِ
لَكِنِّي عَنْ طَلَابِ الدِّينِ مُخْتَبِلٌ وَالْعِلْمُ مِثْلُ الْغِنَى وَالْجَهْلُ كَالْعَدَمِ
يُحَاوِلُونَ دُخُولِي فِي سَوَادِهِمْ لَقَدْ أَطَافُوا بِصَدْعٍ غَيْرِ مُلْتَمِمْ
مَا يَغْلِبُونَ النَّصَارَى وَالْيَهُودَ عَلَيَّ حُبُّ الْقُلُوبِ وَلَا الْعِبَادِ لِلصَّنَمِ

—*~*~*~*~*~*~*~*~*~*— مجلس آخر ٧٩ —

[تأويل آية] . . . إن سأل سائل عن قوله تعالى ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾
. . . فقال كيف يصح أن يسئل من لا ذنب له ولا عقل فأى فائدة في سؤالها عن ذلك وما
وجه الحكمة فيه وما الموءودة ومن أي شيء اشتقاق هذه اللفظة . . . الجواب قلنا أما معنى
سئلت ففيه وجهان . . . أحدهما أن يكون المراد أن قاتلها طواب بالحجة في قتلها وسئل
عن قتله لها بأي ذنب كان على سبيل التوبيخ والتعنيف وإقامة الحجة فالقتلة ههنا هم
المسئولون على الحقيقة لا المقتولة وإنما المقتولة مسئول عنها ويجري هذا مجرى قولهم
سألت حتى أي طالبت به ومثله قوله تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ أي
مطالباً به مسئولاً عنه . . . والوجه الآخر أن يكون السؤال توجه إليها على الحقيقة على
تبديل التوبيخ له والتقريع له والتنبية له على أنه لا حجة له في قتلها ويجري هذا
مجري قوله تعالى ليعسى عليه السلام ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ مِنْ دُونِ

الله) على طريق التوبيخ لقومه واقامة الحجّة عليهم .. فان قيل على هذا الوجه كيف يخاطب ويسأل من لا عقل له ولا فهم .. فالجواب أن في الناس من زعم ان الغرض بهذا القول اذا كان تبكيت الفاعل وتهجينه وادخال الغم عليه في ذلك الوقت على سبيل العقاب لم يمتنع ان يقع وان لم يكن من المؤدّة فهم له لأن الخطاب وان علق عليها وتوجه اليها فالغرض في الحقيقة به غيرها قالوا وهذا يجري مجرى من ضرب ظالم طفلاً من ولده فأقبل على ولده يقول له ضربت ماذنبك وبأى شيء استحل هذا منك فغرضه تبكيت الظالم لا خطاب الطفل والأولى ان يقال في هذا ان الاطفال وان كانوا من جهة العقول لا يجب في وصولهم الى الاغراض المستحقة ان يكونوا كاملي العقول كما يجب مثل ذلك في الوصول الى الثواب فان كان الخبر متظاهراً والأمة متفقة على أنهم في الآخرة وعند دخولهم الجنان يكونون على أكمل الهيئات وأفضل الاحوال وان عقولهم تكون كاملة فعلى هذا يحسن توجه الخطاب الى المؤدّة لأنها تكون في تلك الحال بمن فهم الخطاب وتعلقه وان كان الغرض منه التبكيت للقاتل واقامة الحجّة عليه .. وقد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام وابن عباس ويحيى بن يعمر ومجاهد ومسلم بن صبيح وأبي الضحى ومروان وأبي صالح وجابر بن يزيد أنهم قرؤا سئلت بفتح السين والهزة واسكان التاء بأي ذنب قتلت . وروى باسكان اللام وضم التاء الثانية على أن المؤدّة موصوفة بالسؤال والقول بأي ذنب قتلت .. وروى القطيبي عن مسلم والاعمش عن حفص عن عاصم قتلت بكسر التاء الثانية وفي سئلت مثل قراءة الجمهور بضم السين .. وروى عن أبي جعفر المسدني قتلت بالشديد واسكان التاء الثانية .. وروى عن بعضهم واذا المؤدّة سئلت بفتح الميم والواو فأما من قرأ سئلت بفتح السين فيمكن فيه الوجهان اللذان ذكرناهما من ان الله تعالى أكملها في تلك الحال وأقدرها على النطق .. والوجه الثالث أن يكون معنى سئلت أي سألها وطولب بحقها وانصف لها من ظالمها فكأنها هي السائلة تجوزاً واتساعاً ومن قرأ بفتح السين وضم التاء الثانية من قُتِلَتْ فعلى أنها هي المخاطبة بذلك ويجوز في هذا الوجه أيضاً قتلت باسكان التاء الأخيرة كقراءة الجماعة لانه اختاره عنها كما يقال سئل زيد بأي ذنب ضرب وبأي ذنب ضربت وقال يهتوي هذه

القراءة في سئلت ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله بجيء المقتول يوم القيامة وأوداجه تشخب دماً اللون لون الدم والريح ريح المسك متعلقاً بقاتله يقول يارب سل هذا فيم قتلتني فلما القراءة المأثورة عن حفص عن عاصم في ضم الناء الأخيرة من قتلت وبضم السين سئلت فمعناها (وإذا المؤودة سئلت) ماتبقي فقالت (بأي ذنب قتلت) فاضمر ما سئلت عنه وأضمر قولها وقد تضرع العرب مثل هذا لدلالة الخطاب عليه وارتفاع الاشكال عنه مثل قوله تعالى (وإذا رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا) أي ويقولان ربنا ونظائره في القرآن كثيرة جداً .. فلما قراءة من قرأ بالتشديد فالمراد به تكرار الفعل بالمؤودة ههنا وإن كان لفظها لفظ واحد فالمراد به الجنس واردة التكرار جائزة .. فلما من قرأ المؤودة بفتح الميم والواو فعلى أن المراد الرحم والقراءة وأنه يسأل عن سبب قطعها وتضييعها .. قال الله تعالى (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض) الآية .. وأما المؤودة فهي المقتولة صغيرة وكانت العرب في الجاهلية تئد البنات بأن يدفنوهن أحياء وهو قوله تعالى (أيسكه على هون أم يدسه في التراب) .. وقوله تعالى (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم) ويقال أنهم كانوا يفعلون ذلك لأمرين .. أحدهما أنهم كانوا يقولون إن الاناث بنات الله فاحلقوا البنات بالله فهو أحق بهما ناولا المر الآخرا أنهم كانوا يقولونهن خشية الاملاق قال الله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) الآية .. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وجدت أبا علي الجبلي وغيره يقول إنما قيل لها مؤودة لأنها ثقلت بالتراب الذي طرح عليها حتى ماتت وفي هذا بعض النظر لأنهم يقولون من المؤودة وأديء وأدأ والفاعل وأد والفاعلة وأدَّة ومن الثقل يقولون أدنى الشيء يؤدي إذا أنقضى أوداً .. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن العزل فقال ذاك الواد الخفي وقد روي عن جماعة من الصحابة كراهية ذلك فقال قوم في الخبر الذي ذكرناه انه منسوخ بما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قيل له ان اليهود يقولون في العزل هو المؤودة الصغرى فقال عليه الصلاة والسلام كذبت اليهود لو أراد الله أن يخلقهم لم يستطع أن يصرفه وقد يجوز أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام ذاك الواد الخفي على طريق التأكيد للترغيب

في طلب النسل وكرهية العزل لا على أنه محظور محرم .. وصعصعة بن ناجية بن عقيل
جد الفرزدق بن غالب وكان ممن فدى المؤذات في الجاهلية ونهى عن قتلهم وقيل أنه
أحيا ألف مؤودة وقيل دون ذلك .. وقد افترق الفرزدق بهذا في قوله

وَمِنَّا الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَاتِ وَأَحْيَا الْوَيْدَ فَلَمْ تَوَدِّ

وفي قوله

وَمِنَّا الَّذِي أَحْيَا الْوَيْدَ وَغَالِبٌ وَعَمَرُو وَمَنَا حَاجِبٌ وَالْأَقَارِعُ

.. وفي ذلك يقول أيضاً

أَنَا ابْنُ عِقَالٍ وَأَبْنُ لَيْلَى وَغَالِبٍ وَفَكَكَ أَغْلَالِ الْأَسِيرِ الْمَكْفَرِ

ليل - أم غالب - وعقال - هو محمد بن سفيان بن مجاشع - وفكك الأغلال - ناجية بن
عقال - والمكفر - هو الذي كفر وكبل بالحديد

وَكَانَ لَنَا شَيْخَانِ ذُو الْقَبْرِ مِنْهُمَا وَشَيْخٌ أَجَارَ النَّاسَ مِنْ كُلِّ مَقْبَرِ

- ذو القبر - غالب وكان يستجار بقبره والذي أجار الناس من القبر وأحيى الويدة صعصعة

عَلِيَّ حِينَ لَا تُحْيِي الْبَنَاتُ وَإِذْهُمْ عَكُوفٌ عَلَى الْأَصْنَامِ حَوْلَ الْمُدُورِ

أَنَا ابْنُ الَّذِي رَدَّ الْمَنِيَّةَ فَضْلُهُ وَمَا حَسَبَ دَافَقَتْ عَنْهُ بِمُورِ

أَبِي أَحَدُ الْغَيْثِينَ صَعْصَعَةُ الَّذِي مَتَى تَخَافُ الْجَوَزَاءُ وَالنَّجْمُ يُمَطِّرِ

أَجَارَ بَنَاتِ الْوَائِدِينَ وَمَنْ يُجِرُ عَلَى الْقَبْرِ يُعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ مُحْفَرِ

وَفَارِقِ لَيْلٍ مِنْ نِسَاءِ أَتَتْ بِهِ يُعَالِجُ رِيحاً لَيْلَهَا غَيْرُ مُقْمَرِ

- فارق - يعنى امرأته ما خضا شهبها بالفارق من الابل وهي الناقة التي يضربها الخاض

فتفارق الابل وتمضي على وجهها حتى تضع

فَقَالَتْ أَجْرِي مَا وَلَدْتُ فَإِنِّي أَتَيْتُكَ مِنْ هَزْلِ الْحَمُولَةِ مُتَرِ

رَأَيْ الْأَرْضَ مِنْهَا رَاحَةً فَرَمَى بِهَا إِلَى خَدَدِ مِنْهَا وَفِي شَرِّ مُحْفَرِ

فَقَالَ لَهَا نَامِي فَأَنْتِ بِذِمَّتِي لِبَنَتِكَ جَارٌ مِنْ أَيْبَاهَا الْقَتَوْرِ

— القَتَوْر — السَّيِّءُ الْخَلْقُ • • قَالَ وَأَخْبَرَنَا الْمَرْزُبَانِي قَالَ أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصَّوْلِي قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا اللَّاحِقِيُّ عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ بَكَّارٍ الضَّبِّيِّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْهَذَلِيِّ • • قَالَ الصَّوْلِيُّ وَحَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ أَبِي عُمَانَ الْمَازِنِيِّ عَنْ أَبِي عَيْبَةَ بِطَرَفٍ مِنْهُ قَالَ وَفَدَّ صَعْمَةَ بِنْتُ نَاجِيَةَ جَدِّ الْفَرَزْدَقِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَفْدٍ بَنِي تَمِيمٍ وَكَانَ صَعْمَةُ مَنَعَ الْوَأْدَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمْ يَدْعُ نِجْمًا تَشُدُّ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ فَجَاءَ الْإِسْلَامَ وَفَدَّ فِدَاً فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَرْبَعًا مِائَةً وَوُودَةً وَفِي أُخْرَى ثَلَاثًا مِائَةً فَقَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا نَبِيَّ أَنْتَ وَأُمِّي أَوْسَى فَقَالَ أَوْسَى بِكَ بِأَمِّكَ وَأَبِيكَ وَأَخْنُكَ وَأَخِيكَ وَأَدَانِيكَ أَدَانِيكَ فَقَالَ زِدْنِي فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالسَّلَامُ إِحْفَظْ مَا بَيْنَ لَحْيَيْكَ وَرَجْلَيْكَ ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا شِئْتُ بِأَعْيُنِكَ فَعَلْتَهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتَ النَّاسَ يَمُوجُونَ عَلَى غَيْرِ وَجْهِ وَلَمْ أَدْرِ أَيْنَ الصَّوَابِ غَيْرَ أَنِّي عَلِمْتُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَيْهِ فَرَأَيْتَهُمْ يَشُدُّونَ بَنَاتَهُمْ فَعَرَفْتُ أَنَّ رِبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِذَلِكَ فَلَمْ أَتْرُكْهُمْ فَقَدِيتُ مَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ • • وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى إِنَّ صَعْمَةَ لَمَّا وَفَدَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعَ قَوْلَهُ تَعَالَى (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) قَالَ حَسْبِيَ مَا بَالِي أَنْ لَا أَسْمَعَ مِنَ الْقُرْآنِ غَيْرَ هَذَا • • وَيُقَالُ أَنَّهُ اجْتَمَعَ جَرِيرٌ وَالْفَرَزْدَقُ يَوْمًا عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَاقْتَضَرَا فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ أَنَا ابْنُ حِجِّي الْمُوتِيُّ فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ أَنْتَ ابْنُ حِجِّي الْمُوتِيُّ فَقَالَ إِنْ جِئْتَنِي أَحْيَا الْمُوْدَةَ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) وَقَدْ أَحْيَى جَدِّي اثْنَيْنِ وَتِسْعِينَ مُوْدَةَ فَتَبَسَّمَ سُلَيْمَانُ وَقَالَ إِنَّكَ مَعَ شَعْرِكَ لَفَتِيهِ [تَأْوِيلُ خَبَرٍ] • • إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ مَعْنَى الْخَبَرِ الَّذِي يَرُوي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نَهَى أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وَهُوَ زَنَاءٌ • • الْجَوَابُ قُلْنَا الزَّهْنُ هُوَ الْحَافِقُ الَّذِي قَدْ ضَاقَ ذَرْعًا بِبَوْلِهِ يُقَالُ أَزْنَأُ الرَّجُلُ بِبَوْلِهِ فَهُوَ يَزْنِيهِ إِزْنَاءً • • قَالَ الْإِصْطَخِيُّ فَإِذَا دُفِعْتَ إِلَيَّ زِنَاءٌ قَعَرُهَا غَبْرَاءَ مُظْلِمَةً مِنَ الْأَحْفَارِ ^(١)

[١] البيت من قصيدة يمدح بها عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان وكان عبد الله هذا محملاً

يعنى ضيق القبر ٠٠ ويقال لانات فلان فان منزله زناه فيجزر أن يكون ضيقاً ويجوز أن يكون
عسر المرتقي وكلهما يؤل الى المعنى ويقال موضع زناه اذا كان ضيقاً صعباً ٠٠ ومن

وأول القصيدة

صدع الخليلط فشافنى أجواري ونأوك بعد تقارب ومزار
وكأنما أنا شارب جادت له بصرى بصافية الأديم عُقار
صرف تواترت الاعاجم جنبها وحما حائط عوسج بمجدار
من مسبل درجت اليه عيونه وسقاء عازب جدول مرار
حقى إذا ما أنضجته شمسه وأنا فليس عصاره كعصار
وتقصدت من غير هش عوده بال وليس بمحصرم أبكار
وتجردت بعد الهجير وضرحت صباء تبدأ شرها بقنار
وجدأ برملة يوم شرق أهلها للغور أولشقائق المذكار
وكان ظعن الحى حائش قرية داني الجنابة موانع الانمار
واذا تكشفت الخدور بذالنا بقر كوانس في ظلال مغار
واذا أطلعن من الخدور للحاجة سدوا الخصاص بأوجه أحرار
ولقد حلفت برب موسى جاهدأ والبيت ذى الحرمات والاستار
وبكل مهتبل عليه مسوحه دون السماء مسبح جار
لاحبرن لابن الخليفة مدحة ولا قدفن بها الى الامصار
قرم تمهل في أمية لم يكن فيها بذى أين ولا خوار
نبئت قناتك منهم فى أسرة بيض الوجوه مصالت أخيار
جهرأ للمعروف حين تراهم حلماء غير تنابل أشرار
قوم اذا بسط الاله ربيهم دارت رحاه بمسبل درار
واذا أريد بهم عقوبة فاجر مطرت صواعقهم عليه بنار
قوم هم نالوا التمام وأزحفت عنه مذارع آخرين قصار
وأبوك صاحب يوم أذ أبى الحكمان غير تهاب وضرار

ذلك قول أبي زبيد يصف أسداً

أَبْنُ عَرِيسِيَّةٍ عُنَابُهَا أَشْبُ
وَدُونِ غَايَتِهِ مُسْتَوْرِدٌ شَرَعُ
شَاسِي الْمُبُوطِ زَنَاءُ الْحَا مِيَيْنِ مَتَى تَنْشَعُ بِوَادِرُهُ يُخَدِّثُ لَهَا فَرَعُ^(١)

لما تبعثت الضغائن بينهم	أفضى وسار بجحفل جرار
وأهلّ إذ غنظ العدو بفياق	تحت الاشاء صريضة الآثار
حتى رأوه يجنب مسكن معلماً	والخيل جاذية على الاقتار
تسمو العيون الى عزيز بابه	معطي المهابة نافع ضرار
وترى عليه إذا العيون شزرنه	سيما الحليم وهيبة الجبار
ولقد أناجي النفس لما شقها	خوف الجنان ورهبة الاقتار
بأبي سليمان الذي لولا يد	منه عاقت بظهر أحرب عار
وإذا دفعت الى زناء بابها	غبراء مظلمة من الاجفار
لولا فواضله غداة لقيه	بالجد شاب مسابحي وعذارى
من معشر حنقين لولا أنتم	يابن الخليفة ما شدت إزارى
والشافعون مغيبون وجوههم	رزمو المقالة ناكسو الابصار

[١] البيتان من قصيدته التي أولها

من مبلغ قومنا الثائين إذ شعلوا
حال أنفال أهل الود آونة
أن الفؤاد اليهم شيق ولع
أعطهم الجهد مني بلمة مأسع

يروى أن سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه قال له يوماً يا أخا تبع المسيح أسمعنا بعض قولك فقد أنبتت أنك تجيد وكان أبو زبيد الطائي هذا نصرانياً فأنشده القصيدة ووصف الاسد فقال عثمان رضى الله عنه ثلثة نفثؤ تذكر الاسد ما حيت والله اني لأحببك جباناً هاربا قال كلا يا أمير المؤمنين ولكنى رأيت منه منظراً وشهدت منه مشهداً لا يبرح ذكره تجدد ويتردد في قلبي ومعذوري أنا غير ملوم فقال له عثمان رضى الله عنه وانى كان ذلك قال خرجت في صيابة أشرف من أبناء قبائل العرب ذوى هيئة وشارة حسنة ترمى

يعنى - بزناه الحاميين - انه ضيق جانبي الوادي ٠٠ وقوله - متى تنشع بوادره - أى يضيّق
بجماعة ممن يردّه وانما يحدث لها فزع من الأسد - والشاس - الغليظ يقال مكان شاس اذا كان
غليظاً ومن ذلك قولهم زنا فلان في الجبل اذا كابد الصعود فيه وهو يزناً في الجبل ٠٠
وروى ابن دريد ان قيس بن عاصم المنقري أخذ صبيالة يرقصه وأم ذلك الصبي منفوسة وهى

بنا المهارى با كسائها ونحن نريد الحارث بن أبي شمر التمساني ملك الشام فاخروا بنا
السير في حجارة القيط حتى إذا عصبت الافواه وذبلت الشفاه وشالت المياه وأذكت
الجوزاء المعزاء وذاب الصيخد وصرّ الجندب وأضاف العصفور الضب في وكره وجاوره
في حجره قال قائل أيها الركب غوروا بنا في دوج هذا الوادى واذا واد قد بدى لنا
كثير الدغل دائم الغللى أشجاره مغنه وأطياره مره فخططنا رحالنا باصول دوحات
كنهيات فاصبنا من فضلات الزاد وأنبعثنا الماء البارد فانا لنصف حر يومنا وبماطلته
اذ صر أقصى الخليل أذنيه وحض الارض بيديه فوالله ما لبث أن جال ثم حمحم فبال
ثم فعل فعله الفرس الذي يليه واحداً فواحداً فنضعه تحت الخيل وتكممكت الابل
وتفتممهرت البغال فمن نافر بشكاله وناهض بمقاله فعلنا أنا قد آتينا وانه السبع ففزع
كل واحد منا إلى سيفه فاستله من جربانه ثم وقفنا زردقا أرسالا وأقبل أبو الحارث
من أجمته يتظالع في مشيته كأنه مجنوب أو في عجار لصدده نحيط ولبلاعمه غطيظ
واطرفه وميض ولأرساغه نقيض كأنما يحبط هشيماً أو يطأ صريماً وإذا هامة كالجن وخد
كالسن وعينان سجروان كأنهما سراجان يتقدان وقصرة ريلة ولهدمة رهلة وكند
مغبط وزور مفرط وساعد مجدول وعضد مقنول وكف شنة البراش إلى مخالب
كالخاجن فضرب بيديه فارهج وكشر فافرج عن أنياب كالمهاول مصقولة غير مقلولة
وفم أشدق كالغار الأخرق ثم تمطي فأسرع بيديه وحفز وركبه برجليه حتى صار ظله
مثليه ثم اقي فاقشعر ثم ملأ فاكفهر ثم نجهم فازبار فالاوذو بيته في السماء ما اتقيناه
الاباخ لنا من فزاره كان ضخم الجزاره فوقمه ثم نفذه نفضة فقضة قض متنيه فجعل باخ
في دمه فذمرت أمحاجي فبعد لاى ما استقدموا فوجهجننا به فكر مقشعراً بزبره كأن به

بنت زيد الفوارس بن ضرار الضبي فجعل قيس يقول له

أشبه أبا أمك أو أشبه عمل ولا تكونن كهلوف وكل

يريد عملي^(١) - الوكل - الجبان - والهلوف - الهرم المسن وهو أيضاً الكبير اللاحية
وانما أراد به هنا الاول

* و أرق إلى الخيرات زناً في الجبل *

فاخذته أمه وجعلت ترقصه .. وتقول

أشبه أخي أو أشبهن أباكا أما أبي فلن تنال ذاكا

* تقصّر عن مثاله يداكا *

شما حولياً فاخناج رجلاً أعجز ذا حوايا فنفضه نفضة ترايلت منها مفاصله ثم همهم فقرقر
ثم زفر فبربر ثم زار فجر جر ثم لحظ فوالله خللت البرق يتطاير من تحت جفونه عن شماله
وبينه فارعشت الأيدي واصطكت الأرجل وأطت الاصلاخ وارتجت الاسماع وشخصت
العيون وتحققت الظنون وانخزلت المئون فقال له عثمان رضى الله عنه أسكت قطع الله لسانك
فقد أربعت قلوب المسلمين

[١] قوله - يريد عملي .. قال في اللسان وعمل اسم رجل وأنشد الرجز .. وفي

نوادر أبي زيد وزعموا أن قيس بن عاصم أخذ ابنه حكيماً وأمه منفوسة بنت زيد الفوارس
الضبي فرقصه وقال

أشبه أبا أمك أو أشبه عمل ولا تكونن كهلوف وكل

بيت في مقعده قد آنج - دل و أرق إلى الخيرات زناً في الجبل

أبو حاتم وأبو عثمان - عمل - وهو اسم رجل فاخذته منفوسة منه .. ثم قالت

أشبه أخى أو أشبهن أباكا أما أبي فلن تنال ذاكا

* تقصّر أن تناله يداكا *

ويروي تقصّر عن تناله كذا أنشد أبو زيد

﴿ مجلس آخر ٨٠ ﴾

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (وهديناه النجدين) الى آخر السورة .. فقال ما تأويل هذه الآية وما معنى ما تضمنته .. الجواب قلنا أما ابتداء الآية فنذ كير بنعم الله تعالى عليهم وما أراح به علمهم في تكاليفهم وما تفضل به عليهم من الآلات التي يتوصلون بها الى منافعهم ويدفعون بها المضار عنهم لأن الحاجة الى أكثر المنافع الدينية والدنيوية ماسة فالحاجة الى العينين للرؤية والالسان للنطق والشفيتين لحبس الطعام والشراب وامسا كهما في الفم والنطق أيضاً .. فاما النجدين في لغة العرب فهو الموضع المرتفع من الارض والقفور الهابط منها وانما سمى الموضع المرتفع من أرض العرب نجداً لارتفاعه .. واختلف أهل التأويل في المراد بالنجدين فذهب قوم الى أن المراد بهما طريقا الخير والشر وهذا الوجه روى عن علي بن أبي طالب عليه السلام وابن مسعود والحسن وجاعة من المفسرين .. وروى أنه قيل لأُمير المؤمنين علي عليه السلام ان أناساً يقولون في قوله (وهديناه النجدين) انهما التمديان فقال عليه السلام لانهمما الخير والشر .. وروى عن الحسن أنه قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس انهما نجدان نجد الخير ونجد الشر فاجعل نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير .. وروي عن قوم آخرين أن المراد بالنجدين نديا الام .. فان قيل كيف يكون طريق الشر مرتفعاً كطريق الخير ومعلوم أنه لا شرف ولا رفعة في الشر .. قلنا يجوز أن يكون انما سماه نجداً لظهوره وبروزه لمن كلف اجتنابه ومعلوم ان الطريقتين جميعاً باديان ظاهران ويجوز أيضاً أن يكون سمي طريق الشر نجداً من حيث يحصل في اجتناب سلوكه والعدول عنه الشرف والرفعة كما يحصل مثل ذلك في سلوك طريق الخير لأن الثواب الحاصل في اجتناب طريق الشر كالثواب في سلوك طريق الخير .. وقال قوم انما أراد بالنجدين انابصرناه وصرفناه ماله وعاليه وهديناه الى طريق استحقاق الثواب وثي النجدين على طريق عادة العرب في تشيية الأمرين اذا اتفقا في بعض الوجوه وأجرى لفظة أحدهما على الآخر كما قيل في الشمس والقمر القمران .. قال الفرزدق

* لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ ^(١)

لذلك نظائر كثيرة .. فأما قوله تعالى (فلا اقتحم العقبة) ففيه وجهان .. أحدهما
 أن يكون فلا بمعنى الجحد وبمنزلة لم أي فلم يقتحم العقبة وأكثر ما يستعمل في هذا الوجه
 تكرير لفظ لا كما قال سبحانه (فلا صدق ولا صلي) أي لم يصدق ولم يصل .. وكما
 قال الخطيب

وَأِنْ كَانَتْ النِّعْمَاءُ فِيهِمْ جَزَوْا بِهَا وَإِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَّرُوهَا وَلَا كَدَّوْا ^(٢)

[١] صدره .. أخذنا بآفاق السماء عليكم

[٢] البيت من قصيدة يمدح بها آل شماس بن لآي ومطلعها

الأطرقتنا بعد ما حجت هـند	وقد سرن خساً واتلأب بنا نـجـد
الأحبدنا هـند وأرض بها هـند	وهند أنى من دونها النأى والبـعد
وهند أنى من دونها ذو غوارب	بقمص بالبوصي معرووف ورد
وان التي نكبتها عن معاشر	على غضاب أن صددت كجـا صـدـوا
أت آل شماس بن لآي وانما	أتاهم بها الاحلام والحسب العـد
فان الشقى من تمادي صدورهم	وذو الجدم من لانواليه ومن ودوا
يسوسون أحلاما بعيداً أناتها	وان غضبوا جاء الحفيظة والجـد
أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم	من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا
أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا	وان عاهدوا أو فوا وان عقدوا شدوا
فان كانت النعمى عليهم جزوا بها	وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا
وان قال مولا هم على جل حادث	من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا
وان غاب عن لآي بغيبض كفتهم	نواشى لم تطرز شواربهم بـعد
وكيف ولم أعلمهم خذلوكم	على مغظم وإن أديكم قـدوا
مطاعين في الهجاء مكاشيف للدجي	بنى لهم أبأؤهم وبني الجـد
فن مبلغ أبناء سعد فقد سمي	الى السورة العليا لهم حازم جـلـد

وقل ما يستعمل هذا المعنى من غير تكرير لفظ. لأنهم يقولون لاجثني ولا زرتني يريدون
ما جثني وان قالوا لاجثني صلح الآن في هذه الآية ما ينوب مناب التكرار ويغنى عنه
وهو قوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) فكأنه قال فلا اقتحم العقبة ولا آمن فعني
التكرار حاصل. والوجه الآخر أن يكون لاجارية مجرى الدعاء كقولك لانجا ولا سلم
ونحو ذلك. وقال قوم فلا اقتحم العقبة أي فهلاً اقتحم العقبة أو أفلاً اقتحم العقبة قالوا
ويدل على ذلك قوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر) ولو كان أراد الذي
لم يتصل الكلام وهذا الوجه ضعيف جداً لأن قوله تعالى فلا خال من لفظ الاستفهام
وقبح حذف حرف الاستفهام في مثل هذا الموضع. وقد عيب على عمر بن أبي ربيعة قوله
ثم قالوا تحبها قلت بهراً عدد الرمل والحصى والتراب^(١)

رأي مجد أقوام أضيع ختهم على مجدهم لما رأى انه الجهد
وتعدلتني أبناء سعد عليهم وما قلت الا بالذي علمت سعد

[١] قوله - ثم قالوا تحبها - الخ. البيت يستشهد به النحويون على حذف همز الاستفهام
والاصل أحبها وقوله - بهراً - أي غيباً وجزم به ابن مالك في شرح التسهيل وأورد
البيت شاهداً على نصبه بعامل لازم الاضمار. وقيل التقدير أحبها حباً بهراً أي
غلبني غلبة وأورد الزبير بن بكار البيت بلفظ. قلت ضعفي عدد الرمل الخ. وقال
ابن الاعرابي في نوادره المهور المكروب وأنشد البيت وقيل معناه جهراً لا أكنم من
قولهم القمر الباهر أي الظاهر ضوءه وقيل معناه تباً كأنه قال تباً لهم لما أنكروا عليها
حبها لان قوله تحبها على الإنكار. والبيت من قصيدة له يقولها في معشوقته الثريا بنت
عبد الله بن الحارث لما صرته ومطلعها

قال لي صاحبي ليعلم ما بي أحب القتول أخت الرباب
قلت وجددي بها كوجدك بالعذ ب اذا مامنت برد الشراب
أزهقت أم نوفل إذ دعمتها مهجتي ما لقاتلى من مثاب
حين قالت لها أجبني فقات من دعاني قالت أبو الخطاب

فاما الترجيح بان الكلام لو اريد به النفي لم يتصل وقد ثبت انه متصل مع ان المراد به النفي لأن قوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) ملوف على قوله فلا اقتحم العقبة ثم كان من الذين آمنوا فلعني انه ما اقتحم العقبة ولا آمن على ما بينا . فاما المراد بالعقبة فاختلف فيه فقال قوم هي عقبة ملساء في جهنم واقتحامها فك رقبة . . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أمامكم عقبة كؤود لا يجوزها المثقلون وأنا أريد أن تخفف لذلك العقبة . . وروي عن ابن عباس انه قال هي عقبة كؤود في جهنم وروي أيضاً انه قال العقبة هي النار نفسها فعلى الوجه الاول يكون التفسير للعقبة بقوله فك رقبة على معنى ما يؤدي الى اقتحام هذه العقبة ويكون سبباً لجوازها والنجاة منها لأن فك رقبة وما أتى بعد ذلك ليس هو النار نفسها ولا موضعها . . وقال آخرون بل العقبة ما ورد مفسراً لها من فك الرقبة والاطعام في يوم المسغبة وانما سمي ذلك عقبة لصعوبته على النفوس ومشقته عليها وليس يليق بهذا الوجه الجواب الذي ذكرناه في معنى قوله (فلا اقتحم العقبة) وانه على وجه الدعاء لأن الدعاء لا يحسن الا بالمستحق له ولا يجوز أن تدعي على أحد بان لا يقع منه ما كلف وقوعه وفك الرقبة والاطعام المذكور من الطاعات فكيف يدعى علي أحد بأن لا يقع منه فهذا الوجه يطابق أن يكون العقبة هي النار نفسها أو عقبة فيها . . وقد اختلف الناس في قوله فك رقبة فقرأ على عليه السلام وبجاهد وأهل مكة والحسن وأبو رجا العطاردي وأبو عمرو بن العلاء والكسائي فك رقبة بفتح الكاف ونصب الرقبة وقرأوا وأطعم على الفعل دون الاسم وقرأ أهل المدينة وأهل الشام وعاصم وحزة ويحيى بن وثاب ويعقوب الحضرمي فك بضم الكاف وخفض رقبة واطعام على المصدر وتثوين الميم وضمها . . فنقرأ على الاسم ذهب الى أن جواب الاسم

فاجابت عند الدعاء كالب

أبرزوها مثل المهاة تهادي

فنبدت حتى اذا جن قلبي

وهي مكنونة تخير منها

سلبتني مجاجة المسك عتلى

ومنها

ي رجال يرجون حسن الثواب

بين خمس كواعب أتراب

حال دوني ولائد بالثياب

في أديم الخدين ماء الشباب

فسلوها ماذا أحل اغتصابي

بالاسم أكثر في الكلام وأحسن من جوابه بالفعل ألا ترى ان المعنى ما أدراك ما أقدمحام
 العقبة هو فك رقبة واطعام ذلك أحسن من أن يقال هو فك رقبة أو أطعم ومال الفراء
 الى القراءة بلفظ الفعل ورجحها بقوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) لانه فعل
 فالاولى أن يتبع فعلا وليس يمتنع أن نفس اقتحام العقبة وان كان إسما فهو فعل يدل
 على الاسم مثل قول القائل ما أدراك ما يزيد يقول مفسراً يصنع الخير ويفعل المعروف
 وما أشبه ذلك فيأتي بالافعال - والسغب - الجوع وانما أراد أنه يعلم في يوم ذي جماعة
 لأن الاطعام فيه أفضل وأكرم ٥٥ فاما - مقربة - فعناه يتماذا قربي من قرابة النسب والرحم
 وهذا حض على تقديم ذى النسب والقربى المحتاجين على الاجانب في الافصال - والمسكين -
 الفقير الشديد الفقر - والمترية - مفعلة من التراب أي هو لاصق بالارض من ضره وحاجته
 ويجرى مجرى قولهم في المقير مدقع وهو مأخوذ من الدقع وهو الارض التي لا شيء
 فيها ٥ وقال قوم ذا مترية أي ذا عيال والمرحمة مفعلة من الرحمة وقيل انه من الرحم وقد
 يمكن في مقربة أن يكون غير مأخوذ من القرابة والقربى بل من القرب الذي هو من
 الخاصرة فكأن المعنى أنه يعلم من خاصرته لصقت من شدة الجوع والضر وهذا أعم في
 المعنى من الاول وأشبه بقوله تعالى (ذامترية) لان كل ذلك مبالغة في وصفه بالضر
 وليس من المبالغة في الوصف بالضر أن يكون قريب النسب والله أعلم بمراده ٥٥ [قال
 الشريف المرتضى] رضى الله عنه ومن طريف المدح ومليحه قول الشاعر

وَكَأَنَّهُ مِنْ وَفْدِهِ عِنْدَ الْقَرَا لَوْلَا مَقَامُ الْمَادِحِ الْمُتَكَلِّمِ
 وَكَأَنَّهُ أَخَذَ النَّدَا بِثِيَابِهِ لَوْلَا مَقَالَتُهُ أَطْبَ لِلْمُؤَدِّمِ

وبقارب ذلك قول محمد بن خارجة في المعنى

سَهْلُ الْفِنَاءِ إِذَا حَلَّتْ بِبَابِهِ طَلَقُ الْيَدَيْنِ مُؤَدِّبُ الْخُدَامِ
 وَإِذَا رَأَيْتَ صَدِيقَهُ وَشَقِيقَهُ لَمْ تَذَرِ أَيُّهُمَا أَخُو الْأَزْحَامِ^(١)

[١] وقبلهما نعم الفتى فجمعت به اخوانه يوم البقيع حوادث الايام
 والابيات نسبها أبو تمام في مختار شعر القبائل لمحمد بن بشير الخارجي
 (٢٦ - رابع امالى)

ومثله لأبي الهندي

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيَا غَرِيْبَاعِنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ مَحَلِ
فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَافْتِمَادُهُمْ وَإِنْعَامُهُمْ حَتَّى حَسَبْتَهُمْ أَهْلِي

ولأنالة بن القراعى يمدح عقبة بن سنان الحارثي

أَلَمْ تَرْنِي شَكَرْتُ أَبَا سَعِيدٍ بِنِعْمَاهُ وَقَدْ كَفَرَ الدَّوَالِي
وَلَمْ أَكْفُرْ سَحَابُهُ اللَّوَاتِي مَطَرُنَ عَلَى وَاهِيَةِ الْعَزَالِي
فَمَنْ يَكُ كَافِرًا نِعْمَاهُ يَوْمًا فَإِنِّي شَاكِرٌ أُخْرَى اللَّيَالِي
فَتَى لَمْ تَطْلُعِ الشَّعْرَى بِأَفْقٍ وَلَمْ تَعْرِضْ لِيَمْنٍ أَوْ شِمَالِ
عَلَى نِدِّ لَهُ ابْنُ عَبْدِ مَجْدٍ وَمَكْرُمَةٍ وَإِتْلَافٍ لِمَالِ
وَأَصْبِرْ فِي الْحَوَادِثِ إِنَّمَتِ وَأَسْنِي لِلْمَجَامِدِ وَالْمَعَالِي
فَتَى عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْعَطَايَا فَكَيْفَ صَارُوا لَهُ أَذْنَى الْعِيَالِ

•• فأما قول جرير

لَمْ أَقْضِ مِنْ صُحْبَةِ زَيْدٍ أَرْبِي فَتَى إِذَا أَغْضَبَتْهُ لَمْ يَغْضَبِ
مُوكَلُّ الْعَيْنِ بِحِفْظِ الْغَيْبِ أَقْصَى الْفَرِيقَيْنِ لَهُ كَالْأَقْرَبِ

فانه لم يرد إن الضعيف السبب في المودة كالقوى السبب وإنما أراد أنه برعى من غيب
الرفيق البعيد الغائب حقه ما يراه من حق الشاهد الحاضر وأنه يستوى عنده لكرمه
وحسن حفاظه من بعدت داره وقربت منازلها وهذا بخلاف ما عليه أكثر الناس من
مراعاة الحاضر القريب وإهمال حق البعيد •• هذا آخر مجلس أملاء الشريف المرتضى
علم الهدى ذو المجدين أبو القاسم على بن الحسين الموسوى رضي الله عنه ثم تشاغل
بأمور الحج

فهرس الجزء الرابع من أمالى السيد المرتضى

- ٠٢ تأويل خبر كل مولود يولد على الفطرة الحديث
- ٠٤ تأويل قوله تعالى : فأقم وجهك للدين حنيفا الآية
- ٠٥ تأويل قوله صلى الله عليه وسلم فى أطفال المشركين الله أعلم بما كانوا عاملين
- ٠٥ مسألة جواز السخ فى الاخبار
- (المجلس السابع والخمسون)
- ٠٥ تأويل قوله تعالى : فأما الذين شقوا فى النار الآية
- ٠٩ استرواح بذكر تورك الآمدى على البحترى فى بعض أشعاره
- ١٠ تقرير لطيف فى الاعتذار للبحترى وفيما يجب ان يحمل عليه كلام الشاعر فى المبالغات
- (المجلس الثامن والخمسون)
- ١٥ تأويل قوله تعالى : اسمع بهم وابصر الآية
- ١٥ تأويل قوله تعالى : صم بكم عمي فهم لا يعقلون
- ١٨ مسألة فى ان ارنجاج الخياط قد يكون سببا لانتباه قريحته وتوقد فكره وانتقاله الى ما هو أبرع فى الكلام وذكر أحسن ماورد فى ذلك
- ٢٢ استطراد لذكر حكاية لطيفة فيما وقع لعبد الله بن سوار بسبب الذباب
- ٢٣ تأويل قوله تعالى : واذا نجبناكم من آل فرعون الآية
- ٢٤ مسألة فى ان البلاء يستعمل فى الخير كما يستعمل فى الشر
- ٢٥ مسألة فى ان العرب قد تخاطب الشخص بما لغيره لفكته ومناسبة
- ٢٦ استرواح بذكر شئ من المحاسن الشعرية فى الكرم وحب الضيافة والانس بهما وغير ذلك
- (المجلس الستون)
- ٣٣ تأويل قوله تعالى : ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الآية
- ٣٦ التشبيه فى اللغة العربية وغاية ماورد فيه
- ٣٦ شواهد تشبيه الواحد بالواحد
- ٣٨ شواهد تشبيه شيئين بشيئين
- ٤١ شواهد تشبيه ثلاثة بثلاثة

تجفيفه

- ٤٢ شواهد تشبيه أربعة بأربعة
- ٤٣ شواهد تشبيه خمسة بخمسة
- ٤٣ شواهد تشبيه ستة بستة وهو غاية ماورد
- (المجلس الواحد والستون)
- ٤٣ تأويل قوله تعالى : ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا الآية
- ٤٤ استرواح بذكر أشعار مستحسنة
- ٤٤ ضادية بشار
- ٤٦ ضادية أبي تمام
- ٤٧ ضادية البحترى
- ٤٨ مختارات شعر بشار في وصف الزمان
- ٤٩ مختارات من شعره في وصف الغواني والغناء والطرب
- (المجلس الثاني والستون)
- ٥٤ تأويل قوله تعالى : الله يستهزئ بهم ويمدهم الآية
- ٥٦ استطراد لذكر أن العرب تسمى الجزاء على الفعل باسمه تغليبا
- ٥٦ تسميتهم الشيء باسم شيء آخر لتعلق بينهما
- ٥٨ عود لتأويل الآية السابقة
- ٥٩ تأويل قوله تعالى : ويمدهم في طغيانهم يعمهون
- ٥٩ استرواح لذكر ما يستحسن مما ورد في ذكر الاوطان والحنين اليها
- (المجلس الثالث والستون)
- ٦٢ تأويل قوله تعالى : وقتلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوا الآية
- ٦٣ شواهد خطاب الاثنين بخطاب الجمع
- ٦٥ ذكر بعض ما يستحسن في المدائح الشهيرة
- (المجلس الرابع والستون)
- ٧١ تأويل قوله تعالى : أنظر كيف ضربوا لك الامثال الآية
- ٧١ بحث دقيق في أن القدرة هل هي مع الفعل أولا
- ٧٤ تأويل خبر معاوية بن الحكم قال قلت يا رسول الله الحديث
- ٧٥ ذكر جملة من معاني السماء والاستشهاد عليها

(المجلس الخامس والستون)

- ٧٦ تأويل قوله تعالى : اذا جاء أمرنا وفار الثنور
 ٧٧ تأويل خبر على رضى الله تعالى عنه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم الحديث
 ٧٩ استرواح بذكر أحسن ما قيل في وصف الثغر

(المجلس السادس والستون)

- ٨٧ تأويل قوله تعالى : قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة الآية
 (المجلس السابع والستون)

- ٩٦ تأويل قوله تعالى : الذى جعل لكم الارض فراشاً الآية
 ٩٦ بحث في الاستدلال بهذه الآية على ان الارض بسيطة
 ٩٩ ذكر جملة من المحاسن الشعرية فسرمت بتفاسير مختلفة وهى محتملة للكل
 (المجلس الثامن والستون)

- ١٠٥ تأويل قوله تعالى : يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء الآية
 ١٠٥ مسألة في ان هارون هل كان أخاً لمريم حقيقة أم لا
 ١٠٧ شواهد وضع الماضى موضع الحال والاستقبال وعكسه
 ١١٠ تأويل قوله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ونحوه
 ١١٣ تحقيق في مسألة العدوى

(المجلس التاسع والستون)

- ١١٥ تأويل قوله تعالى : ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً الآية
 ١١٧ استرواح بذكر ما قلته أسماء بنت خارجة بن حصن الفزاري في الذئب
 ١١٩ ما قاله النجاشي في ذلك
 ١٢٠ ما قاله الفرزدق فيه أيضاً
 ١٢١ ما قاله قيس الفزاري وحيد بن ثور في ذلك

(المجلس السبعون)

- ١٢٣ تأويل قوله تعالى : ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه الآية
 ١٢٤ تحقيق مسألة رؤيته تعالى وسؤال سيدنا موسى عليه السلام لما وبسط الكلام على ذلك
 ١٢٨ استرواح بذكر ما استجد من قول أبى العاص المازني
 (المجلس الواحد والسبعون)

صحيفه

- ١٢٩ تأويل قوله تعالى : واذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها الآية
 ١٣٠ مسألة تأخير المقدم وتقديم المؤخر في كلام العرب والاستشهاد على ذلك
 ١٣٢ استرواح بذكر ما يستجد من الشعر في ذم الدنيا والتذكير بمصائبها
 ١٣٢ من ذلك مرثية نهشل بن جري لاختيه مالك
 ١٣٣ ومنه قول حارثة بن بدر الغداني
 ١٣٣ ومنه قول أبي العتاهية
 ١٣٤ ومنه قول البحتري
 (المجلس الثاني والسبعون)
 ١٣٧ تأويل قوله تعالى : هو الذي خلقكم من نفس واحد الآية
 (المجلس الثالث والسبعون)
 ١٤٣ تأويل قوله تعالى : اتعبدون ما تخبثون الآية
 ١٤٥ مسألة في تحقيق خالق أفعال العباد
 ١٤٦ استرواح بذكر ما يستحسن من كلام بعض نساء بني أسد
 ١٤٧ ما يستحسن من كلام ولادة الهرمية
 ١٤٧ ما يستحسن من كلام امرأة من بني سعد
 ١٤٨ مرثية عمرة بنت العجلان لاختها عمرو
 (المجلس الرابع والسبعون)
 ١٥٣ تأويل قوله تعالى : ولا ينفعكم نصي ان أردت أن أنصح لكم الآية
 ١٥٦ قصيدة أبي تمام في مدح المعتصم
 (المجلس الخامس والسبعون)
 ١٦١ تأويل قوله تعالى : شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن الآية
 ١٦٢ بحث في الإشارة الى المجلس من غير ارادة العموم
 ١٦٢ في تورك أبي العباس بن عمار على بعض أقوال أبي تمام
 ١٦٦ مناقشة المؤلف في تورك ابن عمار المذكور
 (المجلس السادس والسبعون)
 ١٦٧ تأويل قوله تعالى : واذا آتينا موسى الكتاب والفرقان الآية
 ١٧٢ ذكر ترجمة خالد بن صفوان وشيخه من أخباره

(المجاس السابع والسبعون)

١٧٣ تأويل قوله تعالى : أنه ليحرنك الذي يقولون الآية

١٧٤ مطلب علم أبي جهل بنبرة النبي صلى الله عليه وسلم وجعله ذلك عناء

١٧٥ قصيدة لعمرو بن براقة وواقعة ذلك

١٧٧ مطلب اختلاف القراء في قراءة لا يكذبونك وتأويلها حسب القراءة

١٧٨ قصيدة لطرود بن كعب الخزاعي وشرحها

١٨١ أبيات لدعبل في تفضيل الشعر وبقائه ما بقي الدهر

[المجاس الثامن والسبعون]

١٨٢ تأويل قوله تعالى : ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا شركين

١٨٤ ترجمة منصور بن سلمة النخعي وأخباره مع الرشيد وقطع من مختار شعره

(المجاس التاسع والسبعون)

١٨٨ تأويل قوله تعالى : وإذا الموءدة سبات بأى ذنب قتلت

١٨٩ مطلب عزيز في اختلاف تأويل الآية بحسب اختلاف القراءة

١٩٠ مطلب في تأويل أبى على الجبائي لهذه الآية

١٩١ أخبار سمعة بن ناجية جد الفرزدق في فدية الموءدات واختيار الفرزدق بذلك

١٩٢ خبر وفود سمعة المذكور على النبي صلى الله عليه وسلم ووصيته له

١٩٣ تأويل خبر أنه نهى صلى الله عليه وسلم أن يعلى الرجل وهو زناه

١٩٣ قصيدة لالأخطل في مدح عبدالله بن معاوية بن أبى سفيان

١٩٣ قصة أبي زيد الطائي في وصفه الاسد لعثمان بن عفان رضى الله عنه

١٩٥ خبر قيس بن عاصم المنقري وترقيصه صبيلاً له

(المجاس الثمانون)

١٩٧ تأويل قوله تعالى : وهديناه النجدين

١٩٨ قصيدة لحداد لينة يمدح بها آل شماس بن لأي

١٩٩ شرح بيت عمر بن أبى ربيعة : ثم قالوا نحبها فأتى بها

٢٠٠ تأويل قوله تعالى : ثم افتحم العقبة الى آخر الآيات

٢٠١ خاتمة المجاس في ذكر مقطعات من طريق المدح

